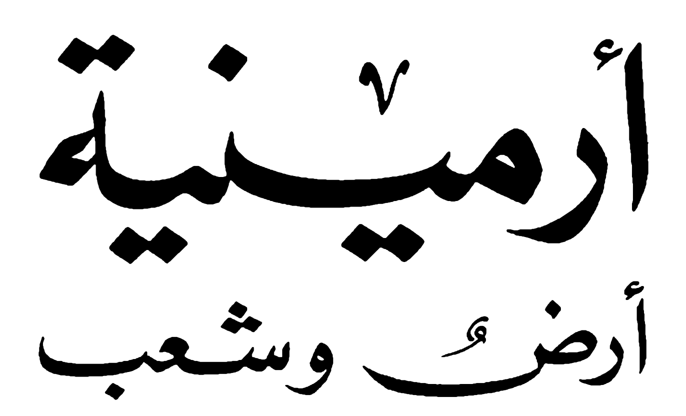
سمير عربش





سمير عربش



الإهـــداء

إلى الأمهات اللواتي يغرسن في قلوب الأطفال حب الوطن ، والاستماتة في الدفاع عن كل ذرة من ترابه .

إلى الآباء الذين يجسلون قدوة الكفاح ، فيكتسبها الأبناء ، والدرب نفسه يسلكون .

إلى زوجتي وأولادي :

آرمينوهي ، رافي ، سيلفا ، هراتش .

إلى الجدة المتفانية اليز قورومليان ، وما أثمرت من غراس .

إلى الأهل والأحبة والأصدقاء .

وإلى روح كل شهيد ، روى بدمائه الطاهرة ، ثرى الوطن .

سمير

Ա	آيب	Ayp
Բ	بين	Pen
Գ	كيم	Kim
Դ	تا	Ta
Ե	ييتش	Yetch
Զ	ظا	Za
Է	اي	E
Ը	اط	Et
Թ	تو	To
Ժ	جي	G
Ի	ايني	Ini
Լ	لون	Lune
Խ	خي	Khe

Ծ	تزا	Tza
Կ	غين	Guène
Հ	هو	Ho
Ձ	تسا	Tsa
Ղ	غت	Guath
Ճ	دجي	Djé
Մ	مين	Men
Յ	هي	Hi
Ն	نو	Nou
Շ	شا	Cha
Ո	فو	Vo
Չ	تشا	Tcha
Պ	ب	Be

Ջ	تشي	Tché
Ռ	را	Ra
Ս	ث	Cé
Վ	فيف	Véve
Տ	ديون	Dune
Ր	ري	Ré
Ց	تسو	Tso
Ւ	هيون	Hioun
Փ	بيور	Piour
Ք	كي	Ké
և	ييف	Yève
Օ	او	O
Ֆ	ف	Fé

الأبجدية الأرمنية

تقدمة

أكاد أزعم أني حققت في هذا الكتاب ، « أرمينية .. أرض وشعب » ، ما يصبو له ، كل مهتم بالتاريخ ، أو المعرفة .

وتاريخ الشعب الأرمني ، الذي ضرب جذوره في أعماق الزمن ، حافل بالأحداث المتلاحقة والمتشابكة في آن واحد ، حتى لكأنه لم يجد متسعاً من الوقت لإلتقاط أنفاسه ، وهو إلى ذلك ، غني بصور فريدة من نوعها ، ومليء بكل معاني وقيم التضحية والبطولة ، في سبيل البقاء ، إذ كم من الشعوب إنقرضت ، أو إندمجت في غيرها ، لتصبح صفحات مطوية ومنسية في زوايا التاريخ . لكن الشعب الأرمني ، وهو الشعب الذي إشتهر بالذكاء والعبقرية والشجاعة ، صارع المحن والويلات التي حلت به ، فتغلب عليها ، وحافظ على كيانه ووجوده ، مؤكداً حيويته ، وقدرته على تحمل المشاق ، ومجسداً قدوة يحتذا بها .

أما الدوافع التي حدت بي ، إلى تحقيق هذا الكتاب ، فهي أكثر من أن تحصى ، على أني سأتعرض للبعض منها ، من باب إطلاع القارئ الكريم عليها ، كحق له ، وواجب علي .

فقد عرفت الأرمن عن كثب ، منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً ، بحكم اقتراني من فتاة أرمينية ، على قاعدة الاحترام المتبادل ، حيث حافظ كلانا ، على مبدأ « من ينكر أصله ، لا أصل

له » ، وحيث كسر كلانا ، المثل الشعبي القائل : « من لا يأخذ من ملته ، مات بعلته » ، هذا الدافع ، وإن كان فيه شيء من الخصوصية ، إلا أنه كثيراً ما يطرح مشكلة اجتماعية ، حين يقترن العربي من أجنبية أو العكس .

لكنك مع الأرمن لا تشعر بالغربة ، سيما وأنهم في سورية ، مواطنون نالوا الجنسية ، وكانوا على الدوام ، مثال المواطن الصالح ، الذي بادل الوفاء بالوفاء ، والعرفان بالعرفان .

أما الدافع الآخر ، وهو الأهم بإعتقادي ، فيعود إلى الكثير من القواسم المشتركة ، التي جمعت بين الشعبين العربي والأرمني ، فكلاهما قاسى على مدى تاريخه القديم والمعاصر ، من هجمات الأعداء التي إستهدفت وجوده وأرضه ، وهذا ما يلمسه ، كل متتبع للتاريخ وأحداثه ، والأمثلة على ذلك متعددة ، بدءاً من الغزو ، وحتى التشريد ، ومروراً بالإضطهاد العنصري .

لكن المحن ، لم تزدهما سوى صلابة ، وقدرة على التحدي والنضال الذي لم تنطفئ شعلته .

وكما أن قواسم الماضي مشتركة ، فأهداف المستقبل أيضاً ، مشتركة ، طالما أن العدالة لم تتحقق ، والحقوق السليبة لم تسترجع ، الأمر الذي يشد من أواصر التعاون والصداقة بينهما ، لاسيما وأنها قامت بينهما منذ آلاف السنين ، على الإحترام المتبادل ، والتعايش الأخوي ، الذي شمل مختلف مناحي الحياة .

ولهذا ليس غريباً ، أن يقدم العرب للأرمن كل عون ورعاية ، اثر تعرضهم لمذابح الإبادة ، وعمليات الترحيل الجماعي ، ولجوئهم إلى سورية في أول محطة لهم ، كذلك ، ليس من الغرابة في شيء ، أن يحفظ الأرمن للعرب جميلهم ومعروفهم ، وأن يعتزوا بالروابط الإنسانية والنضالية التي تجمع بينهم .

وبحكم عملي في ميدان الإعلام و**الصحافة** قرأت العديد من الكتب التي تتحدث عن تاريخ وحضارة الشعب الأرمني ، بخاصة التي وضعت باللغة العربية ، ومع كامل تقديري لجهود كل من سبقني في هذا المجال ، فقد رأيت أن أحقق هذا الكتاب ، ليضاف إلى المكتبة العربية ، عسى أن يسد فراغاً أو نقصاً ، بالنسبة إلى تاريخ شعب عريق ، غاب عن الجغرافية أكثر من خمسمائة عام ، ثم إنبعث ليأخذ

مكانه بين الشعوب ، واضعاً نصب عينيه ، مؤازرة المجتمع الدولي لقضيتة العادلة ، وضرورة إيجاد الحل العادل لها .

وحتى لاتشكل المادة التاريخية ، شيئاً من الملل لدى القارئ الكريم ، فقد إعتمدت أسـلوب السرد القصصي ، وأوجزت حين الضرورة ، وتوسعت وأسهبت حيث وجدت مناسباً ، كما في فصل الفتح العربي لأرمينية، وكما في فصل المذابح الكبرى ، التي إعتبرت أول جرائم إبادة جماعية ، في التاريخ المعاصر ، كذلك أفردت ملاحق خاصـة ، عن إقليم أرتساخ ، وعن الزلزال ـــ الكارثة ، إضافة إلى جدول تاريخي بأهم الأحداث الأرمنية .

وبإعتبـاري لا أميل إلى الإطالة ، فقد آثرت أن تكون مقدمة الكتاب ، موجزة ، وكلي أمل ورجاء ، أن يكون التوفيق حالفني ، مع إعتذاري المسبق عن هنات غير مقصودة .

سمير عربش



جبال أرارات ... رمز أرمينية الخالد

توطئة

تاريخ وجغرافية

أرمينية .. أرمنستان* .. هايستان .. كارستان .. سموخيتي . خمسة أسماء أطلقت على وطن الأرمن ، المعروف باسم جمهورية أرمينية .

ولعل الاسم المفضل والمحبب لدى الشعب الأرمني ، هو هايستان نسبة إلى ملكه وقائده الأسطوري الأول « هايك » ، أما اسم أرمينية فهو منسوب إلى الملك الأسطوري أيضاً ، آرمن بن هايك . أما أرمنستان فمعناه بلاد الأرمن ، وكارستان ، معناه بلاد الحجارة ، وأما الاسم الخامس سموخيتي ، فقد أطلقه على أرمينية جيرانها الكرج أو الجورجيون ، وهؤلاء أقرب الشعوب إلى الأرمن ، وأوثقهم ارتباطاً بهم .

تعرف أرمينية مع جمهوريتي أذربيجان وجورجيا ، بجمهوريات ما وراء القوقاز ، فهي تقع في جبال القوقاز الصغرى ، وتحدها من الشمال جمهورية جورجيا ، ومن الشرق أذربيجان ، ومن الغرب تركيا ، ومن الجنوب إيران ، وتبلغ مساحتها الحالية ، حوالي ٣٠ ألف كم[٢] ، وهي عشر مساحة أرمينية التاريخية ، ويبلغ عدد سكانها حوالي ثلاثة ملايين نسمة .

تكونت جمهورية أرمينية بشكلها الحالي ، يوم ٢٩ أيلول عام ١٩٢٠ ، ثم انضمت إلى اتحاد ما وراء القوقاز ، مع جمهوريتي جورجيا وأذربيجان وفق معاهدة تفليس المبرمة في ١٢ آذار ١٩٢٢ ، وفي ١٣ كانون الأول من نفس العام ، تحول هذا الاتحاد إلى جمهورية ما وراء القوقاز الإشتراكية الفيدرالية السوفييتية ، وفي ٣٠ كانون الأول من العام المذكور ، انضمت هذه الجمهورية ـــ الثلاثية ـــ إلى الاتحاد السوفييتي ، وفق معاهدة موسكو ، وعند حل هذه الجمهورية ، انضمت أرمينية مباشرة إلى الاتحاد السوفييتي في ٥ كانون الأول ١٩٣٦ ، وهو يوم العمل بدستوره الثالث ، وما زالت على وضعها القائم حالياً ، وتخضع للدستور السوفييتي الرابع الذي عمل به اعتباراً من ٧ تشرين الأول ١٩٧٧ .

يقصد بأرمينية الأصلية أو التاريخية ، الأراضي التي قطنها الشعب الأرمني قروناً طويلة ، فحملت اسمه ، وأصبحت مصطلحاً جغرافياً للاقليم الذي شمل الثلث الشرقي من آسيا الصغرى ، المؤلف حالياً من تركيا وأذربيجان والجزء الجنوبي من جورجيا وكانت أرمينية التاريخية تطل في أوجها على البحرين الأسود وقزوين ، ووصلت في أواخر العصور الوسطى إلى البحر المتوسط .

وبحكم موقعها الجغرافي ، كانت معبراً للتجارة الدولية ، والتبادل الثقافي وميداناً للقتال ، حيث تعرضت من جهاتها الأربعة للغزو . فقد اقتحمها الفرس ، ثم الأتراك السلاجقة ، من الشرق ، والرومان ثم العثمانيون من الغرب ، والعرب من الجنوب ، ثم الخزر والروس من الشمال ، كما تعرضت للضم والتقسيم والهجرة بل وللإبادة حتى تقلصت أراضيها إلى الشكل الحالي .

وتعتبر أرمينية التاريخية أكبر وأعلى اقليم جبلي في آسيا الغربية ، حيث يبلغ متوسط ارتفاعها ١٥٠٠ متر عن سطح البحر ، ويتصف مناخها

بالقسوة ، كما هو الأمر بالنسبة للبلاد الجبلية عامة . وتضم في ربوعها ثلاث بحيرات هامة هي :

• **بحيرة سيفان** : وهي البحيرة الأرمينية الشمالية ، تبلغ مساحتها ٢٩٨٠ كم² ويصب فيها ٢٨ نهراً صغيراً أهمها نهر « أرجيشي » ، وينبع منها نهر واحد هو نهر « هرزتان » . وتشتهر هذه البحيرة ذات المياه العذبة ، بسمك الأمير المشهور « أشخان تسوك » ، وتحيط بها سلاسل جبلية رائعة ، كما أنها تحوي جزيرة صغيرة تحولت الآن إلى شبه جزيرة ، وبنت فيها الأميرة مريم كنيسة وديراً ، وهي مؤهلة لتصبح محطة سياحية دولية .

• **بحيرة وان** : وهي البحيرة الأرمينية الجنوبية الغربية ، وتبلغ مساحتها ٣٧٤٠ كم² ، وتقع في دولة تركيا ، مياهها مالحة ، ويصطاد منها سمك الطريخ المشهور ، وتضم جزيرة أختمار ، التي بنى فيها الملك الأرمني كاكيك كنيسة أختمار وقصراً ومكتبة ، وتضم هذه البحيرة أيضاً ، ثلاث جزر صغيرة وجميلة هي : ليم ، كدوتس ، اردير .

• **بحيرة أورمية أو كبوذان** : وهي البحيرة الأرمنية الجنوبية الشرقية ، وتبلغ مساحتها ٦٠٠٠ كم² ، ومياهها مالحة جداً لا تعيش فيها الأسماك ، وتقع حالياً في إيران .

أما على صعيد الأنهار ، فهي منتشرة بكثرة في أرمينية وأهمها :

• **التوأمان الكبيران** : دجلة والفرات ، حيث ينبع الأول من جبال طوروس عند جنوبي بحيرة « وان » ، والثاني من قرية قزيل قليا في قلب أرمينية على بعد ٤٠ كم شمال مدينة أرضروم .

• **النهران التوأمان** : للكرج والأرمن ، وهما كور وأراكس ، أطول أنهار اقليم ما وراء القوقاز . وينبع نهر أراكس من جبال البنغول ، ويخترق سهل

آرارات ، حيث ينضم إلى نهر كورا كرافد له ، ويكوّنان نهراً واحداً يصب في بحر قزوين .

• **نهر شوروخ** : وينبع بالقرب من مدينة بيبورت ، ويشكل في مجراه العميق حفرة واسعة تفصل أرمينية عن أذربيجان ، يبلغ طوله ٣٥٠ كم ، ويصب في البحر الأسود .

وهناك أنهار أخرى عديدة تصب في البحر الأسود أيضاً ، مثل النهران التوأمان قزل أرمق (هاليس سابقاً) ، ويشيل أرمق ، أما في الجنوب الغربي أي كيليكيا ، فهناك نهرا سيهون وجيهون ويصبان في البحر المتوسط .

والجدير بالذكر أن نهر أراكس أو الرس ، هو النهر الوحيد الذي ذكره القرآن الكريم باسمه ، حيث ورد به مرتين في سورة الفرقان الآية ٣٨ وفي سورة قاف الآية ١٢ .

تحوي أرمينية التاريخية جبالاً ذات طبيعة بركانية خامدة ، ترجع في تشكلها إلى العصور القديمة ومن أشهر هذه الجبال :

• **جبال آرارات** : ذات الشهرة العالمية ، وتمتد طبيعياً من بحيرة « وان » إلى بحيرة « سيفان » وتنقسم إلى قسمين :

١ ـــ جبل آرارات الكبير أو جبل ماسيس الأكبر ، ويبلغ ارتفاعه ٥١٦٥ م ، وقد قيل أنه جبل الجودي الذي جاء ذكره بالقرآن الكريم ، وأن سفينة نوح رست عليه بعد الطوفان ، ويسميه الفرس حتى الآن جبل نوح . وتبقى الثلوج على ذراه المخروطية على مدار العام ومن هذه الذرى استوحى المهندسون الأرمن قباب الكنائس المخروطية الشكل .

٢ ـــ جبل آرارات الصغير ، أو ماسيس الأصغر ، ويبلغ ارتفاعه ٣٩٢٥ م ، وتقع هذه الجبال في الأراضي التركية ، الأمر الذي يثير المرارة

والألم لدى الأرمن ، لأنهم يرون جبلهم المقدس أمامهم ، لكنهم لا يملكونه .

• **جبال « أراكادز » ، ويبلغ ارتفاعها ٤٠٩٠ م ، وهي ذات قمم بركانية أربعة ، وتقع في قلب أرمينية ، وتشتهر وديانها بالروائح العطرة التي تفوح من ورودها .**

• **جبال « بنغول » ، وتعرف أيضاً ، بجبال الينابيع الألف ، ومنها ينبع نهر آراكس ومعظم روافد الفرات ، ويبلغ ارتفاعها ٣٦٥٠ م .**

• **جبال « سيبان »** ، ويبلغ ارتفاعها ٤٤٣٤ م ، وتقع بالقرب من الشواطئ الشمالية الغربية لبحيرة « وان » .

وهناك عدد آخر من الجبال مثل « ألارتاغ » ، تونتراك ، نباد ، نمرود ... إلخ .

ومن الطبيعي أن منطقة بهذه الأهمية التاريخية ، كان لها عواصم ومدن هامة لعبت دورها على مر الزمن ، ومن هذه العواصم والمدن :

• **أرمافير** : عاصمة أرمينية القديمة ، بنيت عام ١٩٨٠ قبل الميلاد على يد « آراميس » حفيد الملك « هايك » على الجانب الشمالي الشرقي لمنحدرات جبل « اركادز » وبقيت عاصمة للملوك الأرمن قروناً طويلة ، وهي الآن قرية صغيرة تسمى « تابادي بي » .

• **أرداشاد** : بناها الملك « أرداشيس » في أعوام ١٨٠ — ١٧٠ ق . م على الضفة اليسرى لنهر أراكس ، كعاصمة للمملكة الأرمنية الثانية ، بناء على اقتراح هانيبعل القرطاجي ، الذي لجأ إلى بلاط الملك أرداشيش الأول إثر هزيمته على يد الرومان . وتبعد هذه المدينة عن « يريفان » حوالي ٣٥ كم ، وكان لها شهرة فائقة بمسارحها وقصورها وغاباتها .

• **بكـيرانـا كيرد** : وبنيت عام ٨٠ ــ ٨٥ ق . م على الضفـة اليسـرى لنهر دجلة ، وكانت عاصمـة المـملكـة الأرمنية ، في عهد الملك ديكران الثاني أعظم ملوك الأرمن .

• **دوين** : عاصمة المملكة الأرمنية الثالثة ، وبناها الملك خسروف الثاني ، عام ٣٣١ حتى ٣٣٩ م بالقرب من نهر « أراكس » .

• **آني** ،وبناها الملك آشوط الأول عام ٨٨٥ م ، وأضحت عاصمة أرمنيـة في عهد المـملكـة البقرادونيـة ، وشيدت فيهـا القصـور الضخمـة والمكتبـات والمدارس والكنـائس ، حتى إنها عرفت باسـم « الأف كنيسـة وكنيسة » .

• **يريفان** : وهي عاصمة أرمينية حالياً . بنيت عام ٧٨٢ ق . م على يد الملك أرغيشتي الأول ، وأصلها قلعة ايريبوني ، والتي تعود إلى عهد مملكة أورارطو القديمة ، وموقعها عند موقع مدينة أرداشاد على نهر هرزدان ، وتعتبر من أقدم المدن في العا لم .

وقد بذل الشعب الأرمني كل ما عرف عنه من إبداع ونبوغ ، لتكون عاصمته ممثلة لطابعه الخاص ، فاستخدم في أبنيتها الحديثة أحجار الطوف الملونة ، الصفراء والسوداء والوردية ، وجمل ساحاتها وحدائقها بالبحيرات والنـوافـير والنصب التذكارية ، التي تخلد ذكرى الأحداث الهامة في تاريخ الأرمن ، وأهمهـا نصب الشـهداء الأرمن في مذابح ١٩١٥ ، ويبـلغ عدد سكانها حوالي مليون نسمة .

• **لينينـاكان** : وهي مدينــة جمرى القـديمـة ، وقد أصبح اسمهـا أسكندربول بعد انضمام أرمينيـة الشـرقية إلى روسيا القيصرية ، ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٨٠ ألف نسمة .

• **كيروفـاكان** : وهي مدينــة قره كليس ســابقـاً ، وثالث مدن

جمهورية أرمينية حالياً ، ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٣٠ ألف نسمة .

• **وان** : وهي مدينة أورارتية ، أسست حوالي ٨٠٠ قبل الميلاد ، وفي عام ١٠٤٥ ، ضربها زلزال فدمرها تماماً .

• **إتشمياتزين المقدسة** : وتقع عند مدينة فغار شباط القديمة وهي مقر الكنيسة الوطنية الأرمينية ، وتضم العديد من الكنائس التاريخية ، والتي تحوي إحداها رفات القديس غريغور المنور ، ويبلغ عدد سكانها حوالي ٤٠ ألف نسمة .

• **أبوفيان** : وهي مدينة حديثة ، سميت بهذا الاسم تكريماً للأديب الأرمني المعروف « أبوفيان » ، ويبلغ عدد سكنها ٣٢ ألف نسمة .

• **كافان** : وتعتبر مركز صناعة التعدين الأرمنية ، وهي سادسة مدن جمهورية أرمينية ، وعدد سكنها ٣٠ ألف نسمة .

• **ستيبانافان : وسميت بهذا الاسم ، تخليداً لذكرى الزعيم الثوري الأرمني ستيبان شاهوميان ، وهي « جلال أوغلو » سابقاً .**

إضافة إلى ذلك ، ثمة مدن أرمنية تاريخية لعبت دوراً كبيراً على مراحل العصور ، مثل سيباستيا ، أرضروم ، قارص ، طرسوس ، عين تاب زيتون ـــ الرها ، شمشاط ، أردبيل ، سلماس ، ماكو ... إلخ .

أخيراً ، وليس آخراً ، فقد غابت أرمينيـة عن خريطة العالم ، قرابة خمسة قرون ونصف القرن . مع ذلك ، قامت لتؤكد وجود شعب ، حافظ على لغته القومية الخاصة ، وعلى كنيسته الوطنية المستقلة ، وبذلك ، حفظ كيانه وشخصيته المميزة ، فحق له أن يفخر ويعتز بنضـاله الدائم ، وحق علينا وعلى كل الشعوب المناضلة من أجل وجودها وحريتها وكرامتها ، أن تقدره وتكبر فيه شجاعته وإيمانه وصلابته .

الفصل الأول

مَنْ هُمْ الأرمَنْ - أرمينيَة القَديمَة

يعتقد العديد من العلماء المعاصرين ، استناداً إلى الحفريات والاستكشافات الحديثة ، التي أجروها في مناطق أرمينية التاريخية ، أنه كان للإنسان البدائي الأول وجود في هذه المناطق خلال العصر الحجري القديم الأول ، وبالتحديد في الفترة « الشيلية » الممتدة ما بين مليون إلى نصف مليون عام قبل الميلاد ، أي بدءاً بالإنسان « النيادرتال » وحتى الإنسان « الكرورمانيون » . وقد عثر العلماء على مخلفات إنسان « النيادرتال » وأدوات حجرية عادية وبلورية وبركانية ، في كهوف حول نهري أخوريان وهراتزان ، وكذلك في هضاب جبال آرثي ، وآراكادز ، وبنفول ، وآرارات .

مما تقدم ، تعتبر أرمينية التاريخية ، واحدة من مراكز الحضارات الأولى التي تطورت من خلالها الحياة الإنسانية نفسها ، لا بل ، تعتبر من أهم المراكز الاستراتيجية في العالم ، التي انطلقت منها حضارة الإنسان البدائي ، إلى مختلف أرجاء المسكونة .

أما من الناحية العرقية ، فقد صنف علماء السلالات البشرية ، الشعب الأرمني ، ضمن المجموعات الهندو ـ أوروبية ، لانتمائه إلى العرق الآري ، وذلك استناداً إلى دراسات دقيقة في تاريخ هذا الشعب . ولكن من أين يبدأ التاريخ .

إجابة على هذا السؤال ، يقول المؤرخ الأرمني القديم موفسيس الخوريني الملقب بهيرودوت الأرمن ، والذي عاش في القرن الخامس الميلادي ، يقول في كتابه القيِّم « تاريخ الأرمن » ، أن البطل القومي الأسطوري الملك هايك الأول ، قاد الأرمن في هجرتهم من بابل إلى الشمال ، وأسس مملكتهم الأولى ، وبنى أول عاصمة لهم ، وهي هايكاشن ، وذلك حوالي عام ٢٢٠٠ ق . م ، ومن هنا أطلق الأرمن على أنفسهم اسم « هاي » وعلى بلادهم « هايستان » ، نسبة إلى الملك « هايك » .

ويضيف المؤرخ المذكور ، أن الدولة الأورارتية هي المملكة الأرمنية السادسة التي انحدرت من أبي الأرمن « هايك » ، وهذا الرأي يتوافق مع الرأي السائد عند الأرمن حتى ذلك التاريخ ، والذي يعبر من قناعة راسخة لديهم ، بأنهم من السكان الأصليين للأراضي الجبلية الأرمنية .

ويرتبط هذا الرأي أيضاً ، بالأساطير القديمة التي تقول ، أنه بعد الطوفان ، نزل نوح من سفينته على سطح جبل أرارات ، وزرع شتلة العنب الأولى . وأن « هايك » أبو الأرمن ، هو ابن طوركوم ، ابن جومر ، ابن يافت ، ابن نوح ، ثم توارد خلفاء « هايك » وأولهم ابنه الملك أرمن ، وإلى اسمه انتسب الأرمن .

وعلى الرغم ، أن كتاب الخوريني ، كان وما زال ، مرجعاً تاريخياً موثوقاً ، فإن الآراء تضاربت حول نشأة الأرمن إلى درجة التناقض أحياناً ، في العديد من المراحل اللاحقة لتاريخ الخوريني ، وذلك بسبب عدم الاعتماد على العلوم المساعدة للتاريخ مثل علم الآثار ، والتراث واللغة وهو الأهم .

لكن الاستكشافات الحديثة التي توجهت إلى العناصر الأثرية واللغوية ، بلورت النظرية الأقرب إلى الصواب والدقة ، حول نشأة الأرمن ، من خلال منظور الحقائق

التاريخية ، التي تشير إلى أن نشأة الشعب الأرمني ، تعود على الأقل ، إلى ما بين الألف السادس والرابع قبل الميلاد ، أي إلى ما قبل ثمانية آلاف من السنين .

إذ ، من الناحية اللغوية ، تقررت على نحو علمي ، مسألة الأسرة اللغوية الواحدة ، فالبنغالية والبنجابية والفارسية والكردية والأرمنية واليونانية والصربية والألبانية والروسية والألمانية والفرنسية والانكليزية ... إلخ تنتمي إلى الأسرة اللغوية الهندو ـ أوروبية . والعربية والأكادية والآرامية ... إلخ تنتمي إلى الأسرة اللغوية السامية ، والياكودية والأذربيجانية والأزبكية والكركزية والتركية ، تنتمي إلى الأسرة اللغوية التركية ، وهكذا ...

وعلى اعتبار أنه بات من الثابت خضوع اللغة للتطور والتبديل والتحويل عبر مر العصور ، فإنها تشكل مع الزمن لغة أو لهجة مستقلة عن الأصل ، رغم حفاظها على العديد من المفردات المشتركة ، ولهذا ، برهن علم اللغة بشكل قاطع ،على أن الأرمن هندو أوروبيين ، وأن لغتهم هندو أوروبية ، وقد انفصلوا عن الشعب الهندو ـ أوروبي واللغة الأم ، في الزمن الذي انفصلت فيه مجموعات اليونانيين والحاتيين « اللوفيين والهندو إيرانيين » ، ولكن متى تم ذلك الانفصال ، للإجابة على السؤال ، نعود إلى الاكتشفات الحديثة وآراء العديد من الباحثين والمختصين ، والتي أكدت أن اللغة الهندو ـ أوربية البدائية ، بدأت بالانقسام إلى فروع منفصلة منذ آلاف السنين ، وقد رجح علماء اللغة أن اللغة الأرمنية انفصلت عن اللغة الأم حوالي الألف السابع قبل الميلاد ، وحتى لا نبعد كثيراً عن موضوع نشأة الأرمن ، نكتفي بهذا القدر من الحديث عن عامل اللغة ، تاركين المجال لمن أراد التوسع ، الانصراف إلى البحوث التي اختصت بهذه المسألة .

وفي الانتقال إلى الناحية الأثرية ، نجد أن المكتشفات الحديثة ، والتي أشرنا إليها في بداية هذا الفصل ، تؤكد أن الأرمن سكنوا في الهضبة الأرمنية منذ الألف الرابع قبل الميلاد على الأقل ، وهذا ما توصل إليه على سبيل المثال ، عالم الآثار ساراداريان من خلال بحوثه في علم الإنسان والجماجم . كذلك ، أثبتت المدونات المسمارية القديمة ، ظهور كلمة الأرمن بعدة صور منها ، أرمن ، وأرمين ، وأرميانين ، أرمني ، وفي النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد ، قام ملك الدولة الأكاديمية في بلاد الرافدين ، « نارام ـ سين » بعدة

غزوات باتجاه الشامل ، وقد عثر على إحدى المدونات الأكادية أن نارام ـــ سين الإلهي الملك الهمام للأطراف الأربعة والفاتح لـ أرماني وإيبلا » . وفي القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد ، أطلق على الهضبة الأرمنية بلاد أورارتو ، أو مملكة أورارتو ، وقد عرف من هذه نقوش هذه المملكة التي كتبت بلغتها وباللغة الآشورية وبالمسمارية ، أسماء وأعمال ملوكها وأولهم آرمي ، ثم شردوري الأول ثم أشيبوني ، ثم أرجتشي الأول ... إلخ .

أما أول ذكر تاريخي لأرمينية ، فيعود إلى عام ٥١٦ ق . م وفق ما جاء في نقش بهستون ، الذي سجل عليه الملك الفارسي القديم دارا الأول انتصاراته . وقد ورد اسم أرمينية ضمن البلاد التي آلت إليه بالمقطع السادس من كتابة العمود الأول في هذا النقش .

إلا أن الوقائع التاريخية الثابتة في تاريخ الأرمن ، تبدأ بتحالفهم مع الميديين ، واشتراكهم معهم ومع البابليين بفتح مدينة نينوى عاصمة الآشوريين عام ٦١٢ ق . م . ويذكر المؤرخ خوريني ، أن من قاد الأرمن في هذه الحملة ، هو أميرهم الأرمني باروير ، وأنه كوفئ على ذلك بمنحه لقب ملك ، ولهذا ينبغي اعتباره مؤسس الدولة الأرمنية القديمة الأولى .

بعد ذلك أصبح الأرمن تابعين للبابليين المحدثين مع استقلال ذاتي ، ثم تبعوا الميديين ثانية ، ثم لدولة الفرس القدماء الأولى التي ضمت لها دولة الميديين عام ٥٥٠ ق . م ، وفي العام ٥٢١ ق . م ثار الأرمن على الفرس إثر مقتل ملكهم قمبيز ، لكن الملك دارا الأول أعادهم إلى الطاعة . واعتبرت أرمينية الولاية الثالثة عشرة من الدولة الفارسية ، وكانت تؤدي جزية سنوية كبيرة ، إلا أن حكامها كانوا من أبنائها ، حيث كان آخرهم ، أورنتس الأول ، وأورنتس الثاني الذي يعتبر مؤسس المملكة الأرمنية القديمة الثانية ، وقد قتل خلال مشاركته في التصدي لحملة الاسكندر الأكبر المقدوني ، الذي قضى على المملكة الفارسية القديمة الأولى ، بعد انتصاره على الفرس في معركة « إربل » الحاسمة عام ٣٣١ ق . م . وإثر وفاة المقدوني ، تفتت امبراطوريته إلى عدة دول مستقلة ، وأهمها الدولة السلوقية ، التي تفرعت عنها الدولة البارثية ، أي الدولة الفارسية الوسطى .

وعلى اعتبار أنه لم يثبت فتح الاسكندر المقدوني لأرمينية وضمها إلى امبراطوريته ،

فقد تمكن حاكمها « مثرانس » من إعلان نفسه ملكاً عليها ، ثم خلفه أورانتس الثالث ، ثم الملك ساموس ، ثم الملك آراسامس ، باني مدينة شمشاط ، ثم الملك اكسرسيس ، ثم الملك ابد يسارس ، ثم الملك أورانتس الرابع باني مدينة أرفند شاط عام ٢١٠ ق . م .

وفي عام ٢١٢ ق . م ، استولى السلوقيون على غرب أرمينية بعد انتصارهم على الملك اسكرسيس وقتله ، وفي عام ٢٠٠ ق . م استولوا على شرق أرمينية ، بعد انتصارهم على الملك أورانتس الرابع وقتله أيضاً ، ونتيجة لذلك قسموا أرمينية إلى ولايتين ، هما أرمينية الكبرى وأرمينية الصغرى ، وأقاموا عليها حاكمين من الأرمن هما ، أرتكسياس للكبرى ، وزاريـادريس « زاريـه » للصغرى . ولدى هزيمة السـلوقيـين على يد الرومان عام ١٩٠ ق . م ، أعلن حاكما « الأرمنيتين » استقلالهما ، وحظيا بتأييد الجمهورية الرومانية ، واعتبر الملك ارتكسياس الأول ، مؤسس المملكة الأرمنية الثالثة القديمة . وقد تولى الملك بعده ابنه الملك ارطفزد الأول ، ثم ديكران الأول ، ثم ديكران الثاني عام ٩٥ ق . م ، والذي جعل من مملكته دولة كبرى ضمت إليها أرمينية الصغرى .





الأيدي الماهرة ... وفن النقش

الفصل الثاني

أرْمِيـنْيَةْ مِنْ ٩٥ ق.م إلى ١٥م

وجه الملك ديكران الثاني ، أو الأكبر ، منذ بداية حكمه ، كل جهوده لتوسيع مملكته الأرمنية ، وتخليصها من نفوذ الدولتين الكبيرتين المجاورتين لها ، وهما الدولة السلوقية والدولة البارثية ، فتحالف مع مملكة بنطس ، وتزوج من كليوباترا ابنة ملكها متريدات السادس ، وبعد حروب متعددة ، تمكن من التوسع شرقاً وجنوباً ، حتى وصلت حدود مملكته إلى مدينة عكا الفلسطينية ، وحين اعترف ملوك البارثيين بسيادته ، أعلن نفسه ملك الملوك عام ٨٣ ق . م ، وأصبح أكبر وارث لامبراطورية المقدوني ، ولدولة الفرس القدماء .

امتازت هذه المملكة بغناها ، حيث كان يستخرج من مناجمها الذهب والفضة والنحاس والحديد ، واشتهرت بالزراعة والتجارة والصناعة ، وقد قسمها الملك ديكران إلى عشرين ولاية لتسهيل إدارتها ، ونظم فيها جيشاً بلغ عدده قرابة المائة ألف جندي ، عماده

من الجنود الأرمن الجبليين الأشداء ، كما أسس عاصمة جديدة تناسب عظمة مملكته ، وأسماها باسمه « ديكرانوكيرت » .

وشهدت الفترة من عام ٨٨ ق . م إلى ٧٠ ق . م وعلى مراحل متعددة ، ثلاثة حروب ، عرفت بالحروب المتريداتية ، وقامت بين الرومان ومملكة بنطس ، وانتهت بفتح الرومان لهذه المملكة . إلا أن الملك ديكران لم يتدخل بهذه الحروب . ورغم ذلك ، توجه القائد الروماني « لوكوللس » في العام ٦٩ ق . م على رأس قوة قوامها عشرون ألف محارب ، نحو « ديكرانوكرت » ، لكن الملك ديكران استهان بهذه القوة ، فواجهها بثلاثة آلاف من الخيالة تحت إمرة قائده الأرمني « مدرو بارزنتس » ، وقد انتهت المعركة التي وقعت بين الطرفين بانتصار الرومان ومقتل القائد الأرمني وانهزام قواته .

بعد ذلك ، اتجهت القوة الرومانية إلى العاصمة الأرمنية فغادرها الملك ديكران الأكبر على عجل ، وعهد بالدفاع عنها لقائده الأرمني « مانكايوس » ثم التجأ إلى مدينة « موش » التي تعتبر معقلاً جبلياً ، وذلك ليجمع قواته ويحرر مملكته ، لكن القائد الروماني ألقى عليه الحصار ، لإيقانه بأن الملك ديكران سيعود بقواته حتماً إلى العاصمة .

وبالفعل تمكن الملك الأرمني ، من جمع جيش قوامه ثمانون ألف محارب ، وتوجه إلى عاصمته المحاصرة ، دون الالتفات إلى النصائح التي قدمت له . وحين تلاقت القوات في ٦ تشرين الأول عام ٦٩ ق . م على نهر « ساتيدما » ، أطلق الملك ديكران مقولته الشهيرة التي ذهبت مثلاً : « إذا كانوا أتو للحرب فهم قليلون ، وإن أتو للصلح فهم كثيرون » . إلا أن المعركة التي سميت بموقعة ديكرانوكرت ، انتهت بهزيمة الملك ديكران وفراره ، ثم بدخول الرومان إلى العاصمة والاستيلاء عليها .

على أن هذه الهزيمة ، لم تفت من عضد الملك ديكران الأول ، ولم تدفعه للصلح مع الرومان ، بل راح يعد العدة لمواصلة الحرب ضدهم ، وبالفعل جمع جيشاً من سبعين ألف محارب ، وتمكن في عام ٦٨ ق . م من التصدي للرومان ، قرب بحيرة « وان » ، وجرت معركة ثانية بين الطرفين بمحاذاة نهر « ارسناس » ، انتهت بانسحاب الرومان ، وفي عام ٦٧ ق . م ، تمكن الملك ديكران من الانتصار على الرومان في معركة « زيلا » ، ومن

ثم عبر جبال طوروس واسترد عاصمة مملكته ، وأرغم الرومان على الانسحاب من إقليم ما بين النهرين ، الأمر الذي حدا بروما إلى عزل القائد « لوكوللس » ، واستبداله بالقائد « بومبي » ، الأكبر .

وبعد جولة من المعارك الجديدة ، وقعت آخرها عام ٦٥ ق . م ، تمكن « بومبي » ، نتيجة تحالفه مع البارثيين من القضاء على مملكة « بنطس » ، ثم على أرمينية نتيجة مساعدة الأمير ديكران ابن الملك ديكران الأكبر ، الذي خرج على أبيه ، الأمر الذي دعا الملك الأرمني للاستسلام ، وكان يبلغ من العمر آنذاك خمسة وسبعين عاماً . لكن القائد الروماني « بومبي » ، وهو السياسي المحنك ، قدر جهاد الملك ديكران ، وأدرك أنه ليس الخصم الحقيقي لروما ، بل ملك البارثيين القائم على رأس بلد كبير هو إيران . ولذلك اكتفى بفرض جزية سنوية على أرمينية ، وأبقى ديكران في ملكه ، وخلع عليه لقب « حليف وصديق الشعب الروماني » . وقد بقي الملك ديكران الأكبر بعد استسلامه عشر سنوات أخرى في الملك ، حتى توفي عام ٥٥ ق . م . وما يجدر ذكره ، هو أن أرمينية ، بدأت في عهد هذا الملك الكبير حقاً ، تقوم بدور تاريخي ، هو الوساطة بين عالمي الشرق والغرب ، بعد أن كانت دولة شرقية صرفة .

خلف الملك ارطفزد الثالث ، أباه الملك ديكران الأكبر في حكم أرمينية ، وفي عام ٥٤ ق . م ، قام بزيارة القائد الروماني كراسوس إثر وصوله إلى سورية وعرض عليه أن يجعل من أرمينية قاعدة يشن منها الحرب على قلب إيران ، كونها مهد مملكة البارثيين ومصدر قوتها . لكن القائد الروماني لم يستمع إلى هذه النصيحة ، بل توجه نحو طيسفون العاصمة الجديدة للبارثيين ، ليستولي على كنوزها وذلك عام ٥٣ ق . م . وفي هذه الأثناء اقتحم الملك البارثي أورودس الثاني أرمينية ، وأخذ يخربها ليمنع ملكها ارطفزد من إمداد القائد الروماني كراسوس . كما أنه انتصر على الرومان عند بلدة حران بإقليم بين النهرين ، مما حدا بملك أرمينية إلى نبذ تحالفه مع الرومان ، والتحالف مع البارثيين بدلاً عنهم .

وبعد حروب أهلية بين الرومان من جهة ، ومعارك عديدة بينهم وبين البارثيين من جهة ثانية ، ظهر القائد الروماني أنطونيو ، الذي وجه حملة إلى أرمينية عام ٣٧ ق . م بإمرة قائده كانديوس ، وحارب ملكها ارطفزد الثالث ، وألزمه بالتحالف مع روما . وبعد

عام واحد ، وجه أنطونيو حملة كبرى قادها بنفسه للقضاء على البارثيين ، إلا أنه فشل في هجومه ، نتيجة تخلي الملك ارطفزد عن دعمه . وفي عام ٣٤ ق . م عاد إلى أرمينية وقبض بالخدعة على ملكها ، وعلى ولديه الأميرين ديكران وارطفزد ، واستحوذ على كنوزه ، ومنها التمثال الذهبي لأناهيد ربة الخصب والجمال لدى الأرمن .

ونشبت في الدولة الرومانية حرب أهلية جديدة ، انتهت بانتصار أوكتافيوس على أنطونيو وزوجته كيلوباترا ، التي كانت قد أمرت بقتل ملك أرمينية الأسير ارطفزد الثالث . وفي عام ٣٢ ق . م ، وقع انقلاب في مملكة البارثيين ، أدى إلى استيلاء الملك ترياديس الثاني على الحكم بعد فرار ملكها فراطس الرابع ، الذي تمكن بعدئذ من استردادها ، ثم الاستيلاء على كل من ميديا الصغرى وأرمينية ، التي نصب عليها الأمير الأرمني ارتكسياس الثاني .

ونتيجة للصلح الذي تم بين الرومان والبارثيين عام ٢٠ ق . م ، توجهت حملة رومانية إلى أرمينية أسفرت عن قتل ملكها ، وتنصيب الملك ديكران الثالث عليها . وعقب وفاته عام ١٢ ق . م ، تولى الحكم في أرمينية ابنه وابنته معاً ، الملك ديكران الرابع والملكة إيراتو . غير أن ذلك لم يرق للامبراطور الروماني أغسطس ، فأرسل في العام ١ ميلادي قوة إلى أرمينية عزلت ملكيها ، وأقامت بدلهما الملك ارطفزد الرابع . وتوالى بعد ذلك عدد من الملوك على حكم أرمينية ، كانت آخرتهم الملكة « إيراتو » ، التي أعادها الأرمن إلى الحكم عام ١١ م ، ثم عزلوها عام ١٥ م . وبذلك أصبح العرش خالياً ، فاعتلاه ملك البارثيين السابق « فونونيس » عام ١٦ م دون تأييد من روما . لكن الأمير البارثي ارطبانوس ، خرج عليه وعزله ، وتولى الحكم بعده باسم الملك ارطبانوس الثالث حتى وفاته عام ٤٠ م .

ومما يقال في هذا العهد ، أنه يحكم إمارة الرها أو اورفا الأرمينية العربية المختلطة بإقليم ما بين النهرين ، من عام ١٣٦ ق . م إلى عام ٢١٦ م ، ملك أرميني هو « أبكار الخامس » ، من عام ١٣ إلى عام ٥١ م المعاصر للمسيح ، وقيل إنه كان أول الملوك المنتصرين ، وذلك حوالي عام ٣٠ م .



ديكران الكبير



فارطانماميكونيان



هايك

الفصل الثالث

أرمينية بين الرومان والبارثيين والفرس

بعد وفاة الملك أرطبانوس الثالث ، نشب صراع على السلطة بين ولديه اللذين حكماها معاً ، إلى أن قرر الامبراطور الروماني الجديد كلوديوس الأول ، استرداد أرمينية من البارثيين ، فتم له ذلك ، وأعاد إليها ملكها السابق متر يدات الثاني الايبيري ، الذي عزله أخوه ، وأقام بدلاً منه راد مست الايبري عام ٥١ م . وفي هذا العام ، تمكن البارثيون من غزو أرمينية مجدداً ، ونصَّبوا تريداد الأول ملكاً عليها . وفي عام ٥٤ تولى الامبراطور المعروف نيرون حكم رومانيا ، وقرر إعادة فرض سيادة روما على أرمينية ، ولم يتم له ذلك إلا في عام ٥٩ م ، بعد أن استولى قائده كوربولو على العاصمتين الأرمنيتين ارتكسات وديكرانوكرت ، وأقام الأمير الأرمني ديكران ابن اخ ملك أرمينية الأسبق ديكران الخامس والذي كان مقيماً في روما ، ملكاً على أرمينية باسم الملك ديكران السادس ، في العام ٦٠ م ، وبعد عام عين نيرون صديقه عديم الخبرة « باتيوس » ، قائداً ثانياً للقوات الرومانية

بالشرق إلى جانب كوربولو ، فأغار على أرمينية ، ثم انسحب عام ٦٢ إلى نهر الفرات ، حيث هاجمه ملك البارثيين وانتصر عليه ، وأرغمه على عقد صلح يتضمن إجلاء القوات الرومانية عن أرمينية . غير أن هذا الصلح لم يرق للقائد « كوربولو » ، فقصد أرمينية عام ٦٣ ، واتفق مع تريداد الأول أن يبقى ملكاً عليها إنما بصفته تابعاً لروما ، وبقي كذلك حتى وفاته عام ١٠٠ م . وبعد أن توالى على الحكم عدة ملوك من البارثيين ، قرر الامبراطور الروماني الجديد تراجان ، أن ينال مجداً مماثلاً للمجد الذي ناله الاسكندر الأكبر المقدوني . فوجه في عام ١١٤ حملة كبرى إلى أرمينية واستولى عليها ، بعد أن قتل ملكها « فارتماسريس » البارثي ، وجعلها ولاية رومانية ، وأقام قائده كاتليوس حاكماً عليها . ونتيجة لهذه الحملة التي عرفت بالحملة الشرقية ، حقق الامبراطور الروماني توسعاً كبيراً ، بلغ فيه نهر دجلة والخليج العربي .

إلا أن خليفته الامبراطور هادريان استصوب التخلي عن هذه الفتوحات ، وأعاد أرمينية إلى وضعها السابق ، وولى عليها الملك فولوجيس أوفغارش الأول عام ١١٧ ، فعاشت فترة سلام حتى عام ١٦١ .

حين أعلن ملك البارثيين الحرب على روما ، وهاجم قائده خسروف أرمينية ، واستولى على عاصمتها ارتكاست ، إلا أن الرومان عادوا واحتلوا أرمينية ودمروا عاصمتها ، وبنوا لها عاصمة جديدة هي « كاتيبولس » ، عند موقع مدينة فغار شباط .

وبعد أن توالى عليها عدد من الملوك البارثيين ، انشق عن آخر ملوكهم ارطبانوس الخامس ، تابعه اردشير الأول الذي قتله في معركة « هرمز » عام ٢٢٤ . وبمقتل الملك ارطبانوس انقرضت دولة البارثيين ، وقامت على أنقاضها الدولة الساسانية ، أو الدولة الفارسية القديمة الثالثة بزعامة اردشير الأول الذي أعلن نفسه ملك « الملوك » .

ومنذ قيامها ، سعت هذه الدولة إلى تقوية مركزها داخلياً وخارجياً ، فعلى الصعيد الداخلي أعادت بشكل رسمي الديانة القديمة التي أسسها زرادشت وأخذت تضطهد سائر الديانات الأخرى ومنها المسيحية . وعلى الصعيد الخارجي ، تطلعت إلى محاربة الرومان واسترداد الأملاك القديمة ، بخاصة وأن الهرم بدأ يدب في أوصال الامبراطورية الرومانية .

وبين دولتي الفرس والرومان ، والحروب التي قامت بينها ، واستمرت حوالي أربعة قرون . كانت أرمينية ، هي الضحية ، أو « تفاحة الشقاق » كما يقال ، حيث تأرجحت بين احتلال الرومان لها طوراً ، ثم الفرس طوراً آخر ، ثم الاستقلال حيناً ، والتقسيم إلى أرمينية الفارسية ، وأرمينية الرومانية أخيراً . وفي غمرة هذا التأرجح ، والاضطراب السياسي الذي بلغ ، إضافة للنزعات الخارجية ، حد الاضطهاد الديني والخلافات الداخلية . شهدت أرمينية ، أهم حدثين في تاريخها ، كان لهما الأثر الكبير في مجرى حياتها على كافة المستويات ، كما ساهما في انبعاث الأمة الأرمنية من جديد .

وقد تمثل الحدث الأول باعتناق أرمينية للمسيحية ديناً رسمياً في العام ٣٠١ ، وتمثل الحدث الثاني ، باختراع الأبجدية الأرمنية عام ٤٠٥ . ويعود الفضل باعتناق أرمينية للمسيحية إلى القديس غريغور المنور ، مؤسس كنيستها الوطنية ، في مدينة اتشميازين ومعناها « حيث نزل الوحيد » ؛ أي المسيح . وبذلك تعتبر أرمينية أول دولة في العالم تعتنق المسيحية ، حيث تلتها روما عام ٣١٢ ، وفرنسا ٤٩٦ ، وبريطانيا ٦٠٥ ، وألمانيا ٨٠٥ .

أما الفضل باختراع الأبجدية فيعود إلى القديس مسروب مشطوطس ، الذي ابتكر حروف الأبجدية الأرمنية ، وجعل لها شكلاً خاصاً ، وأفرعاً في ستة وثلاثين حرفاً ، زيدت في عهد الحروب الصليبية حرفان . وقد حدث ذلك الابتكار في عهد البطريرك اسحق الأول ، الذي شرع والقديس مسروب ، بترجمة الكتب المسيحية المقدسة ، كما بدأت في القرن الخامس ترجمة عيون الأدبين الإغريقي والروماني ، وفي ابتكار الأبجدية ، قيل إن القديس مسروب ، اخترع الدرع الواقي للأمة الأرمنية .

فقد حاولت الدولة الساسانية الفارسية ، أن تذيب أرمينية فيها ، عنصرياً ودينياً وحضارياً ، لكنها لم تنجح ، كذلك حاول الرومان السيطرة عليها من خلال سلطة الكنيسة ، لكنهم فشلوا أيضاً . فالأرمن قاوموا حملات الاضطهاد الديني الفارسي بصلابة ودفعوا العديد من الشهداء ومنهم قائد ثورة ٤٥١ وارطان الأول ماميكونيان ، الذي استشهد في معركة « افارير » ومعه حوالي ألف جندي ، ثم أخوه هماياك ماميكونيان ، ثم هوسيب الأول ، والقديس ليفون كما قتل الأمير فارسكين زوجته شوشانيك لرفضها الارتداد عن المسيحية .

أما عن محاولات الرومان للسيطرة الكنسية على الأرمن ، فقد جرت مناقشات حادة حول طبيعة المسيح إثر المجمع الخلقيدوني الذي انعقد ٤٥١ ، والذي لم تشترك فيه الكنيسة الأرمنية تأكيداً على استقلالها ؛ فقد رفض الأرمن هذا المجمع وقبلوا بالمجامع المسكونية الثلاثة التي سبقته وهي مجمع نيقية المنعقد عام ٣٢٥ ، ومجمع القسطنطينية المنعقد عام ٣٨١ ، ومجمع افسس المنعقد عام ٤٣١ . ويأتي رفضهم المذكور ، إدراكاً منهم لميل الدولة البيزنطية إلى فرض سياستها الخاصة على الأرمن وإذابتهم قومياً في البوتقة الرومانية .

وهكذا ، نرى كيف استطاع شعب أرمينية من الحفاظ على شخصيته وقوميته ووجوده ، وصمد أمام حروب طويلة وقاسية بين الرومان والفرس ، انتهت بانهيار المملكة الفارسية إثر الفتح العربي لها عام ٦٤٢ ، ثم بانضمام أرمينية إلى دولة الخلافة العربية الإسلامية .



نصب الأم الأرمنية



آرداشیس



ساتینیک

الفصل الرابع

الأرمن والعرب

يعتبر فتح العرب لأرمينية ، استكمال لفتحهم الشام وغرب إقليم الجزيرة .. وتختلف المصادر العربية عن المصادر الأرمنية والرومية والبيزنطية ، في تسجيل وقائعه تفصيلاً ، فتقول المصادر العربية وعلى رأسها كتاب « فتوح البلدان للمؤرخ البلاذرى » ، إن أول من قاد الغارات العربية على أرمينية ، هو الصحابي القديم القائد عياض بن غنم الفهري ، رفيق الصحابي والقائد أبي عبيدة عامر بن الجراح في فتح الشام ، ففي عام ٦٣٩ ، ولاه الخليفة عمر بن الخطاب قيادة الجيش العربي ، وعهد إليه بفتح الرها ، والرقة ، وحران ، ونصيبين ، وقرقسيا ، وسميساط ، ودياربكر ، وميافارقين .

وبعد أن تم له ذلك ، واصل الفتح والتقدم نحو الشمال الشرقي ، واقتحم أرمينية الرابعة حسب تحديد العرب لها ، والتي كانت تحت حكم الروم أيضاً ... وفتح أرزن الواقعة شرقي ميافارقين ، واتجه نحو بحيرة « وان » مخترقاً مسالك جبال طوروس ، فبلغ بدليس

جنوب هذه البحيرة ، ثم أخلاط شمالها ، التي صالحته ثم العين الحامضة ، ثم عاد إلى إقليم الجزيرة ، كما أنه وجه في عام ٦٤٠ ، الصحابي القائد حبيب بن مسلمة الفهري من شمشاط بعد فتحه لها نحو الجنوب الغربي إلى ملطية وزبطرة ففتحهما ...

وتقول المصادر العربية أيضاً ، إن فاتح أرمينية هو القائد حبيب بن مسلمة الفهري المذكور ، وذلك أنه في عام ٦٤٥ ولاه الخليفة عثمان بن عفان ، قيادة جيش مكون من ثلاثة آلاف مقاتل من عرب الشمال والجزيرة لفتح أرمينية ، فتقدم شمال شرق إلى قاليقا « أرضروم حالياً » ، وفتحها وأجلى أهلها عنها صلحاً ، ثم علم أن الروم يحشدون قوات كبيرة ضده ، فأرسل إلى الخليفة يستنجده ، فأمر واليه على الشام والكوفة معاوية بن أبي سفيان ، وسعيد بن العاص بإمداده ، فأمده الأول بجيش قوامه ألفي مقاتل من عرب الشام أنزلهم في قاليقا ليكونوا في مؤخرته ، وأمده الثاني بجيش آخر ، قوامه ستة آلاف مقاتل من عرب الكوفة ، بقيادة سليمان بن ربيعة الباهلي الملقب « بسلمان الخيل » الذي وصل بعد أن كان القائد حبيب بن مسلمة قد التقى بالروم بأعالي نهر الفرات الغربي وانتصر عليهم ، وبعدئذ أرسل القائد حبيب بن مسلمة ، قوة نحو الجنوب الشرقي إلى الضفاف الشمالية لبحيرة « وان » ، فأخضعت أرجيش وباجنيس وموش ، وأتم فتح أرمينية الرابعة ... ثم سار بقواته الرئيسية نحو الشرق متجهاً إلى أرمينية الثالثة ، حسب تحديد العرب لها التي كانت قد صارت بأكملها تحت حكم الروم ، بعد أن انهارت دولة الفرس الساسانية ، وعبر نهر الرس ، ودخلها وفتح بلدة أردشاط أو أزدساط ، وهي بلدة القرمز ، ثم حاصر دوين أو دبيل قصبة أرمينية الثالثة .. فاستسلمت له صلحاً ، ثم أرسل بعض قواته نحو الشرق إلى جارني فبلغتها إلى أشوش أو شوشة ، ثم اتجه جنوباً وفتح النشوى أو « ناختشيفان » ، فقدم له حاكم البسفرجان مصالحاً ، كما صالحه حاكم السيسان ، وبذلك أتم فتح أرمينية الثالثة ثم سار شمالاً إلى ايبيريا أو جورجيا ، وهي أرمينية الثانية التي كانت تعتبر دولة تابعة لمملكة الخزر ، وفتح عاصمتها تفليس صلحاً فأتم فتحها أيضاً ، وتم كل ذلك في المدة من عام ٦٤٥ إلى عام ٦٥٠ .

وفي عام ٦٥٠ سير الخليفة عثمان بن عمان ، القائد سراقة بن عمرو الأنصاري ، ومعه القائد سلمان بن ربيعة الباهلي ، لفتح إقليمي ألبانيا وأران أي أرمينية الأولى ، التي

كانت تعتبر أيضاً تابعة لدولة الخزر ، ففتحا مدن البيلقان وشمخور وعاصمتها بردعة ، ثم أوغلا شمالاً ، فصالحهما حكام موقان وشروان والباب الواقعة غربي بحر قزوين فأتما فتح أرمينية الأولى ، وفي عام ٦٥١ توجه القائد عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ، الذي خلف القائد سراقة بن عمرو ومعه أخوه القائد سلمان بن ربيعة الباهلي شمالاً ، لغزو مملكة الخزر القوية المتمركزة بشمال القوقاز ، والتي كانت أرمينية الأولى وأرمينية الثانية تعتبران تابعتين لها واقتربا من عاصمتها « بلنجر » .. ولكن الخزر هزموا قواتهما وقتلوهما ، وكانت هذه الحرب الأولى بين العرب والخزر وهؤلاء هم من أصل تتاري ، وكان ملكهم وكبراؤهم دون عامتهم يعتنقون الديانة اليهودية ، وقامت دولتهم من القرن السادس حتى القرن العاشر حين قضى عليهم الروس ...

وأما المصادر الأرمنية والبيزنطية ، وأهمها تاريخ هرقل للمؤرخ الأرمني المطران سبيوس من القرن السابع ، وتاريخ الخلفاء للمؤرخ الأرمني غفوند من القرن الثامن ، فإنها تقول إن العرب شنوا على أرمينية غارتين في عام ٦٤٠ ثم في عام ٦٤٢ ، ووصلوا في الغارة الثانية إلى جبل أرارات ، واستولوا على دوين عاصمة أرمينية الثانية وخربوها ثم انسحبوا بما غنموه ، ولم تستطع القوات الأرمنية بقيادة القائد تيودور الرشطواني اللحاق بهم لمقاتلتهم واسترداد الغنائم والأسرى منهم ، وفي عام ٦٤٥ ، وبعد انتصار العرب على الفرس وقضائهم على دولتهم ، وفتحهم لكل بلادهم دخل العرب إلى قلب أرمينية الثالثة من الشرق ، ووصولوا إلى جبل أرارات ، واستولوا على أزدشاط ، ولكن القوات الأرمنية تمكنت من صدهم في عام ٦٤٧ ، بقيادة القائد تيودور الرشطواني الذي عقد وحاكم الروم هدنة مع العرب لمدة ثلاث سنوات أكدت بقاء سيادة الروم على أرمينية .

وفي عام ٦٤٩ أمر ملك الروم قسطنس الثاني بعقد مجمع ديني في دوين بأرمينية الثالثة هو مجمع دوين الرابع لضم الأرمن إلى الكنيسة الرومية الأرثوذكسية الملكية ولكن جاثليق الأرمن الأرثوذكسي نرسيس الثالث وحاكم أرمينية وقائدها تيودور الرشطواني عارضاه وتمسكا بالمذهب المونوفيسي الذي تدين به الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية .. وفي عام ٦٥٣ عزل ملك الروم الأمير تيودور الرشطواني من منصب حاكم أرمينية وأعاد إليها

الأمير سمباطاً الخامس البجراطي حاكماً عليها كما أمرهما معاً بجمع القوات الأرمنية لمحاربة العرب في قبادوقية ...

غير أن والي الشام معاوية بن أبي سفيان عرض عليهما إبرام صلح تعترف بموجبه دولة الخلافة باستقلال أرمينية وتتعهد بإقامة حاكم عليها من أبنائها مقابل اعتراف أرمينية بسيادتها عليها والتزامها بدفع جزية ضئيلة قدرها عشرة ملايين درهم سنوياً إليها وتعهدها في زمن الحرب بمدها بخمسة عشر ألف فارس وقبولها وضع حامية عربية في عاصمتها دوين ، وهي شروط تعتبر في صالح أرمينية لأنها تتضمن الإبقاء على كيانها مقابل التزامات معقولة .. فعقد قائدها وأميرها المشار إليهما في هذا العام اجتماعاً لبحث هذا العرض شهده أمراء أرمينية وجاثليقها سالف الذكر .. وقرر المجتمعون قبوله وعقد الصلح بهذه الشروط لما تقدم وللخشية من هجوم العرب ولعدم الثقة في الروم لتعرضهم لدينهم .. وضماناً لتنفيذه أرسلوا الأميرين الأرمنيين سمباطاً الخامس البجراطي وجرجور الأول ماميكونيان رهينتين إلى الأمير معاوية بن أبي سفيان الذي صادق على الصلح وأقام الأمير الأرمني تيودور الرشطواني حاكماً أو إشخاناًعلى أرمينية من قبل دولة الخلافة .. كما أنه في نفس الفترة عام ٦٥٣ أقر الأميران جانشر ، واصطفان الثاني حاكماً ألبانيا وايبيرياً وهما أرمينية الأولى وأرمينية الثانية بسيادة دولة الخلافة عليهما ...

ورداً على ذلك قاد ملك الروم قسطنس الثاني حملة ضد أرمينية في العام نفسه دون أن يأبه لتحذير بن أبي سفيان من أن أرمينية صارت تابعة لدولة الخلافة .. واحتل كارن (أرضروم) عاصمة أرمينية الرابعة ثم دوين عاصمة أرمينية الثالثة وأقام الأميرالأرمني موشغ الثالث ماميكونيان حاكماً عليهما وهدد الأمراء الأرمن وجاثليقهم بتخريب بلادهم فانصاعوا له فيما عدا الأمير تيودور الرشطوني الذي ظل على ولائه لدولة الخلافة ولجأ إلى جزيرة أختمار في بحيرة « وان » ، وأيده أميرا ألبانيا وإيبيريا اللذان بقيا أيضاً على ولائهما لدولة الخلافة . ولهذا حين عاد ملك الروم إلى بلاده عام ٦٥٤ انحاز حاكم أرمينية ماميكونيان إلى العرب أيضاً ، واستدعاهم هو والأمير تيودور الرشطوني وصهر هذا الأخير الأمير الأرمني همازسب الثاني ماميكونيان للعودة لاسترداد أرمينية الثالثة وأرمينية الرابعة فعادوا إليهما واستردوهما بعد أن هزموا قوات الروم التي كانوا قد تركوها بهما بقيادة القائد

الرومي موريانوس أو الموريان عند أرزن .. فتم للعرب فتح كل أرمينية من جديد وإن كانت لم تستقر لهم إلا بعد عام ٦٦١ ..

ومما يجدر ذكره أن التقاء العرب بالأرمن في الحرب لأول مرة لم يكن أثناء فتحهم لبلادهم أرمينية بل إنهم التقوا بهم قبل هذا الفتح لأن أرمينية كانت قبله مقسمة بين دولتي الفرس الساسانية والروم البيزنطية ولهذا كان الأرمن يعملون في القوات المحاربة لهاتين الدولتين ، وقد سجل التاريخ أن قوات أرمينية بلغ عددها أربعة آلاف جندي كان يقودها الأميران الأرمنيان جرجور ماميكونيان « وهو طبعاً غير الأمير الأرمني جرجور الأول ماميكونيان السابق ذكره » وجرجور السيوني .. قاتلت ضمن القوات الفارسية التي قادها القائد الفارسي رستم في معركة القادسية بالعراق التي وقعت عام ٦٣٦ وأنهما قتلا معه فيها وأن قوات أرمينية أخرى عددها ١٢ ألف جندي كان يقودها قائد أرمني ثالث هو جرجة بن توزر قاتلت ضمن القوات الرومية التي حاربت العرب في معركة أجنادين بالشام عام ٦٣٤ ، وأنه طبقاً لرواية مؤرخي العرب فإن هذا القائد الأرمني قد تآخى مع القائد العربي خالد بن الوليد وأسلم في ساحة هذه المعركة قبل وقوعها وخاضها في جانب العرب ضد الروم حتى استشهد فيها .. وأن قائداً أرمنياً رابعاً هو فاهان قاد قوات الروم بعد معركة أجنادين بالشام ثم اشترك في معركة اليرموك في عام ٦٣٦ طبقاً لما سبق بيانه .. وأنه إثر انهزام قواته فر إلى الجولان حيث قتل ..

ومن ذكريات فتح العرب لأرمينية لدى الأرمن الملحمة الشعبية الأرمنية المعروفة « بملحمة داود الصاسوني »بطلهم الأسطوري الذي جسدوا فيه مقاومتهم لهذا الفتح ..ولم يزالوا يذكرونه ، وقد أقاموا له مؤخراً تمثالاً ممتطياً جواده السحري جلالى صنعه المثال الأرمني المعاصر إرفند كوشار ونصبوه أمام محطة السكة الحديد في يريغان ، وقد عاصر الفتح العربي لأرمينية المؤرخ الأرمني المطران سبيوس من أهالي القرن السابع وسجل أحداثه وأحداث الحرب الطاحنة التي سبقته بسنوات بين دولتي الفرس الساسانية والروم البيزنطية في تاريخه المسمى « تاريخ هرقل » . كما أن مؤرخاً أرمنياً آخر هو غفوند من أهالي القرن الثامن قد سجل أيضاً أحداث الفتح العربي لأرمينية وأكمل تاريخ المطران سبيوس في كتابه المسمى « تاريخ الخلفاء » أو « تاريخ غزوات العرب لأرمينية » .



مشهد جميل لجبل أرارات الأكير



فان

وضع أرمينية في دولة الخلافة العربية الإسلامية

دخلت أرمينية في نطاق دولة الخلافة العربية الإسلامية وضمت إليها بصفتها إحدى ولاياتها ، والواقع أن أرمينيـة لم تندمج ولم تذب في هذه الدولة بل ظلت أرمينية داخلياً محتفظة بشخصيتها المميزة لها التي أبقتها لها لغتها القومية الخاصة وكنيستها الوطنية المستقلة وحكامها من أبنائها ..

وقد قسم الجغرافيون العرب أرمينية إلى أربع أرمينيات وهو تقسيم يشابه إلى حد ما تقسيم الرومان لها في أواخر عهدهم وتفصيل هذا التقسيم العربي هو :

أولاً : أرمينية الأولى

وهي بلاد الران أو أران أو ألبانيا « وهي طبعاً غير ألبانيا الحالية » أو الأغوان الواقعة شمالي المجرى الأدنى لنهر أراكس قبل اجتماعه بنهر كورا ومصبهما في بحر قزوين ـــ أي في الشمال الشرقي لمجموعة أرمينية وتطل على هذا البحر وقصبتها بردعة (برتف) ومن مدنها بجروان وورثان وأشـوش وكنجـه (كيروف آباد حاليـاً) والبيـلقان .. وكانت تمتد شرقاً لتشمل إقليم شروان الذي قصبته الشماخية (شماخي) ومن مدنه ميناء باكو ، ثم اقليمي دربند الواقع شماله الذي قصبته ميناء دربند أو باب الأبواب ، وموقان الواقع جنوبه والذي قصبته موقان .. وكانت أرمينية الأولى تحد شرقاً أرمينية الثالثة وهي تكون حالياً على وجه التقريب جمهورية آذربيجان ..

ثانياً : أرمينية الثانية

وهي بلاد جرزان أي جروزيا أو جورجيا أو الكرج أو ايبيريا الواقعة حول المجرى الأعلى لنهر كورا أي في الشمال الغربي لمجموع أرمينية وتطل على البحر الأسود ، وتشمل أيضاً الأبخاذ وجبال القوقاز أو قاف ـــ وكانت قصبتها تفليس ، وكانت تحد شمالاً أرمينية الثالثة ـــ وتكون حالياً على وجه التقريب جمهورية جورجيا ..

ثالثاً : أرمينية الثالثة

وهي البلاد الواقعة بين شرقي بحيرة وان والممتدة شرقاً حتى بحيرة أرمية وحتى نهر

الرس عند مجراه الوسط ثم بعده حتى بلاد الران .. أي في الجنوب الشرقي لمجموع أرمينية . وكانت تشمل بحيرة سيفان واقليم قطايق الحاوي لمدن أردشـاط ، ودوين ، وفغار شباط (اتشميـاتزين) ، ويريفـان ، وسيسـان ، والنشوى أو ناخشيفان الواقعة شرقي نهر الرس ومدينة أني وبغران ، وجبل أرارات .. وتشمل كذلك إقليمي بغروند والبسفرجان الحاويين مدينتي كغب ـــ ووان ـــ الواقعين غربي هذا النهر أيضاً .

كما أن أرمينية الثالثة كانت تصل إلى البحر الأسود عند ميناء طرابيزون ، وكانت قصبتها مدينة دوين أو دبيل التي كانت مقر والي دولة الخلافة على ارمينية بأقسامها الأربع ومقر جاثليق الكنيسة الأرمنية الوطنية ..

وكانت أرمينية الثالثة تحد جنوباً أرمينية الأولى وأرمينية الثانية وشرقاً أرمينية الرابعة ، وهي تكون الآن على وجه التقريب جمهورية أرمينيـة وجمهورية ناخشيغان ذات الحكم الذاتي وجزءاً من أرمينية الغربية بالدولة العثمانية السابقة يقع في جمهورية تركيا حالياً .

رابعاً : أرمينية الرابعة

وهي البلاد المحيطة ببحيرة وان والتي تمتد غرباً وشمال غرب منها حتى حدود دولة الروم البيزنطية بشرق آسيا الصغرى في سيواس (سبسطة) وقيصرية . وكانت تحوي أعالي نهر الفرات وروافده وأعالي نهر دجلة أي أنها واقعة في الجنوب الغربي لمجموعة أرمينية . وهي أقاليم سراج طير أي طارون وأقاليم مدن وسطان وأرجيش وأخلاط ، وملازكرد ، وموش ، وبدليس ، وأرزن ، وقـاليقـا .. وكانت هذه تمتـد جنـوباً وجنوب غرب إلى أقاليم مدن ميافارقين ، وآمد (دياربكر حالياً) وملطية ، وسميسـاط ، والرها ، ومرعش ، وكانت تحد غرباً أرمينية الثالثة .. وهي تكون حالياً جزءاً من أرمينية الغربية بالدولة العثمانية السابقة يقع في جمهورية تركيا الآن .

وفي منتصف القرون الوسطى قسمت أرمينية تقسيماً آخراً جديداً إلى أرمنيتين هما أولاً ـــ أرمينية الكبرى التي شملت أرمينية الثالثة والرابعة طبقاً للتقسيم العربي السابق ـــ وثانياً أرمينية الصغرى التي كانت تقع في إقليم قليقية بالزاوية الشمالية الشرقية للبحر المتوسط حول خليج الاسكندرية ، والمطل عليه بجمهورية تركيا حالياً ، والذي يجري به نهرا سيحان

وجيحان ، ويشمل سهليهما ويمتد إلى جبال طوروس شمالاً ويضم مدن أضنة ، وسيس ، والمصيصة ، وعين زربة ، وموانى مرسين ، وطرسوس ، وأياس . ثم بغراس .. وكان هذا التقسيم الجديد نتيجة لهجرة بعض الأرمن من أرمينية الكبرى بسبب زوال دولتهم فيها إلى إقليم قليقية وإقامتهم فيه دولة أرمنية جديدة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر سميت بأرمينية الصغرى أو مملكة سيس نسبة لعاصمتها وعاشت في المدة من عام ١٠٨٠ وحتى عام ١٣٧٥ .

ألف مسلمو دولة الخلافة العربية الإسلامية الوضع الخاص لأرمينية واحترموا عهود أسلافهم للشعب الأرمني التي أقرت وضعهم الخاص جرياً على تسامحهم وسماحة دينهم دين الإسلام إلى حد أنهم استنكروا اعتداء بعض حكامهم وأمرائهم على استقلال أرمينية المحدود ، واعتبروه خرقاً صارخاً لهذه العهود الملزمة شرعاً لدولتهم والتي روعيت فيها مصلحة طرفيها .. ولنتأمل الإدانة القوية من أحد المفكرين العرب المسلمين وهو الجغرافي العربي ابن حوقل النصيبي الذي عاش في القرن العاشر الميلادي للاعتداءات المذكورة على أرمينية في كتابه « صورة الأرض » فقد قال « كانت أرمينية في قديم الأيام لسنباط بن أشوط (الملك الأول البجراطي) ولأجداده ولم تزل في أيدي الكبراء منهم فأزالها أبو القاسم يوسف بن أبي الساج « الوالي التركي للخليفة العباسي المقتدر على أرمينية وآذربيجان عنهم وأخرجها من أيديهم وبأيديهم عهود للصدور الأوائل بإقرارهم على حالهم وأخذ الجزية منهم على ما جرت به مقاطعتهم . وكان بنو أمية وبنو العباس قد أقروهم على سكناتهم يقبضون الرسوم عليهم من جباياتهم فتحيفهم وقصدهم . ولم يفلح بعد غدرهم ولا ارتفعت لهم راية إلى اليوم . والغالب على أرمينية النصرانية وللسلطان عليهم كالخراج في كل عام . وكأنهم اليوم في عهد على حسب ما كانوا عليه بغير حقيقة تطرقهم السلاطين المجاورين لهم ، فيسبونهم ويؤذونهم ويحقرون ذمتهم .. وكان رقيقهم لا يباع ببغداد وأدركته كذلك إلى عام ٩٢٧ م ، لأنهم في ذمة معروفة ومعهم غير عهد » .

وعلى ما تقدم لم ينتشر الإسلام في أرمينية إلا انتشاراً محدوداً وكان انتشاره المحدود هذا في أرمينية الرابعة على ما سبق بيانه ، وكان سببه هو قربها من أقاليم دولة الخلافة ووجود حاميات عربية لها وتهجير بعض العرب إليها وخاصة من قبيلة ربيعة إذ نقلهم إليها الوالي

يزيد بن مزيد الشيباني في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (عام ٨٠٩) . وكان هذا التهجير على نطاق ضيق عموماً .. فلم يؤثر بصفة عامة في التكوين العنصري واللغوي لأرمينية . وقد لاحظ المستشرق البريطاني جاي لسترنج ذلك حينما قال في كتابه بلدان الخلافة الشرقية (أما أقاليم الران وشروان وجورجيا وأرمينية ، وهي في جملتها في شمال نهر الرس ، فقد كان يصعب عدها من ديار الإسلام ولهذا لم يتبسط البلدانيون العرب في وصفها .. لقد أقام فيها المسلمون منذ صدر الإسلام وولى الخلافة عليها عمالهم في أوقات مختلفة ، غير أن أغلب أهلها بقوا على نصرانيتهم حتى أوشكت العصور الوسطى أن تنتهي وما زالت هذه البلاد على ذلك حتى حل فيها المسلمون ثانية عقب الفتح المغولي ولا سيما بعد الحروب الكثيرة التي شنها تيمورلنك على جورجيا في ختام المائة الثامنة للهجرة (الرابعة عشرة ميلادية) إذ استقر فيها الترك فصار الإسلام السائد فيها) .

ومن أشهر الرجال الأرمن المسلمين الذين نبغوا في مصر والتي هاجروا إليها في عهد الدولة الفاطمية الأمير بدر الجمالي الأرمني المعروف بأمير الجيوش المتوفى في عام ١٠٩٤ وزير الخليفة الفاطمي المستنصر ومجدد الدولة الفاطمية .. وإليه ينسب حي الجمالية ، وحي مرجوش ، أي أمير الجيوش بالقاهرة .. وقد تولى الوزارة لمدة عشرين عاماً من عام ١٠٧٤ حتى عام ١٠٩٤ ، وقال عنه المؤرخ المصري المعروف المقريزي المتوفى سنة ١٤٤١ في كتابه (اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء) : « إن جنسه أرمني ، وإنه تحكم في مصر تحكم الملوك ، وأصلحها بعد فسادها ، وإنه كان عفوف النفس ، شديد البطش ، عالي الهمة ، عظيم الهيبة ، حسن التأني ، جميل السياسة .. مظفراً سعيد الجد سخياً مفضالاً ..) .

وكذلك نبغ بمصر من الأرمن الذين استعربوا وبقوا على المسيحية المؤرخ أبو صالح الأرمني الذي ألف في مصر في عام ١١٦٨ تاريخاً هو في الواقع وصفاً لكنائسها وأديرتها وبعض أحوالها وذكر ضمنه أنه كانت بها في عهد الدولة الفاطمية جالية مسيحية أرمنية هاجرت إليها وتجمعت حول وزرائها الأرمن رغم إسلامهم وكان لها بطريكها وكنائسها ودير بجنان الزهري (بركة الناصرية الآن) وآخر بالبساتين بالقاهرة ، ثم هاجرت منها إثر تولي السلطان صلاح الدين الأيوبي وزارتها في عام ١١٦٩ ، مؤذناً بزوال الدولة الفاطمية التي ألغاها في عام ١١٧١ .

ووردت أيضاً بالمراجع القديمة أسماء قليلات من النساء الأرمنيات ـــ المسلمات ـــ بلغ خمس منهن الملك وهن الأولى بدر الدجى أو قطر الندى أم الخليفة العباسي القائم (عـام ١٠٣١ / عـام ١٠٧٥) وزوجـة الخليفـة العبـاسـي القـادر (عام ٩٩١ / عام ١٠٣١) والمتوفاة في بغداد عام ١٠٦٠ .

والثانية قرة العين أو أرجوان زوجة الأمير محمد ذخيرة الدين بن الخليفة العباسي القائم (عام ١٠٣١ / عام ١٠٧٥) وأم الخليفة العباسي المقتدى (سنة ١٠٧٥ / عام ١٠٩٤) والمتوفاة في بغداد في عام ١١١٨ . بعد أن شهدت خلافته وخلافة حفيدها الخليفـة العباسي المستظهر (عام ١٠٩٤ / عام ١١١٨) وخلافة ابنه الخليفة العباسي المسترشد (عام ١١١٨ / عام ١١٣٥) .

والثالثة ست الملك بنت بدر الجمالي ، زوجة الخليفة الفاطمي المستعلى ، والرابعة بنت طلائع بن رزيك (التي لم يذكر اسمها) زوجة الخليفة الفاطمي العاضد .

والخامســة شجرة الدر أم خليـل زوجة المـلك الصـالح نجم الدين أيوب (عام ١٢٤٠ / عام ١٢٤٩) سـلطان مصر الأيوبي ، وكان لها فضـل كبير في هزيمة الحملة الصليبية التي قادها القديس لويس أو الملك لويس التاسع ملك فرنسا ضد مصر وأسره في عام ١٢٤٩ وقد تولت ملكة لمصر ثلاثة أشهر في عام ١٢٥٠ ثم خلعت نفسه وتزوجت وزيرها الملك المعز عز الدين أيبك التركماني فولى بعدها سلطاناً على مصر (عام ١٢٥٠ / عام ١٢٥٧) فكانت أول من تولى السلطنة من دولة المماليك المصري (عام ١٢٥٠ / عام ١٥١٧) بعد انقراض الدولة الأيوبية ثم توفيت مقتولة في عام ١٢٥٧ بالقاهرة ..

أرمينية منذ الفتح العربي حتى نهاية الدولة الأموية (عام ٦٥٣ / عام ٧٥٠)

كان أول حاكم أو أمير أو إشخـان لأرمينيـة في العهد العربي هو زعيمها تيودور الرشطوني الذي عقد في عام ٦٥٣ مع معاوية بن أبي سفيان الصلح الذي تم بموجبه وضع أرمينية تحت حماية أو سيادة دولة الخلافة العربية الإسلامية إذ أقامه معاوية إعمالاً لهذا الصلح حاكماً أو اشخاناً عليها من قبل هذه الدولة . وقد بقي على ولائه لها حتى بعد عودة الروم إلى أرمينية وانضمام كثير من أبنائها إليهم في ذات تلك السنة واعتصم في جزيرة اختمار

الواقعة في بحيرة وان ، ثم ساعد العرب على استعادة أرمينية من الروم في عام ٦٥٤ وبقي حاكماً أو اشخاناً عليها من قبل العرب حتى توفي في دمشق عاصمة الشام عام ٦٥٦ ، وإثر وفاته قام بدله زوج ابنته الأمير الأرمني هماز سب الثاني ماميكونيان حاكماً على أرمينية (عام ٦٥٦ / عام ٦٥٨) غير أن معاوية اضطر في سنة ٦٥٧ إلى سحب القوات العربية من أرمينية لحاجته إليها في الحرب الأهلية المسماة بالفتنة الكبرى (عام ٦٥٦ / عام ٦٦١) إثر مقتل الخليفة عثمان بن عفان .. وانحاز حاكم أرمينية المذكور إثر ذلك إلى الروم فعينوه حاكماً عليها من قبلهم ..

وفي عام ٦٦١ انتهت هذه الحرب الأهلية بدولة الخلافة بانتصار الأمير معاوية الذي تولى الخلافة وأسس الدولة الأموية وحصرها في بني أمية .. ثم كاتب حكام بلدان ما وراء القوقاز الثلاث أرمينية وألبانيا وايبيريا للعودة إلى طاعة دولة الخلافة فعادوا إليها دون قتال ــ وأقام على أرمينية حاكماً جديداً هو الأمير الأرمني جرجور الأول ماميكونيان (عام ٦٦٢ / عام ٦٨٥) أخو حاكمها السابق فظل يحكمها حتى عام ٦٨٥ وفي أول عهده أمر بأن تنقل من بلدة طرندة القريبة من ملطية أو من القسطنطينية في رواية أخرى إلى فغار شباط (إتشمياتزين) بأرمينية رفات القديس جرجور المنور مؤسس الكنيسة الأرمنية الوطنية ودفنها في كنيستها الأمر الذي أهل هذه البلدة الأخيرة لكي تكون فيما بعد وحتى الآن مقراً لجاثليق الأرمن رئيس هذه الكنيسة . وفي عام ٦٨١ في أواخر عهد هذا الحاكم قامت بدولة الخلافة الحرب الأهلية الثانية (عام ٦٨١ / عام ٦٩٢) نتيجة لصراع ثان على السلطة فيما بين الخليفة الأموي يزيد الأول بن معاوية بن أبي سفيان وبين الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي المطالب بالخلافة فانتهز حكام بلدان القوقاز الثلاث أرمينية ، وألبانيا ، وايبيريا هذه الفرصة وخلعوا طاعة دولة الخلافة وتحالفوا معاً ضدها ثم ضد دولة الخزر التي غزت بلادهم من الشمال .. وقد قتل حاكم أرمينية المذكور جرجور الأول ماميكونيان في هذه الغزوة في عام ٦٨٥ ... وإثر وفاة هذا الحاكم تولى بعده حكم أرمينية الأمير الأرمني أشوط الثاني البجراطي (عام ٦٨٦ / عام ٦٩٠) من أسرة البجارطة المنافسة لأسرة ماميكونيان التي عرفت بولائها للروم ، وذلك بموافقة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وتمكن من صد هجوم الخزر ، وانتهزت أيضاً دولة الروم فرصة ما حل

بدولة الخلافة فطمعت في استرداد أرمينية ، واضطر الخليفة المذكور في عام ٦٨٥ أن يبرم مع ملك الروم جوستنيان الثاني معاهدة اقتسمت بموجبها دولتا الخلافة والروم السيادة على أرمينيــة وخراجهــا .. ولم يكتفِ الروم بذلك فأرسـلوا في سنـة ٦٨٦ جيشــاً بقيـادة « ليونتيوس » إلى أرمينيـة للاستحواذ عليها .. فاضطر أميرها أشوط الثاني البجراطي إلى الاعتراف بسيادة الروم عليها ، ولكن دولة الخلافة أرسلت أيضاً جيشاً إلى أرمينية لطرد الروم منها .. فحاربه أميرها أشوط الثاني البجراطي بصفته تابعاً للروم وقتل أثناء الحرب عام ٦٩٠ .

وتمكن الروم من صد العرب عن أرمينية وفرضوا منذ عام ٦٨٦ وحتى عام ٦٩٣ سيطرتهم على بلدان ما وراء القوقاز الثـلاث أرمينيـة ، ألبانيا ، ايبيريا ، بل وألزموا مؤقتاً الأمراء الأرمن وجاثليقهم إسحق الثالث بالانضمام إلى كنيسة الروم الأرثوذكس الملكية ، وهي الكنيسة الرسمية لدولة الروم .. وذلك نتيجة للحملة الرومية التي قادها في ذات ذلك العام (عام ٦٩٠) ملكهم المذكور شخصياً إلى أرمينية ــ وقبل أن يعود منها أقام عليها من قبله حاكماً جديداً هو الأمير الأرمني نرسي كامسار كان (عام ٦٩٠ / عام ٦٩١) غير أنه لم يحكمهـا إلا سنة واحدة حيث استبدل به حاكماً آخر لأرمينية هو الأمير الأرمني سمباط السادس البجراطي (عام ٦٩١ / عام ٧١٧) .

وفي عام ٦٩٢ انتهت الحرب الأهلية الثانية في دولة الخلافة بانتصار الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان .. وإثر استقراره فيها نهض لاسترداد أملاك دولة الخلافة .. ففي عام ٦٩٣ أقام أخاه محمداً بن مروان الأموي والياً على بلدان القوقاز الثلاث ، فانتقل إلى أرمينية الرابعة حيث أمر باحتكار الدولة لتجارة السمك الذي يصطاد من بحيرة وان ، حيث كان مطلوباً في كل دولة الخلافة . وفي عام ٦٩٧ قصد أرمينية الثالثة حيث أطاعه حاكمها الأمير الأرمني سمباط السـادس البجراطي وأعلن ولاءه لدولة الخلافة .. ولما علم بذلك طيباريوس الثالث ملك الروم أمر بعزل البجراطي ، وأرسل حملة رومية للقبض عليه ، ولكنه تمكن من صدها عند قاليقا (أرضروم) في عام ٦٩٨ .

ورغم ذلك اعتزم نائب الوالي العربي عبد الله بن حاتم الباهلي القضاء على استقلال أرمينية بالقضاء على طبقة نخرارها أي أمرائها بحجة عدم ولائهم لدولة الخلافة فأمر في عام

٦٩٩ بالقبض عليهم ومصادرة أموالهم .. وأرسل حاكمها الأمير الأرمني سمباطاً السادس وجاثليقها إسحق الثالث رهينتين إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في دمشق .. ولكن الخليفة أفرج عنهما وأعادهما إلى أرمينية عام ٧٠٠ ، غير أن الأمير سمباطا اعتزم الرد بالقوة على هذه السياسة الجائرة فدعا في عام ٧٠١ إلى اجتماع عام لكل نخرار أرمينية في أكوجي على السفوح الشمالية لجبل أرارات شهده الأمير الأرمني ورد الرشطوني ابن الأمير تيودور الرشطوني الحاكم الأول لأرمينية من قبل دولة الخلافة وعقد الصلح معها ، وأمير اقليم البسفرجان الأرمني وغيرهما ، فقرروا الخروج على دولة الخلافة ، وحشدوا حشودهم وعبروا نهر الرس وساروا شرقاً لملاقاة الجيش العربي الذي قصدهم من ناخشيفان وتغلبوا عليه في معركة وردان كرد .

ولما بلغ خبر هذه الهزيمة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أمر واليه على إقليم ما وراء القوقاز كله أخاه محمد بن مروان الأموي ، وقائده عثمان بن الوليد بن عقبة الأموي الذي كان يقاتل الروم بالقرب من أرمينية الرابعة بالانضمام معاً للانتقام من الأرمن فساروا بقواتهما إليهم .. واستصوب الأرمن عام ٧٠٣ إرسال جاثليقهم إسحق الثالث برسالة إلى هذا الخليفة في دمشق يعلنون فيها عن ولائهم له وقبولهم أداء الجزية إليه ،وطلبهم العفو منه . غير أن هذا الجاثليق مرض في طريقه ومات في مدينة حران بإقليم الجزيرة . إلا أنه بناء على وصيته قبل وفاته وضعت الرسالة في يده وهو ميت لكي يتسلمها منه الوالي محمد بن مروان الأموي حال وصوله إلى حران .. وسرعان ما وصل وتسلمها منه وكان لها أعمق الأثر عليه ، فأمر القائد عثمان بن الوليد بن عقبة الأموي بكتابة رسالة جوابية متضمنة العفو عن الأرمن ووضعها في يد جاثليقهم الميت وأعاد جثته إليهم وهي تحملها . وعندما دخل هذا القائد دوين عاصمة أرمينية الثانية بر بالوعد ولم ينكل بالأرمن ، غير أن حاكمهم الأمير الأرمني سمباطاً السادس البجراطي خشي مغبة الأمر فانسحب إلى إقليم طايق المجاور الذي كان تحت سيطرة الروم .

وفي عام ٧٠٥ تولى الخلافة بعد أبيه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك فجدد في هذه السنة العزم على القضاء على استقلال أرمينية بالقضاء على طبقة نخرارها .. فلما بلغ ذلك حاكمها الأمير الأرمني سمباطاً السادس البجراطي خابر هؤلاء واتصل بالروم للقيام

على الوالي العربي محمد بن مروان الأموي ، فقام عليه الأرمن ، ولكنه تغلب عليهم ودخل عاصمتهم دوين عاصمة أرمينية الثالثة ، وقرر المضي في تنفيذ خطة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك وأوعز بتنفيذها إلى والي (ناخشيفان) فدعا ألفاً ومائتين من أسر النخرار إلى الاجتماع بكنيستها وبكنيسة مجاورة بعد أن أعطاهم الأمان بحجة استعراضهم ثم أغلقهما عليهم وأحرقهم أحياء فيهما ، وكان ضمن الحريق حاكم إقليم البسفرجان ــ الأرمني المسمى أيضاً سمباط البجراطي والأمراء الأرمن كريكور الأردزروني ــ وكوريون الأردرزوني ــ وورزشابوه الأماطوني .

ولم يخف المؤرخون العرب هذه الواقعة بل سجلها في تاريخه المؤرخ العربي اليعقوبي المتوفى في عام ٩٠٥ . كما سبى هذا الوالي العربي بعض أبناء النخرار الأرمن وأرسلهم رهائن إلى دمشق عاصمة دولة الخلافة .. وخاف حاكم أرمينية الأمير الأرمني سمباط السادس البجراطي فأوغل في أرمينية الثانية ايبيريا حيث أقام في بوتي على البحر الأسود ، إلا أنه في عام ٧١٠ عاد الخليفة الأموي الوليد الأول بن عبد الملك وغير سياسته الأرمينية إثر عدم استطاعة واليه محمد بن مروان الأموي التغلب على الخزر الذين عادوا إلى الإغارة من الشمال على إقليم ما وراء القوقاز ، فقد بان له أنه من الأصلح لدولة الخلافة الإبقاء على دولة أرمينية مستقلة والتحالف معها ضد الخزر ، وأقام بدلاً من واليه هذا أخاه القائد مسلمة بن عبد الملك الأموي ، الذي اشتهر في محاربة الروم ، والياً على إقليم ما وراء القوقاز كله وعهد إليه بمحاربة الخزر فتمكن في عام ٧١٤ من غزو بلادهم في شمال القوقاز والاستيلاء على دربند أو باب الأبواب الواقعة غرب بحرهم (بحر قزوين) . وأقام هذا الوالي الجديد على أرمينية عبد العزيز بن حاتم الباهلي نائباً له فعفا عن نخرارها ودعاهم إلى العودة إليها فعادوا وضمنهم حاكمها الأمير الأرمني سمباط السادس البجراطي الذي ظل قائماً في حكم أرمينية حتى وفاته في عام ٧١٧ .

هذا ويجدر ذكره أنه من عام ٧٠٧ إلى عام ٧٠٩ تمت إعادة بناء المسجد النبوي بالمدينة بإشراف وردان (ورطان) ، ويظن أنه معماري أرمني من البنائين الذين أرسلهم ملك الروم وقتئذ للمعاونة في هذه العملية ثم أسلم وبقي بالمدينة ، وذلك استناداً إلى حمله إسماً أرمنياً وكونه من الموالي لعدم نسبته وإلى ثبوت هذه المعاونة ...

٦٩٩ بالقبض عليهم ومصادرة أموالهم .. وأرسل حاكمها الأمير الأرمني سمباطاً السادس وجاثليقها إسحق الثالث رهينتين إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في دمشق .. ولكن الخليفة أفرج عنهما وأعادهما إلى أرمينية عام ٧٠٠ ، غير أن الأمير سمباطا اعتزم الرد بالقوة على هذه السياسة الجائرة فدعا في عام ٧٠١ إلى اجتماع عام لكل نخرار أرمينية في أكوجي على السفوح الشمالية لجبل أرارات شهده الأمير الأرمني ورد الرشطوني ابن الأمير تيودور الرشطوني الحاكم الأول لأرمينية من قبل دولة الخلافة وعقد الصلح معها ، وأمير اقليم البسفرجان الأرمني وغيرهما ، فقرروا الخروج على دولة الخلافة ، وحشدوا حشودهم وعبروا نهر الرس وساروا شرقاً لملاقاة الجيش العربي الذي قصدهم من ناخشيفان وتغلبوا عليه في معركة وردان كرد .

ولما بلغ خبر هذه الهزيمة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أمر واليه على إقليم ما وراء القوقاز كله أخاه محمد بن مروان الأموي ، وقائده عثمان بن الوليد بن عقبة الأموي الذي كان يقاتل الروم بالقرب من أرمينية الرابعة بالانضمام معاً للانتقام من الأرمن فساروا بقواتهما إليهم .. واستصوب الأرمن عام ٧٠٣ إرسال جاثليقهم إسحق الثالث برسالة إلى هذا الخليفة في دمشق يعلنون فيها عن ولائهم له وقبولهم أداء الجزية إليه ،وطلبهم العفو منه . غير أن هذا الجاثليق مرض في طريقه ومات في مدينة حران بإقليم الجزيرة . إلا أنه بناء على وصيته قبل وفاته وضعت الرسالة في يده وهو ميت لكي يتسلمها منه الوالي محمد بن مروان الأموي حال وصوله إلى حران .. وسرعان ما وصل وتسلمها منه وكان لها أعمق الأثر عليه ، فأمر القائد عثمان بن الوليد بن عقبة الأموي بكتابة رسالة جوابية متضمنة العفو عن الأرمن ووضعها في يد جاثليقهم الميت وأعاد جثته إليهم وهي تحملها . وعندما دخل هذا القائد دوين عاصمة أرمينية الثانية بر بالوعد ولم ينكل بالأرمن ، غير أن حاكمهم الأمير الأرمني سمباطاً السادس البجراطي خشي مغبة الأمر فانسحب إلى إقليم طايق المجاور الذي كان تحت سيطرة الروم .

وفي عام ٧٠٥ تولى الخلافة بعد أبيه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك فجدد في هذه السنة العزم على القضاء على استقلال أرمينية بالقضاء على طبقة نخرارها .. فلما بلغ ذلك حاكمها الأمير الأرمني سمباطاً السادس البجراطي خابر هؤلاء واتصل بالروم للقيام

على الوالي العربي محمد بن مروان الأموي ، فقام عليه الأرمن ، ولكنه تغلب عليهم ودخل عاصمتهم دوين عاصمة أرمينية الثالثة ، وقرر المضي في تنفيذ خطة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك وأوعز بتنفيذها إلى والي (ناخشيفان) فدعا ألفاً ومائتين من أسر النخرار إلى الاجتماع بكنيستها وبكنيسة مجاورة بعد أن أعطاهم الأمان بحجة استعراضهم ثم أغلقهما عليهم وأحرقهم أحياء فيهما ، وكان ضمن الحريق حاكم إقليم البسفرجان ـــ الأرمني المسمى أيضاً سمباط البجراطي والأمراء الأرمن كريكور الأردزروني ـــ وكوريون الأردرزوني ـــ وورزشابوه الأماطوني .

ولم يخف المؤرخون العرب هذه الواقعة بل سجلها في تاريخه المؤرخ العربي اليعقوبي المتوفى في عام ٩٠٥ . كما سبى هذا الوالي العربي بعض أبناء النخرار الأرمن وأرسلهم رهائن إلى دمشق عاصمة دولة الخلافة .. وخاف حاكم أرمينية الأمير الأرمني سمباط السادس البجراطي فأوغل في أرمينية الثانية ايبيريا حيث أقام في بوتي على البحر الأسود ، إلا أنه في عام ٧١٠ عاد الخليفة الأموي الوليد الأول بن عبد الملك وغير سياسته الأرمينية إثر عدم استطاعة واليه محمد بن مروان الأموي التغلب على الخزر الذين عادوا إلى الإغارة من الشمال على إقليم ما وراء القوقاز ، فقد بان له أنه من الأصلح لدولة الخلافة الإبقاء على دولة أرمينية مستقلة والتحالف معها ضد الخزر ، وأقام بدلاً من واليه هذا أخاه القائد مسلمة بن عبد الملك الأموي ، الذي اشتهر في محاربة الروم ، والياً على إقليم ما وراء القوقاز كله وعهد إليه بمحاربة الخزر فتمكن في عام ٧١٤ من غزو بلادهم في شمال القوقاز والاستيلاء على دربند أو باب الأبواب الواقعة غرب بحرهم (بحر قزوين) . وأقام هذا الوالي الجديد على أرمينية عبد العزيز بن حاتم الباهلي نائباً له فعفا عن نخرارها ودعاهم إلى العودة إليها فعادوا وضمنهم حاكمها الأمير الأرمني سمباط السادس البجراطي الذي ظل قائماً في حكم أرمينية حتى وفاته في عام ٧١٧ .

هذا ويجدر ذكره أنه من عام ٧٠٧ إلى عام ٧٠٩ تمت إعادة بناء المسجد النبوي بالمدينة بإشراف وردان (ورطان) ، ويظن أنه معماري أرمني من البنائين الذين أرسلهم ملك الروم وقتئذ للمعاونة في هذه العملية ثم أسلم وبقي بالمدينة ، وذلك استناداً إلى حمله إسماً أرمنياً وكونه من الموالي لعدم نسبته وإلى ثبوت هذه المعاونة ...

وفي عام ٧١٧ تولى الحكم في دولة الخلافة العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي الملقب بخامس الخلفاء الراشدين وخير خلفاء بني أمية ، وقد أشاد بعدالته جميع المؤرخين وضمنهم الأرمن . إذ عفا عن جميع نخرارها وسمح لمن كان محتجزاً منهم بدمشق عاصمة دولة الخلافة بالعودة إلى أرمينية ، ولكنه لم يعين لها حاكماً جديداً من أبنائها اكتفاء بجاثليق كنيستها الوطنية أو هانس الثالث الملقب بالحكيم أو بالفيلسوف الذي شغل هذا المنصب عن جدارة في المدة من عام ٧١٧ حتى عام ٨٢٨ وعقد في أثنائها مجمعاً دينياً مسيحياً في ملاذكرد في عام ٧٢٦ تمكن من توحيد عقائد الكنيستين الوطنيتين الأرمنية والسوريانية الأرثوذكسيتين المونوفيتين . هذا فضلاً عن مجمع دوين الديني المسيحي الأرمني الخامس الذي عقده في عام ٧١٨ وأدان فيه بدعة البوليسيين أو البيالصة الأرمنية الأصل .

وفي عهد هذا الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز تعاون الأرمن مع العرب لصد غارات الخزر الذين كانوا يعتبرون بحق متبربرين وغير متحضرين ـــ وخاصة بعد أن تحالف هؤلاء أي الخزر مع الروم ضد العرب ، وتمكنت جيوش العرب والأرمن المشتركة من صد الخزر فعلاً في عام ٧١٧ ، بل إنه في عهد الخليفة الأموي التالي يزيد الثاني بن عبد الملك أغار واليـه الذي أقامه على إقليم ما وراء القوقاز كله الجراح بن عبد الله الحكمي بهذه الجيوش العربية الأرمنية المختلطة في عام ٧٢٢ على بلاد الخزر ذاتها وعبر إليها جبال القوقاز شمالاً واستولى من جديد على دربند ثم على عاصمتهم بلنجر وعاد بأوفر الغنائم . على أن الحروب استمرت بعد ذلك سجالاً بين العرب والأرمن من جهة وبين الخزر من جهة أخرى وكان كل من الفريقين يوغل في بلاد الآخر حتى استولى العرب والأرمن على دربند من جديد واقترب الخزر من الموصل بإقليم الجزيرة بشمال العراق وذلك حتى عام ٧٣٨ في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك وكان يقود الجيوش العربية الأرمنية المختلطة في عهده وعهد خلفه الخليفة الأموي الوليد الثاني بن يزيد الثاني ولاة أرمينية العرب الجراح بن عبد الله الحكمي في ولايته الأولى عليها (عام ٧٢٢ / عام ٧٢٥) ثم مسلمة بن عبد الملك الأموي في ولايته الثانية عليها (عام ٧٢٥ / عام ٧٢٩) ثم الجراح بن عبد الله الحكم في ولايته الثانية عليها (عام ٧٢٩ / عام ٧٣٠) ، التي انتهت باستشهاده في حرب الخزر ، ثم سعيد بن عمر الحرش (عام ٧٣٠) ، ثم مسلمة بن عبد الملك الأموي في

ولايته الثالثة عليها (عام ٧٣٠ / عام ٧٣٢) ، ثم منذ عام ٧٣٢ مروان بن محمد بن مروان الأموي (عام ٧٣٢ / عام ٧٤٤) ابن واليها الأسبق محمد بن مروان الأموي والذي ولى الخلافة بعدئذ باسم الخليفة مروان الثاني بن محمد بن مروان الأموي (عام ٧٤٤ / عام ٧٥٠) وقد شاركهم في آخر حملاتهم حاكم أرمينية الأمير الأرمني أشوط الثالث البجراطي الآتي ذكره . وانتهت هذه الحروب في ذلك الزمان بصد الخزر عن إقليم ما وراء القوقاز ، والتغلب عليهم ، إذ شن الوالي مروان بن محمد بن مروان الأموي حملة كبرى ضد الخزر (عام ٨٣٧ / عام ٨٣٨) واقتحم في عام ٨٣٧ مملكتهم بشمال القوقاز واستولى من جديد على عاصمتهم بلنجر ووصل إلى آخر بلادهم إذ بلغ نهر الدون في جنوب روسيا ، فخضع له ملك الخزر وتظاهر باعتناق الإسلام ، وعاد الوالي مروان بن محمد الأموي في عام ٨٣٨ بقواته المكونة من العرب والأرمن التي كان يقود هؤلاء منهم حاكم أرمينية الأمير الأرمني المذكور .. ولم يجرؤ الخزر بعد هذه الحملة الكبرى على العودة إلى شن الغارات على أقاليم الخلافة إلا في عام ٨٦٤ ، في عهد خلفائها العباسيين . وقد كان الوالي العربي مروان بن محمد الأموي لإقليم ما وراء القوقاز وضمنه أرمينية من أنشط الولاة العرب الذين حكموه وقد ظل قائماً في حكمه اثنين وعشرين عاماً حتى ولي الخلافة ، وقد صد الخزر عن هذا الإقليم بل وأخضعهم على ما سبق بيانه . كما أنه نظم شؤون أرمينية الداخلية ، فقد أقام بموافقة الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عام ٧٣٢ حاكماً على أرمينية الأمير الأرمني أشوط الثالث البجراطي (عام ٧٣٢ / عام ٧٤٨) سالف الذكر .. وفي أول عهده عارض في إقامته الأميران الأرمنيان الأخوان جرجور ماميكونيان وداود ماميكونيان كبيرا أسرة ماميكونيان المنافسة لأسرته ، لأنهما كانا يأملان أن يؤول حكم أرمينية إلى اسرتهما لكونها أعرق أسرها .. فقبض عليهما الوالي مروان بن محمد الأموي وأرسلهما إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بعاصمته دمشق فأمر بنفيهما بعيداً إلى اليمن ..

كما ذهب إلى دمشق مختاراً الأمير الأرمني أشوط الثالث البجراطي حاكم أرمينية ليقدم ولاءه شخصياً لهذا الخليفة وليطالب برواتب فرسانه الأرمن ليضعهم في خدمة دولة الخلافة في حملتها الكبرى المزمع شنها على مملكة الخزر إعمالاً لصلح عام ٦٥٣ . وتأكيداً لهذا الولاء ولذلك الصلح اشتركت فعلاً قوة من هؤلاء الفرسان الأرمن بقيادة حاكمهم

شخصياً في هذه الحملة الكبرى ضد الخزر (عام ٧٣٧ / عام ٨٣٧) السابق ذكرها ..

وفي عـام ٧٤٤ خرج الوالي مروان بن محمد الأموي عن طاعة الخليفـة الأموي الجديد يزيد الثـالث بن الوليد بن عبد الملك (عام ٧٤٤) ثم عن طاعة خلفه وأخيه الخليفة الأموي التالي إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك (عام ٧٤٤) مطالباً بالخلافة لنفسه وتمكن من خلع هذا الأخير ووليها بدله في المدة من عام ٧٤٤ حتى عام ٧٥٠ حين زالت الدولة الأموية بانهزامه وقتله ، وفي هذه الأثناء انتهز الأميران الأرمنيان جرجور ماميكونيان وداود ماميكونيان فرصة الاضطراب الذي حل بدولة الخلافة ، وتمكنا من العودة إلى أرمينية حيث حاولا إثارة الفتنة ضد حاكمها الأمير الأرمني أشوط الثالث البجراطي ولكنه لجأ إلى الخليفة الأموي مروان الثاني بن محمد بن مروان فأمر بإعدام الأمير الأرمني داود ماميكونيان بعد التمثيل به وأجبر الأمير جرجور ماميكونيان على تقديم الولاء لحاكم أرمينية الأمير الأرمني أشـوط الثـاث البجراطي .. ولكنـه بعد تقديمه هذا الولاء مضطراً قام باستنفار النخرار الأرمن وانتهز فرصة بدء الثورة العباسية والحرب الأهلية في دولة الخلافة عام ٧٤٨ وتحرك الروم إلى أملاكها في هذه العام فأعلن عن ولائه لهم وخرج على حاكم أرمينية الأمير الأرمني أشوط الثالث البجراطي وتمكن من خلعه ومثل به انتقاماً لأخيه ، ثم أعلن نفسه حاكماً على أرمينيـة باســم الأمير جرجور الثـاني ماميكونيـان ، وســار إلى حدودها غرباً نحو قاليقا (أرضروم) للالتقاء بقوات الروم في عام ٧٥٠ ولكنه توفي فيها ..

وفي هذا العام زالت الدولة الأموية إثر انهزام آخر خلفائها مروان الثاني بن محمد الأموي أمام العباسيين في واقعة نهر الزاب الأكبر بشمال العراق ثم فراره إلى مصر ومقتله بها . وطوال عهد هذه الدولة الأموية كانت الحروب متصلة بينها وبين دولة الروم ولم تكن ميادينها قاصرة على أرمينية وحدها بل دارت أيضاً بعيداً عنها بحراً وبراً .

وبعد قيام الدولة العباسية اشتدت قبضتها على الأرمن واتجهت إلى إلغاء الاستقلال الذاتي لهم أو الحد منه وأرهقتهم بالضرائب وبالجزية واشتطت في جمعها منهم .

ولعل أبلغ وصف لحال أرمينية في ظل الدولة العباسية وما أرهقتها به ما روي عن الخليفة العباسي المتوكل أنه رأى في المنام نفسه راكباً بغلاً له رأس الأمير الأرمني أشوط بن

حمزة الأردزورني حاكم البسفرجان ـــ الذي كان يقيم مع غيره من الأمراء الأرمن بصفة رهائن في بلاط هذا الخليفة في عاصمته سامراء ، وكان آشوط الأرمني المذكور يقول « إلى كم تؤذينا » . وكان رد الأرمن على هذه السياسة الجائرة هو الهجرات الجماعية من أرمينية ومنها هجرة اثني عشر ألفاً بقيادة الأمير شابوه الأماطوني إلى أملاك دولة الروم البيزنطية في عهد الخليفة العباسي المنصور ثم الثورات المستمرة بأرمينية التي أفضت في نهاية الأمر إلى استقلالها .

وشجع الأرمن على القيام بهذه الثورات حتى حصلوا على استقلالهم الحروب المستمرة التي استطالت دون أن تسفر عن نتيجة حاسمة بين دولتي الخلافة العربية الإسلامية والروم البيزنطية على حدودهما المشتركة التي كانت تمتد شرق آسيا الصغرى (الأناضول) بوترٍ يبدأ في الشمال من الزاوية الجنوبية الشرقية للبحر الأسود ويتجه نحو الجنوب الغربي حيث ينتهي في الجنوب عند الزاوية الشمالية الشرقية للبحر المتوسط .

وقد اتخذت الحرب بين العرب والروم طابعاً دينياً ، وكانت تشن صيفاً وشتاء ، ولهذا أسماها العرب بالصوائف والشواتي ، وكان يتخللها تبادل الأسرى الذي أسماه العرب « بالفداء » . وكانت كل أرمينية تعتبر داخلة في ثغور دولة الخلافة وفي بنود دولة الروم ! إذ كانت تجري على أراضيها بعض حروبهما وكانت تتأرجح بينهما .

وصادف قيام الدولة العباسية عام ٧٥٠ ولاية الأمير الأرمني جرجور الثاني ماميكونيان الحكم على أرمينية تابعاً لدولة الروم . وقد توفي في هذه العام فخلفه أخوه الأمير الأرمني موشيغ الرابع ماميكونيان الذي أعلن عن تبعيته أيضاً لدولة الروم . فقاد ملكها قسطنطين الخامس في عام ٧٥١ حملة إلى أرمينية لمساعدته ضد دولة الخلافة منتهزاً فرصة الاضطراب الذي حل بها نتيجة للحرب الأهلية التي حدثت فيها وأدت إلى انتقال الخلافة من بني أمية إلى بني العباس . وتمكن في جنوب شرق الأناضول من الاستيلاء على ملطية وحصن قودية ولكنه لم يستطع فتح شمشاط . وفي شمال شرق الأناضول تمكنت قواته الرومية وقوات أرمينية قادها تابعه القائد الأرمني كوشان ، الذي كان لاجئاً لديه من الاستيلاء على حصن كمخ وعلى قاليقا (أرضروم حالياً) بمساعدة بعض الأرمن من

سكانها ،إلا أن قوات دولة الخلافة بقيادة القائد يزيد بن أسيد السلمي وبأوامر والي أرمينية أبو جعفر المنصور العباسي وتوجيهاته تمكنت في العام التالي عام ٧٥٢ من استرداد ملطية وحصن قلودية من الروم ، فلم يبقَ لهم إلا حصن كمخ فاضطر الأمير الأرمني موشغ الرابع ماميكونيان حاكم أرمينية إلى مغادرتها والالتجاء إلى الروم وعادت أرمينية إلى طاعة دولة الخلافة ، ولكن الخليفة العباسي لم يقم عليها حاكماً من أبنائها لأن أسرة ماميكونيان كانت موالية للروم ، ولأن أسرة البجارطة كانت موالية للأمويين ..

وكان أول الخلفاء العباسيين هو أبو العباس السفاح ، وقد أقام أخاه أبا جعفر المنصور العباسي والياً على الجزيرة وآذربيجان وأرمينية كلها طوال مدة خلافته حتى وفاته .. وعندئذ تولى بعده الخلافة أخوه أبو جعفر المنصور العباسي ..

وفي عام ٧٥٤ أقام الخليفة المنصور العباسي الأمير الأرمني إسحق الثالث البجراطي (عام ٧٥٤ / عام ٧٦١) وهو ابن عم الأمير الأرمني أشوط الثالث البجراطي حاكم أرمينية الأسبق حاكماً عليها ثم من بعده ابن أسبقهما الأمير الأرمني سمباط السابع البجراطي حاكماً عليها ، كما أنه في نفس العام ٧٥٤ أقام هذا الخليفة القائد يزيد بن أسيد السلمي ــ وأمه أميرة أرمنية هي بنت حاكم السيسان أو السيجان ــ والياً على كل أرمينية ، وأمره بشن حملة على الخزر شمال جبال القوقاز لدرء خطرهم على دولة الخلافة فعبر هذه الجبال شمالاً وأخضعهم ، وتزوج ابنة ملكهم ، على أنهم بعد عشرة أعوام وفي عام ٧٦٤ شنوا هجوماً على أملاك دولة الخلافة في اقليم ما وراء القوقاز ، واشتركت في هجومهم هذا قوات من الروس الذين كانوا عندئذ تابعين لهم ، وتمكنوا من الاستيلاء على تفليس عاصمة جروزيا أو أرمينية الثانية ، وعاثوا فيها تخريباً ، فوجه إليهم الخليفة المنصور العباسي حملة بقيادة القائد حميد بن قحطبة الطائي لاستردادها ، فوصلت إليهم بعد انسحابهم منها .. ويمثل اشتراك الروس في حملة الخزر هذه أول ذكر وعلاقة لهم بدولة الخلافة وبإقليم ما وراء القوقاز بما فيه أرمينية ..

وفي عام ٧٦٩ أقام الخليفة المنصور العباسي القائد بكاراً بن مسلم العقيلي ثم في عام ٧٧١ القائد الحسن بن قحطبة الطائي واليين على كل أرمينية . وفي عهد هذا الوالي الأخير المصادف لأواخر عهد أمير أرمينية سمباط السابع البجراطي ضعفت سلطته لزيادة سلطة

النخرار الأرمن ومنهم أمراء اقليم السفرجان الذي كان معقل أسرة الأردزروني حيث أقام الأخوة الثلاثة إسحق وهمازسب وخاتشيك من هذه الأسرة إمارة أرمنية تحدت أمير أرمينية وخرجت عن طاعة دولة الخلافة . كما أنه في عام ٧٧١ قامت في ارمينية ثورة شعبية عامة ضد دولة الخلافة رداً على مظالم ولاتها الثلاث المذكورين مؤخراً الذين أقامهم عليها الخليفة العباسي المنصور ، وانضم إلى هذه الثورة غالبية النخرار وقادها الأمير الأرمني أرطفزد ماميكونيان ، ولكن قوات دولة الخلافة بقيادة واليها الحسن بن قحطبة الطائي وبمساعدة الأمير الحاكم الأرمني سمباط السابع البجراطي تمكنت من إخماد هذه الثورة ، فلجأ قائدها إلى الروم ، ولكن الأمير الأرمني موشغ الرابع ماميكونيان حاكم أرمينية الأسبق الذي كان قد لجأ إلى الروم في عام ٧٥٢ عاد إلى أرمينية في عام ٧٧١ بعد إخماد ثورتها وقاد حرب عصابات ضد قوات دولة الخلافة باقليم بفروند وتمكن رغم قلة قواته من الانتصار عليها في معركتين عند قارس وبجران ، فانضمت إليه غالبية الشعب الأرمني ونخراره وحاول الاستيلاء على دوين وقاليقا (أرضروم حالياً) عاصمتي أرمينية الثالثة وأرمينية الرابعة فلم يستطع ، ولم تسعفه قوات الروم رغم دخولها إلى ارمينية الرابعة منذ سنة ٧٦٩ ، وانتهت حركته بانهزامه في عام ٧٧٢ أمام قوات الخلافة في معركتين عند أرجيش ثم عند باجروان أو بفروند حيث قتل وكثير من النخرار ، فضعفوا كما فقدت أسرة ماميكونيان معقلها في إقليم طارون ، وكاد أن يقضى عليها .

وفي عام ٧٧٢ وإثر انتهاء هذه الحركة دون تدخل من الروم قرر القائد الأرمني كورشان العامل في خدمتهم في حصن كمخ تركه والعودة إلى أرمينية وطارده قائد هذا الحصن وبعض حاميته ففاجأهم العرب وقتلوهم . كما أنه في هذا العام توفي الأمير الأرمني سمباط السابع البجراطي حاكم أرمينية فلم تقم دولة الخلافة بدله حتى عام ٧٨٠ . وفي عام ٧٧٤ تمكنت بعض قوات دولة الخلافة بقيادة الأمير سنان مولى الأمير عبد الله البطال من القضاء على إمارة البسفرجان ـــ الأرمنية وقتل اثنين من أمرائهما هما إسحق وهماز سب الأردزروني ، وفر ثالثهم خاتشيك الأردزروني ثم وقع في قبضة دولة الخلافة ومات سجيناً .

وفي عام ٧٧٥ تولى الخلافة الخليفة العباسي المهدي ، فأعاد القائد يزيد بن أسيد السلمي والياً على كل أرمينية .. وفي عهده كان كثير من الأرمن وضمنهم الأمير أرطفزد

ماميكونيان يعملون في خدمة الروم بعد التجائهم إلى دولتهم إثر ثوراتهم المتتابعة ضد دولة الخلافة منذ عام ٧٥٠ وقد قاد هذا الأخير في عام ٧٧٨ في عهد ملك الروم ليون الرابع حملة رومية أرمنية ناجحة ضد دولة الخلافة في إقليم قليقية .

وفي عام ٧٨٥ تولى الخلافة الخليفة العباسي الهادي ، ولم يبقَ في الخلافة إلا عاماً واحداً كان والياً فيها على أرمينية روح بن حاتم المهلبي ، وإثر وفاته خلفه أخوه الخليفة العباسي هارون الرشيد أشهر الخلفاء العباسيين ، وقد أقام خزيمة بن خازم التميمي والياً على أرمينية . ثم أشهر قواده يزيد بن مزيد الشيباني .

وكان الحاكم الفعلي لأرمينية طوال أربعة عشر عاماً .. وقد ضبط أرمينية ضبطاً شديداً وأسكن فيها بعض العرب من قبائل ربيعة بعد أن قامت الفتن فيها بعد العرب المهجرين إليها من قبل من قبائل نزارية (قيسية) ويمنية . وتمكن في عام ٧٩٥ بمساعدة القائد يحي الحرشي من القضاء على فتنة الخارجي أبو مسلم الشاري الذي خرج بأرمينية على دولة الخلافة .

وإثر وفاته أقام الخليفة العباسي هارون الرشيد في عام ٨٠١ ، وفي عام ٨٠٢ ولديه أسداً بن يزيد الشيباني واليين على أرمينية ، ثم أعاد في عام ٨٠٣ واليها الأسبق خزيمة بن خازم التميمي ومن أعماله في ولايته الثانية هذه قتله الأميرين الأرمنيين إسحق وهماز سب ابني الأمير الأرمني خاتشيك الأردزروني حاكم البسفرجان للتخلص من طبقة النخرار ، وحكم أرمينية حكماً مباشراً وهو ما وصفه المؤرخ العربي اليعقوبي ، المتوفى عام ٩٠٥ بأنه أسوأ سيرة لهذا الوالي .

وفي المدة من عام ٧٧٥ وحتى عام ٨٠٩ أي في عهد الخلفاء العباسيين المهدي والهادي والرشيد اشتدت الحروب بين دولتي الخلافة والروم ، ورجحت كفة دولة الخلافة وقد قاد بعض حملاتها الخليفة هارون الرشيد شخصياً قبل وبعد توليه الخلافة .. وقد تمكن من اختراق كل الأناضول أو آسيا الصغرى حتى وصل إلى نهايتها غرباً حيث يقع خليج القسطنطينية أمام هذه المدينة وهي عاصمة الروم في عام ٧٨١ وأجبر ملكتهم إيريني على عقد الصلح معه وأداء الجزية إليه .. ولم يوفق ملكهم الملك نقفور الأول وهو من أصل

عربي ، في نقض هذا الصلح ورد الخليفة هارون الرشيد على رسالته البذيئة المتضمنة ذلك بحملة ضده أسفرت عن صده في اقليم قليقية والاستيلاء على هرقلة في عام ٨٠٥ فاضطر الروم إلى إعادة أداء الجزية لدولة الخلافة . وكان لانتصار دولة الخلافة هذا أثره على أرمينية فقد عاد الأرمن إلى موالاتها وخاصة بعد أن أمر ملك الروم قسطنطين السادس في عام ٧٩٤ بنقل كثير من المهاجرين منهم لدولة الروم إلى جزيرة صقلية ..

ولما اطمأن الخليفة هارون الرشيد إلى ولاء غالبية الأرمن لدولة الخلافة وخشية من أن يخرج عليها أمراؤهم أي نخرارهم وولاتها وأعرابها . أعاد إليها حكامها الوطنيين من أمرائها التابعين لدولة الخلافة ولممثلها وهو واليها ، بأن أقام عليها في عام ٨٠٦ الأمير الأرمني أشوط الرابع البجراطي وهو ابن أميرها الأسبق سمباط السابع البجراطي ، وقد ظل يحكمها عشرين عاماً حتى عام ٨٢٦ أي حتى نهاية عهد هذا الخليفة ، وطوال عهد خلفه الخليفة العباسي الأمين ثم إلى أواسط عهد خلف هذا الأخير وأخيه الخليفة العباسي المأمون ، وقد لقب هذا الأمير الأرمني لشجاعته مساكير أي « آكل اللحوم » أو الوحش واتخذ باجران عاصمة له .. وكان مؤسساً للأسرة الحاكمة التي قدر لها في عام ٨٨٥ أن تنال استقلال أرمينية شأن الأقاليم الأخرى لدولة الخلافة التي استقلت أيضاً عندئذ ، بل وقدر لها أن تبقى في حكمها حتى عام ١٠٤٥ . ولم تعد هناك أهمية لولاة دولة الخلافة على أرمينية إذ كان بعضهم اسميين لم يقيموا فيها شخصياً بل أقاموا في بغداد عاصمة دولة الخلافة أو في بردعة بإقليم شروان ..

وقد أخلص الأمير الأرمني آشوط الرابع البجراطي حاكم أرمينية من قبل دولة الخلافة في خدمة هذه الدولة فحارب الخارجين عليها بها ، وفي اقليم ما وراء القوقاز وتغلب عليهم .. وقد ترتب على هذا الإخلاص تقوية مركزه ومركز أسرته حين أقام الخليفة العباسي المأمون عام ٨١٣ أميراً أرمنياً آخر من هذه الأسرة أشوط الأول بن أردنس حاكماً على ايبريا أو جورجيا أو جروزيا (عام ٨١٣) الذي عينه أيضاً (في ذات العام) حاكماً عليها ملك الروم ليون الخامس الملقب بالأرمني بناء على أن أصله الأرمني والمنتمي إلى أسرة الأردزروني الأرمنية فتعزز مركزه وأسس بها فرعاً حاكماً آخر من أسرته ظل يحكمها طويلاً حتى عام ١٨٠١ .

وإثر وفاة الأمير الأرمني أشوط الرابع البجراطي حاكم أرمينية في عام ٨٢٦ أقام الخليفة العباسي المأمون ابنه الأمير الأرمني سمباطاً الثامن البجراطي (عام ٨٢٦) حاكماً عليها ، وفي عام ٨٣٠ أشرك معه في حكمها أخاه الأمير الأرمني بجراط الثاني البجراطي ، وقسم بينهما أرمينية فخص الأول بالقسم الشرقي وهو اقليم نهر الرس بما فيه العاصمة باجران ، وخص الثاني بالقسم الغربي وهو اقليم طارون واقليم صاسون ، وفي عهدهما تم القضاء على حركة الثائر بابك الخرمي زعيم طائفة الخرمية الفارسي ، التي قامت ضد دولة الخلافة في اقليم آذربيجان الفارسي وفي اقليم الران المجاور له .

وفي عام ٨٤٧ تولى الخلافة الخليفة العباسي المتوكل ، (الذي لقب نيرون العرب لشدة مظالمه) وقد أقام في عام ٨٤٩ الأمير يوسف بن محمد المروزي والياً على أرمينية وأمره بجباية الجزية ممن سبق أن أعفوا منها من النخرار الأرمن فكلف هذا الوالي بذلك أمير أرزن العربي موسى بن زرارة الحرشي ، ولكن الأمير الأرمني بجراط الثاني البجراطي حاكم غرب أرمينية رفض أدائها وتحالف مع ابن أخته الأمير أشوط بن حمزة الأردزروني أمير اقليم البسفرجاني ، وتمكنا من حشد قوات كثيرة من الأرض والتغلب على قوات دولة الخلافة التي أرسلها إليهما هذا الوالي بقيادة الأمير العربي موسى بن زرارة الحرشي وذلك في معركة جرت عند أغتزنك في عام ٨٥٠ فأرسل الخليفة العباسي المتوكل في نفس السنة حملة ثانية بقيادة واليه المذكور ضد الأرمن وأمره بالقبض على أمرائهم أو نخرارهم واقتيادهم أسرى إلى بلاطه في سامراء بشمال بغداد .. فقبض على الأمير الأرمني بجراط الثاني البجراطي حاكم غرب أرمينية وكثيرين غيره وأرسلهم إلى بلاط الخليفة العباسي المتوكل في عام ٨٥١ ، ولكن باقي الأمراء لم يمتثلوا له واستمالوا إلى صفهم الأمير العربي موسى بن زرارة الحرشي الذي كان متزوجاً أخت حاكمي أرمينية الأرمنيين ، وحاصروا الوالي الأمير يوسف بن محمد المروزي في موش وتغلبوا عليه وقتلوه في عام ٨٥٢ فأرسل الخليفة العباسي المتوكل حملة ثالثة كبيرة ضد الأرمن وحليفهم الأمير العربي موسى بن زرارة الحرشي للتنكيل بهم والأخذ بثأر واليه الذي قتلوه ، وأسند قيادتها إلى كبير قواده من الأتراك بغا الكبير الشرابي التركي ومعاونه القائد زيرك التركي فأتيا إلى أرمينية الرابعة وتمركزا في أخلاط ثم هاجما اقليم أرزن ومن بعده اقليم البسفرجان واسرا أميرهما الأمير العربي موسى بن زرارة الحرشي والأرمني

أشـوط بن حمزة الأردزروني ثم هاجما اقليم نهر الرس وأسـرا الأمير الأرمني سمباطاً الثامن البجراطي حاكم أرمينية وأرسلا الجميع إلى بلاط الخليفة المتوكل ، كما قتلا الكثيرين انتقاماً لمقتل الوالي يوسف بن محمد المروزي ، وتبعا من هرب ممن قاموا عليه إلى كل أنحاء اقليم ما وراء القوقاز واستوليا في عام ٨٥٣ على تفليس عاصمة أرمينية الثانية وقتلا واليها إسحق بن إسماعيل الأموي لاتهامه بالخروج على دولة الخلافة وخربا كل هذا الإقليم ولم يبقيا إلا على الأمير بجراط الأول البجراطي حاكم ايبيريا الذي لم يشكا في ولائه لهذه الدولة .

وظل حاكما أرمينيا الأميران بجراط الثاني البجراطي وسمباط الثامن البجراطي بالمنفى في سامراء حتى توفيا في عام ٨٥٢ وفي عام ٨٥٥ ، وكانا مع سائر الأمراء المنفيين رهائن في هذه المدينة .

وفي عـام ٨٥٣ تجددت الحروب بـين دولة الروم ودولة الخـلافـة التي بدأت في الضعف والانقسام ، وقد قاد قواتها في هذه الحروب عمر الأقطع أمير ملطية العربي ، وعلي بن يحيى الأرمني اللذان استشهدا فيهـا . وكان ثانيهمـا قد تولى في الفترة منذ تجدد هذه الحروب حتى استشهاده البالغة عشرة أعوام مركزاً قيادياً في دولة الخلافة تمكن استناداً إليه ومن خلاله أن يخدم بني جلدته الأرمن ؛ فقد سعى لدى الخليفة العباسي المتوكي لكي يطلق الأمراء الأرمن المحتجزين كرهائن في بلاطه وإعادتهم إلى أرمينية ولكي يرد أرمينية إلى وضعها المستقل الممتاز يحكمها الأمراء من أبنائها . فأقام الخليفة العباسي المتوكل في عام ٨٥٦ الأمير الأرمني أشوط الخامس البجراطي ، وهو ابن حاكم أرمينية السابق سمباط الثامن البجراطي حاكماً عليها . وأخذ يطلق تباعاً الأمراء الأرمن المذكورين فكان هذان الأمران ، ثم إقامة الخليفة العباسي المستعين للأمير القائد علي بن يحيى الأرمني ذاته والياً على أرمينية ، وهو الأمير الأرمني المســلم الوحيد الذي وليهـا ، كان ذلك بداية حصـول أرمينية على استقلالها . إذ أفضى إلى إقامة حاكمها الجديد أشوط الخامس البجراطي ملكاً عليها من دولة الخلافة ثم من دولة الروم أيضاً ...



متحف « الماديتا تاران »



كوميداس



ساياد نوفا

الفصل الخامس

أرْمِينْيَة الكُبْرَى المسْتَقلّة

بدأ استقـلال دولة أرمينيـة الكبرى ــ والتي أسميت بالكبرى تميزاً لها عن دولة أرمينيـة الصغرى التي نشـأت بعد زوالها في اقليم قليقيـة في جنوب الأناضـول (آسيـا الصغرى) على ساحل البحر المتوسط ــ بدأ هذا الاستقلال بتولية الخليفة العباسي المتوكل منذ عام ٨٥٦ للأمير الأرمني أشوط البجراطي إشخاناً على أرمينية وفي عام ٨٦٢ منحه الأمير علي بن يحي الأرمني والي أرمينية من قبل الخليفة العباسي المستعين لقب « بطريق البطـارقة » أي أمير الأمراء ... وقد ظل هذا الحاكم يحكـم أرمينيـة مدة ٢٩ عاماً حتى ٨٨٥ .

وانحاز إلى دولة الخلافة ضد الروم ، كذلك حارب الخارجين عليها بأرمينية سواء من العرب أو من الأرمن وساعد في ذلك واليها عيسى بن الشيخ الشيباني الذي صادقه فتمكنا في المدة من عام ٨٧٠ وحتى عام ٨٧٧ من القضاء على الإمارة القيسية العربية ..

وعلى إمارة بفروند الأرمينية التي كان يتزعمها الأمير الأرمني كريكور ماميكونيان في هذا الاقليم أي اقليم بفروند ..

كما حظي الأمير الأرمني أشوط الخامس البجراطي بتأييد جاثليق الكنيسة الأرمنية الوطنية كيفورك الثاني وجميع النخرار ، أي الأمراء الأرمن وعامتهم فطلبوا جميعاً في عام ٨٨٥ من الخليفة العباسي المعتمد إقامته ملكاً على أرمينية ، فأجابهم وأرسل إليه تاجاً . كما أن ملك الروم باسيل الأول الأرمني الأصل ومؤسس السلالة المقدونية استصوب الاعتراف بالأمير الأرمني أشوط الخامس البجراطي ملكاً على أرمينية ، فأقامه في العام نفسه ٨٨٥ ملكاً عليها أيضاً ، وأرسل إليه تاجاً آخر وقطعة من خشب الصليب الأصلي تأكيداً لرابطة المسيحية التي تجمعهما .

وفي عام ٨٨٥ توج الجاثليق الأرمني كيفورك الثاني هذا الأمير ملكاً على أرمينية بحضور النخرار وعامة الشعب في عاصمته باجران ... ونعمت أرمينية في عهد ملكها الجديد بالأمان والرخاء اللذين حرمت منهما طويلاً ، وقد سجل ذلك واشاد به في تاريخه لأرمينية جاثليقها أوهانس أو حنا الخامس الملقب بالمؤرخ الذي شهد هذا العهد .

وإثر وفاة ملك أشوط الأول الأكبر في عام ٨٩٠ خلفه في الحكم ابنه الملك الأرمني سمباط الأول البجراطي الملقب بالشهيد ، وتمكن في أول عهده من القضاء على محاولة عمه الأمير الأرمني عباس البجراطي اغتصاب الحكم منه فاعترف به ملكاً على أرمينية الخليفة العباسي المعتمد وملك الروم الجديد ليون السادس الملقب بالحكيم من سلالة ملوكها ذوي الأصل الأرمني التي أسسها أبوه ملك الروم السابق باسيل الأول ، بل وأنه في عام ٨٩٣ تحالف معه ملك أرمينية سمباط الأول البجراطي لما أيقن قوة دولة الروم وضعف دولة الخلافة في عهد خلفائها العباسيين المعاصرين له .. المعتضد ــ والمكتفي ــ والمقتدر ــ إذ بدأت دولة الروم تتغلب على دولة الخلافة في حروبهما المستمرة التي جرت براً وبحراً في ذلك الزمان والتي بدأت منذ عام ٨٦٤ .

ولئن كانت دولة الخلافة قد ضعفت فإن هذا الضعف قد لحق بسلطتها المركزية دون أن يصيب قوة الدول المستقلة المتفرعة عنها ، وقد كانت منها الدولة الساجية أو

الأفشينية التي أسسها في اقليم آذربيجان الفارسي واليه من قبل دولة الخلافة العباسية القائد أبو الساج ديوداد الأول الأفشين (عام ٨٧٩) وأصله من أمراء أشروسنة باقليم ما وراء النهر ، فقد استقل باقليم آذربيجان الفارسي ــ وعاصمته أردبيل ــ عن هذه الدولة ولم يرتبط بها إلا اسمياً باعترافه بسيادتها عليه . ثم خلفه في ولايته ابنه الأمير محمد بن ديوداد الأفشين الساجي (عام ٨٨٩) ، وفي عام ٨٩٥ انتهز فرصة إخضاع ملك أرمينية سمباط الأول البجراطي لبلدة دوين العاصمة القديمة لأرمينية وقبضه على الأميرين العربيين الحاكمين لها وإرسالهما إلى ملك الروم في ذلك العام ، فاعتبره خارجاً عن دولة الخلافة وسار إلى مملكته لإعادته إلى طاعة هذه الدولة واستولى على النشوى ودوين ثم قاتله في معركة دارت قرب جبل أرجتسي ، ولما لم يستطع تحقيق النصر عاد إلى ولايته آذربيجان الفارسية ، وأخذ يحرض على ملك أرمينية المذكور سمباط الأول البجراطي الأمراء الأرمن ولكنه لم يفلح ، لأن كبيرهم الأمير الأرمني أبا مروان الأردزروني باقليم البسفرجان انضم إلى هذا الملك فحرض عليه الخليفة العباسي المعتضد حتى استصدر منه في عام ٨٩٨ أمراً بعزل هذا الملك عن حكم أرمينية وبإضافتها إلى ولايته آذربيجان الفارسية . واعتزم الأمير محمد الساجي السير إلى أرمينية مرة أخرى للاستحواذ عليها بعد ضمها إلى ولايته ، غير أنه في العام ذاته سبقه إلى أرمينية وغزاها الأمير أحمد بن عيسى الشيخ الشيباني والي دياربكر فاستولى على إقليم طارون الأرمني وحشد كل حلفائه من الأمراء الأرمن قواتهم لملاقاة قوات ملك أرمينية سمباط الأول البجراطي وحلفائه من هؤلاء الذين نهض معهم لاسترداد هذا الاقليم وصد تلك الغزوة . ودارت بين الفريقين معركة عند بلدة طايخ انتهت بانهزام الملك سمباط الأول البجراطي وحلفائه بسبب انسحاب الأمير الأرمني أبي مروان الأردزروني من صفوفهم وانحيازه إلى الأمير أحمد بن عيسى الشيخ الشيباني ، ولكن هذا النصر لم يجد هذا الأمير لأنه توفي في العام التالي أي عام ٨٩٩ ، وعزل الخليفة العباسي المعتضد ابنه محمداً بن أحمد الشيباني الذي خلفه في ولايته وضمها إلى دولة الخلافة ، فتخلص بذلك ملك أرمينية سمباط الأ.ل البجراطي من خطر تلك الدولة الشيبانية التي كانت قائمة على الحدود الجنوبية لمملكته .

وفي عام ٨٩٩ غزا الأمير محمد الساجي أرمينية مرة ثانية للاستحواذ عليها وضمها

إلى ولايته اذربيجان الفارسية بناء على زوال الدولة الشيبانية التي نافسته في ذلك ، واستولى على بلدة قارس حيث أسر ملكة أرمينية والجاثليق الأرمني كيفورك الثاني واضطر ملك أرمينية سمباط الأول البجراطي لإعطائه ابنة أخيه زوجة له لكي يطلقهما ، ورغم ذلك واصل الأمير محمد الساجي زحفه على أرمينية واستولى على بلدة دوين ثم تفليس وبعدئذ رجع إلى ولايته . فعاد ملك أرمينية سمباط الأول البجراطي واسترد ما كان قد فقده ، غير أنه في عام ٩٠٠ غزا الأمير محمد الساجي أرمينية مرة ثالثة واستولى على بلدة وان ، ومنها سار عائداً إلى ولايته عن طريق بردعة حيث مات في عام ٩٠١ فسحب ابنه وخلفه الأمير ديوداد الثاني الساجي عام ٩٠١ قواته من أرمينية إلى ولايته آذربيجان الفارسية ليدبر أمورها ، ولكن عمه الأمير يوسف بن ديوداد الساجي الملقب « بالشيخ الكريم » تغلب عليه واستولى منه على الحكم في هذه الولاية (وقد بقي فيها حتى عام ٩٢٧ حين أرسله الخليفة العباسي المقتدر لمحاربة القرامطة في جنوب العراق حيث قتلوه) وانتهز ملك أرمينية سمباط الأول البجراطي فرصة انسحاب الساجيين من بلاده فاسترد وان وقضى نهائياً على الإمارة العربية القيسية ،وعلى إمارة سيوني الأرمنية بإقليم ناخشيغان في عامي ٩٠٢ و٩٠٣ ..

كما انتهز ملك أرمينية سمباط الأول البجراطي فرصة توتر العلاقات بين دولة الخلافة وبين الدولة الساجية باقليم آذربيجان الفارسي .. فأرسل في عام ٩٠٢ إلى الخليفة العباسي المكتفي يعلن ولاءه له فأقره ملكاً على أرمينية ، ولكنه رغم ذلك شن الأمير يوسف الساجي في عام ٩٠٣ حملة على أرمينية وأخذ بردعة ودوين ،واضطر ملك أرمينية سمباط الأول البجراطي إلى استرضائه ومصالحته فعاد إلى ولايته ، ولكنه في عام ٩٠٨ شن حملة ثانية على أرمينية بحجة تأييد أمير اقليم البسفرجان الأرمني خاتشيك الأردزروني الذي خرج على ملك أرمينية سمباط الأول البجراطي فاستولى على جنوبها وأقام هذا الأمير الأرمني ملكاً عليه (عام ٩٠٨) ، فانقسمت أرمينية إلى مملكتين ، وفي عام ٩١٠ شن الأمير يوسف الساجي حملة ثالثة على أرمينية لمساعدة تابعه الملك خاتشيك الأردزروني في ضم إقليم ناخشيفان إلى أملاكه واستولى عليه ثم على دوين وتفليس وانتصر وحلفاءه من النخرار الأرمن على ملك أرمينية سمباط الأول البجراطي في معركة دارت عند

تزكنـا فاغار على ضفاف نهر رزدان شمال مدينة يريفان وهرب إثرها هذاالملك إلى قلعة كابويد برت (أي القلعة الزرقاء) حيث اعتصم بها حتى استسلم في عام ٩١٣ ولما حاول بعدئذ الهرب قبض عليه الأمير يوسف السـاجي وأمر بصلبه فلقب « بالشهيد » وصار الأمير يوسف السـاجي هو المسيطر على أرمينية كلها وضمها لولايته وهو الأمر الذي استنكره المفكر والجغرافي العربي ابن حوقل النصيبـي واعتبره خرقاً للعهود المعطاة لأرمينية .

ولكن الظروف التـاليـة يسرت للأمير الأرمني أشوط البجراطي ابن ملك أرمينية سمباط الأول البجراطي ولاية ملكها بعد أبيه باسم الملك أشوط الثاني البجراطي فقد لجأ في عام ٩١٤ إلى ملكة الروم زوى أرملة ملكهم ليون السادس ـــ الملقب بالحكيم الأرمني الأصيل .. فأعادته إلى ملكه في هذا العام ، واعترف به الأمير يوسف الساجي ملكاً على أرمينية فأرسل إليه تاجا في عام ٩١٧ ، وفي عام ٩١٩ خرج الأمير يوسف الساجي . عن ولائـه لدولة الخلافة في عهد الخليفـة العبـاسـي المقتدر ، إذ ضم اقليم الري إلى ولايتـه آذربيجان الفارسية فأرسل إليه هذا الخليفة قائده المعروف مؤنساً الخادم فحاربه في معركة دارت عند عاصمته أردبيل وانتصر عليه وأسره وأرسله إلى بغداد حيث سجن بها ، وفي فترة عزله عنهـا آلت نيـابة عنه إلى تابعه الأمير سبك المفلحي ثم إلى تابعه الأمير نصر السبكي ..

وانتهز ملك أرمينية أشوط الثاني البجراطي ـــ الذي لقب بالحديد لقوته وشدته ـــ الفرصة وشن الحرب ضد دولة الخلافة وحليفها غريمه الملك خاتشيك الأردزروني ملك إقليم البسفرجان لطرد قواتها من أرمينيـة مؤيداً في ذلك من غاليـة النخرار الأرمن ومن الجاثليق الأرمني أوهانس الخامس .. وسافر إلى القسطنطينية عاصمة مملكة الروم في عام ٩٢١ حيث حصـل على تأييد ملكها رومانوس الأول ، الذي كان يعطف على الأرمن لكونه منهم وتحالف معه ، ولكن قواتهما الأرمنية والرومية لم تستطع في هذا العام الاستيلاء على دوين فتحالف أيضاً مع الأمير سبك المفحلي غلام الأمير يوسف الساجي ونائبه في آذربيجـان الفـارسية الذي كان يعتبر خارجاً على دولة الخلافة فمنحه هذا الأمير لقب « شاهنشاه » أي ملك الملوك وهو ما أقره الخليفة العباسي فيما بعد ..

وفي عام ٩٢٣ أعيد الأمير يوسف السـاجي إلى ولايته آذربيجان الفارسية فأقام

الأمير الأرمني أشوط البجراطي حاكم باجران وكغب ملكاً عليهما لينافس ابن عمه ملك أرمينية أشوط الثاني البجراطي ، بل وتابعه ملك البسفرجان خاتشيك الأردزروني بعد أن انحرف هذا الأخير عن ولائه له .. كما أن الأمير يوسف الساجي وجه حملة كبيرة قامت من دوين بقيادة غلامه بشير أسغار ضد ملك أرمينية أشوط الثاني البجراطي ، وأمره بالقبض عليه . ولكن القوات الأرمنية بقيادة أحسن قوادها الأمير الأرمني كريكور المرزبيدوني تمكنت من صدها عند بحيرة سيفان .

وفي عام ٩٢٧ أرسل ملك الروم رومانوس الأول الأرمني الأصل سابق الذكر حملة إلى دوين لمساعدة ملك أرمينية أشوط الثاني البجراطي في حربه ضد دولة الخلافة ــ وقادها القائد الرومي الأرمني الأصل حنا قرقاس .. واستولت هذه الحملة في طريقها على وان . ولكن نصراً السبكي غلام الأمير يوسف الساجي ونائبه تمكن من صدها عن دوين .. وفي عام ٩٢٨ توفي ملك أرمينية أشوط الثاني البجراطي قبل أن يشهد الانتصارات المتتالية التي أحرزتها بعدئذ دولة الروم على دولة الخلافة ، والتي كانت بدايتها هذه الحملة ..

وفي عام ٩٢٨ خلف الملك عباس الأول البجراطي في حكم أرمينية أخاه ملكها أشوط الثاني البجراطي الذي بدأ عهده بعقد صلح مع الأمير أبي المسافر الفتح بن محمد الساجي الوالي الجديد لآذربيجان الفارسية ..

كما أنه وطد تحالفه مع الروم واعتزم ملكهم رومانوس الأول الأرمني الأصل إجلاء قوات دولة الخلافة عن أرمينية كلها فأرسل مرة أخرى ثانية قواته بقيادة الدمستق حنا قرقاس ، وتمكنت بمساعدة خاتشيك ملك البسفرجان الأرمني من الاستيلاء في جنوبها بأرمينية الخارجة على خلاط وبدليس ، وأرزن ، ثم على ملطية بعد أن تغلبت على قوات دولة الخلافة ، التي كان يقودها الأمير ثمل الخادم والي طرسوس في المدة من عام ٩٢٨ حتى عام ٩٣١ ..

ورداً على هذه الغارات وفي عام ٩٣١ شن الأمير مفلح غلام الأمير يوسف الساجي الذي ولاه الخليفة العباسي المقتدر بعده وبعد خلفه الأمير أبي المسافر الفتح الساجي المشار إليه ، على آذربيجان الفارسية في عام ٩٣٠ ــ شن هذا الأمير غارة على

أملاك ملك أرمينية عباس الأول البجراطي بأرمينية الداخلة ووصل إلى دوين وتغلب على هذا الملك في معركة دارت عند فغار شباط (اتشمياتزين) ، ولكن خاتشيك الأردزروني ملك البسفرجان الأرمني خف لمساعدته فتمكنا من التغلب على الأمير مفلح وصده في معركة ثانية دارت عند دوين ...

وفي عام ٩٣٦ توفي الملك أشوط البجراطي ملك باجران الأرمني فضم ابن عمه ملك أرمينية عباس الأول البجراطي أملاكه ، ولكنه لم يستطع ضم اقليم البسفرجان إثر وفاة ملكه الأرمني خاتشيك الأردزروني في عام ٩٣٧ لقوة هذه المملكة التي نافست بحق مملكة أرمينية الكبرى وخاصة في عهد أول ملوكها هذا .. ومن أعماله أنه جدد بلدة أختمار ببحيرة وان والواقعة حولها مملكته لتكون عاصمتها بدلاً من بلدة وسطان ، وبنى كنيستها الشهيرة التي انتقل إليها مقر جاثليق الكنيسة الرمنية في عام ٩٢٨ ، وبقي بها حتى عام ٩٥٩ حين انتقل مؤقتاً إلى أني العاصمة الجديدة لمملكة أرمينية الكبرى .

وقد خلف هذا الملك في حكم مملكة البسفرجان ابنه الملك درنيك أشوط الأردزروني ..

وفي عام ٩٤٠ دارت الحرب بين العرب والروم حول بحيرة « وان » بأرمينية الخارجة واستولى الأمير سيف الدولة الحمداني نتيجة لها على بعض الأراضي الأرمينية ، وقدم له الولاء الملك الأردزروني وبعض النخرار الأرمن واضطروا إلى التخلي عن تحالفهم مع الروم ..

وفي الفترة من عام ٩٤٤ إلى عام ٩٥٥ دارت المعارك حول قاليقا (أرضروم) والحدث ومرعش وزبطرة ، وملطية بأرمينية الخارجة أيضاً وبقبادوكية وتبادلها العرب والروم .. وحقق الأمير سيف الدولة الحمداني نصراً في معركة دارت في عام ٩٥٣ على قائد الروم برطاس فوقاس ، وفيها أصيب واسر ابنه القائد قسطنطين فوقاس ، وقد سجل وقائع هذه المعركة الشاعر العربي أبو الطيب المتنبي في إحدى قصائده المعروفة .

وفي عام ٩٦٢ أرسل الأمير سيف الدولة الحمداني حملة بقيادة قائده وغلامه نجا

الكاسكي إلى أرمينية الخارجة فانتصر على الروم والأرمن عند حصن زياد (خربوط) وأسر ملك اقليم البسفرجان الأرمني (ابن الديراني) أبا سهل همازسب الأردزروني .. كما انتصر على الأمير العربي أبي الورد المتغلب على أرمينية الخارجة ، وقتله وفتحها هي وأخلاط وموش وملازكرد ، ولكن ملك أرمينية أشوط الثالث البجراطي تمكن من صده عن التقدم إلى أملاكه بأرمينية الداخلية .

وفي عام ٩٦٨ باشر ملك الروم نقفور الثاني فوقاس مع قادته فتوحه في الشام والجزيرة ، فاستولوا على طرابلس وحمص وأنطاكية وحلب والرها .

وفي عام ٩٦٩ خلف ملك الروم نقفور فوقاس إثر مقتله ملكهم يانس الشمشقيق أو حنا الأول ، وكان أرمنياً خالصاً وقيل إنه من أسرة الأردزروني ، ومعنى لقبه هذا باللغة الأرمنية (القصير القامة) .

وفي عام ٩٧٣ عقد ملك الروم يانس الشمشقيق معاهدة سلام وتحالف مع ملك أرمينية أشوط الثالث البجراطي ، بعد أن كان هذا الأخير قد حشد كل قواته وقوات النخرار الأرمن على حدوده ، مع دولة الروم قرب اقليم طارون الأرمني الذي كانت هذه الدولة قد ضمته إلى أملاكها في عام ٩٦٨ بناء على طلب أمرائه الأرمن ، وذلك خشية منها . غير أنه في العام التالي عام ٩٧٤ دخل ملك الروم هذا الاقليم في طريقه أثناء حملته الثانية على اقليم الجزيرة وطمأن الأرمن على حسن نيته نحوهم ، ولم يطلب منهم إلا إمداده بقوة منهم قوامها عشرة آلاف جندي .

وفي عام ٩٧٥ قاد شخصياً حملة كبرى على الشام بدأها من أنطاكية ثم استولى على حمص وبعلبك ودمشق والرملة والناصرة ، واقترب من القدس ثم عاد بدون سبب معروف ، وفي طريق العودة استولى على صيدا وبيروت وأرسل بعدئذ إلى حليفه ملك أرمينية أشوط الثالث البجراطي وأخبره بانتصاراته التي اعتبرها من المعجزات .

لكن مملكة أرمينية بدأت في الانقسام في عهد ملكها أشوط الثالث البجراطي فقد أقطع أخاه الأمير موشغ البجراطي اقليم قارس ومنحه لقب ملك إرضاء له في عام ٩٦٢ وولاه ملكاً حتى عام ٩٨٤ . كما أنه أقر ضم دولة الروم لاقليم طارون الأرمني الذي تم منذ

عام ٩٦٨ . ثم تلقب الأمير الأرمني لاقليم سيوني الأرمني بشرق مملكته سمباط السيوني بلقب الملك سمباط الثاني السيوني في عام ٩٧٠ ، فصار أربعة من الأمراء الأرمن يحملون لقب ملك هم ملك أرمينية ، وملك البسفرجان ، وملك قارس ، وملك سيوني . ثم صاروا خمسة في عام ٩٨٢ حينما تلقب الأمير الأرمني خورين البجراطي ابن الملك أشوط الثالث البجراطي حاكم اقليم لوري بشمال مملكة أرمينية بعد وفاة والده بلقب خورين الأول البجراطي ملك لوري ، وظل يحكم اقليمه هذا حتى عام ٩٨٩ .

وفي عام ٩٧٧ خلف الملك سمباط الثاني البجراطي أباه الملك أشوط الثالث البجراطي في حكم أرمينية ، وسار على سياسته السلمية ، ولكنه تصادم مع ملوك أرمينية المنافسين ، ومنهم أخوه خورين الأول البجراطي الذي أعلن نفسه ملكاً على لوري عام ٩٨٢ . وقد أدى هذا التصادم إلى استنجاد خورين خاتشيك الأردزروني ملك البسفرجان بوالي آذربيجان الفارسية الأمير مملات الأول بن أبي الهيجاء السلاري الديلمي .. فقصد أرمينية في عام ٩٨٨ واضطر ملكها سمباط الثاني البجراطي إلى إعلان الولاء له وأداء الجزية إليه .

وفي عام ٩٨٩ خلف الملك خاتشيك الأول البجراطي أخاه الملك سمباط الثاني البجراطي في حكم أرمينية . وقد تحالف مع الملك داود الثاني الأكبر البجراطي ملك ايبيريا الذي آلت عليه زعامة جميع الممالك المسيحية في اقليم ما وراء القوقاز ، فكان ذلك ممهداً لقيام مملكة الكرج أو جورجيا الموحدة في عام ١٠٠٨ وتصدرها هذه الممالك بعد أن فقدت مملكة أرمينية زعامتها لها . كما أنه في عهد ملك أرمينية هذا انتقل نهائياً وفي عام ٩٩٢ مقر جاثليق الكنيسة الأرمنية الوطنية إلى عاصمته آني ، وبقي بها حتى عام ١٠٥٤ أي بعد سقوطها .

وفي عام ١٠٢٠ خلف الملك سمباط الثالث البجراطي أباه الملك خاتشيك الأول البجراطي في حكم أرمينية . ولكن الملك لم يستقر له ، إذ نازعه فيه أخوه الملك أشوط الرابع البجراطي الملقب بالشجاع ، الذي نادى بنفسه ملكاً على أرمينية أيضاً ... وتدخل في النزاع ملك جورجيا والملوك الأرمن الآخرون بل وملك الروم باسيل الثاني ، الأرمني الأصل الذي كان يسعى لإضعاف كل هؤلاء الملوك وضم أملاكهم إلى مملكة الروم .

ولما توفي ملك أرمينية في عام ١٠٤٠ دون ولد لم يعترف ملك الروم الجديد عندئذ ميخائيل الرابع ، ومن بعده ملكهم قسطنطين التاسع ، لم يعترفا بأخيه الملك خاتشيك الثاني البجراطي آخر البجارطة من ملوك أرمينية ملكاً عليها ، بل ورشح ملك الروم قسطنطين التاسع سمباطاً الثالث السيوني ملك سيوني (عام ١٠١٩) ملكاً عليها ، وأيده في هذا الترشيح الجاثليق الأرمني بدروس الأول .

وأرسل قوة رومية إلى مدينة آنى عاصمة أرمينية ساندها هذا المرشح ، وداود الثاني البجراطي ملك لورى الأرمني .

ولكن عامة الشعب الأرمني ونخراره وعلى رأسهم القائد الأرمني بهرام كامسار كان بهلوني أيدوا الملك خاتشيك الثاني البجراطي في تولي حكم أرمينية وانتصروا على قوات الروم وحلفائهم من الأرمن التي أرسلت إلى آنى في عام ١٠٤١ . ونصبوا الملك خاتشيك الثاني البجراطي ملكاً على أرمينية في عام ١٠٤٢ . كما أنهم تمكنوا بقيادة هذا القائد من صد قوات الأمير أبي الأسوار شاور بن الفصل الشدادي الكردي والانتصار عليها عند بحيرة سيفان عام ١٠٤٢ أيضاً .. ولكن ملك أرمينية خاتشيك الثاني البجراطي قبل رغم ذلك ورغم نصيحة قائده التوجه إلى القسطنطينية عاصمة الروم لمفاوضة ملكهم قسطنطين التاسع على مستقبل أرمينية في عام ١٠٤٥ ، وهناك أجبره هذا الملك على التنازل عن مملكته لدولة الروم مقابل إقطاعه بعض الأراضي باقليم قليقية . ولم يعد ملك أرمينية خاتشيك الثاني البجراطي إلى مملكته قط .. بل أقام في القسطنطينية حيث اغتاله الروم في عام ١٠٧٩ ، وكان معه عندئذ تابعه أو قريبه الأمير روبين مؤسس مملكة أرمينية الصغرى في هذا الاقليم عام ١٠٨٠ والتي دامت حتى عام ١٣٧٥ .

وعقب هذا التنازل أرسل الروم قواتهم إلى آنى عاصمة مملكة أرمينية الكبرى ففتحتها بالقوة في عام ١٠٤٥ ، وانقرضت بذلك هذه المملكة . ولكن قوات الروم لم تستطع الاستيلاء على اقليم شيراك الأرمني الذي كان الأمير الأسوار شاورين الفضل الشدادي الكردي قد استولى عليه منذ عام ١٠٤٣ تنفيذاً لاتفاقه معهم بمهاجمة هذه المملكة .

ولا على دوين عاصمته التي كانت في يده من قبل رغم حملتين شنتهما ضده في عام

١٠٤٧ وفي عام ١٠٤٩ ، ولكنهم اضطروا في هذا العام الأخير إلى نقل عاصمته بعيداً عن متناول أيديهم إلى جنزة .. وكذلك أجبر ملك الروم قسطنطين العاشر ملك فارس الأرمني عباساً الثاني البجراطي الفارسي على التنازل له عن مملكته مقابل إقطاعه أراضي أخرى للروم ولم يبقَ من الممالك الأرمنية بعدئذ إلا مملكة لورى ، وكان آخر ملوكها كريكور الثاني البجراطي ، ومملكة سيوني وكان آخر ملوكها كريكور الخامس السيوني وقد خضعتا لدولة السلاجقة التي ضمت بلادهما نهائياً في سنة ١٠٩٠ .

ورغم ذلك بقيت للأرمن ثلاث إمارات صغيرة في الشرق بإقليم سيوني ، وفي جنوب وغرب بحيرة وان باقليم موقسين ، وفي الغرب باقليمي صاسون وشمشاط ، وكانت تحكم الأولى أسرة جاردمان التي انقرضت في عام ١١٦٦ وتحكم الثانية بقايا أسرة الأردزروني وتحكم الثالثة بقايا أسرى ماميكونيان تحت سيادة الروم حتى عام ١١٩٠ حين انقرضتا أيضاً وآلت أملاكها لدولة شاهات الأرمن التركية السلجوقية ..

ولم تلق دولة الروم بالاً وهي تقضي على هذه الدول الأرمنية أن فعلها هذا سيجردها من دول حاجزة ، بل من حلفاء طبيعيين ضد دولة الخلافة والدول المتفرعة منها .. وقد أفضى هذا القضاء إلى تعرض أملاك دولة الروم مباشرة لهجوم دولة السلاجقة المتفرعة من دولة الخلافة ، والتي بدأت قواتها في الظهور في أرمينية منذ عام ١٠٤٦ — حينما أغارت بقيادة الأمير قتلمش السلجوقي على اقليم البسفرجان ووصلت إلى بحيرة وان ، وكان هذا إنذاراً باستيلاء السلاجقة على كل أرمينية ثم على كل آسيا الصغرى ، بل وعل كل دولة الروم بسلسلة من الانتصارات عليها بدأت بمعركة ملاذكرد الحاسمة منذ عام ١٠٧١ ، وختمت باستيلاء خلفائهم العثمانيين على عاصمتها القسطنطينية في عام ١٤٥٣ .

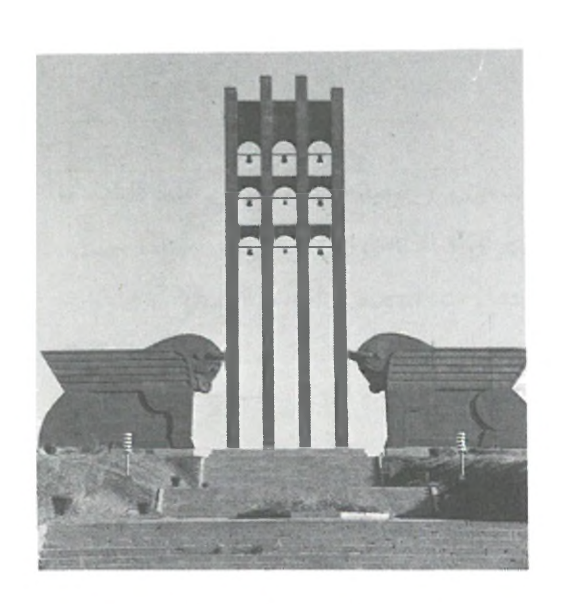
لقد كان عهد الملكة الأرمنية البجراطية عهد رخاء وتقدم وقوة للشعب الأرمني صقل طابعه حتى اعتبر عهدها نموذجاً سعى لاحتذائه رواد النهضة الفكرية الأرمنية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . فقد ازدهرت التجارة بينها وبين دولتي الروم والخلافة ، وكان لها طرقها التجارية البحرية عبر البحر الأسود من ميناء طرابيزون ، وعبر بحر قزوين من بردعة وطرقها التجارية البرية من وان إلى بدليس إلى الموصل ، ومن دوين إلى ناخشيفان .

كما ازدهرت الصناعات الدقيقة التي اشتهرت بها وخاصة الأقمشة والأخشاب

والأسلحة . وأقيمت بهذه المملكة مبان وكنائس كثيرة ذات طابع معماري خاص في مدن آني وقارس وبجران وكوتياس وأختمار وغيرها صممها المهندسون المعماريون الأرمن وأولهم تريداد المعروف ، الذي باشر نشاطه في المدة من عام ٩٨٠ إلى عام ١٠٠٠ (وكان ضمنه تجديد قبة كنيسة آيا صوفيا بالقسطنطينية عاصمة الروم) . حتى صارت آني عاصمة الأرمن منافسة لها في تزعم المسيحية الشرقية وتعرف « بمدينة الألف كنيسة وكنيسة » . وكذلك ظهرت بهذه المملكة مراكز علمية وثقافية ، كانت تتمركز في الأديرة ومكتباتها . ومنها تلك التي في طاطيق ، وجلاذرور ، وسيغان ، وقارس ، وجرت فيه الأنشطة في ذلك الزمان ، أي في القرنين العاشر والحادي عشر ، وضمنها أن كتب القديس والفيلسوف الأرمني كريكور الناركي المتوفى عام ١٠٠٣ « كتاب النياح » وهو مجموعة أشعار فلسفية صوفية حيكت بأسلوب مزامير داود وألحاناً موسيقية ، وان كتب المؤرخ الأرمني توما الأردزروني تاريخاً لأسرته آل الأردزروني ، وإن كتب المؤرخ الأرمني المطران أوختانس الرهاوي تاريخاً لأرمينية وتاريخاً للخلاف الديني بين الأرمن والكرج ، وإن كتب المؤرخ الأرمني اصطفان أسوغك تاريخاًلأرمينية من أحسن ما كتب عنها ، وإن كتب المؤرخ الأرمني أرستاكس لاستفري تاريخاً لأرمينية سجل فيه سقوط هذه المملكة .. كما أنه بعد سقوطها وفي القرن الثاني عشر رثاها بقصيدة شعرية الجاثليق الأرمني نرسيس الرابع شنورهاني ، وسجله أيضاً المؤرخ الأرمني صموئيل الآني في تاريخه العام ، كما جمع قوانينها الفقيه والمشرع الأرمني الأشهر ميختار غوش ، وقد بلغ من قوتها أن وصل مجموع جيشها ثمانين ألف جندي مقاتل ، وهابتها دولة الروم والخلافة المجاورتان لها .



تافيت الصاسوني



نصب معركة سارادار اباد البطولية



نصب تذكاري في بكفيا ــ لبنان

الفصل السادس

أرمينية في المنفى

قبل الحديث عن قيام مملكة أرمينية الصغرى أو أرمينية في المنفى في اقليم قليقية ، يجدر الحديث عن قدوم الأتراك إلى آسيا الصغرى (الأناضول) وتغييرهم أحوالها حيث أصبحت بلادهم ، بعد أن كانت بلاد الروم ابتداء منذ منتصف القرون الوسطى ، مما كان له أثر خطير على الشعب الأرمني .. وأول هذه الدول هي الدولة السلجوقية التركية الكبرى التي تأسست عام ١٠٤٠ ، واعتبرت إحدى الدول المستقلة المتفرعة عن دولة الخلافة العربية الإسلامية ..

وقد أسست الدولة السلجوقية قبائل بدائية من الترك الغزية الذين عرفوا فيما بعد بالتركمان الذين كانوا يتجولون بآسيا الوسطى . وقد بدأوا بشن سلسلة من الغارات والحروب في جميع الاتجاهات .. حتى تمكنوا من آسيا الصغرى .. ثم من كل الأناضول حيث استوطنوا فيه وضموه نهائياً لدولتهم ..

وقد ترتب على هذه الفتوح والاستيطانات التركية السلجوقية هجرة كثير من الروم (الاغريق) والأرمن من البلاد المفتوحة .. واتجهت الهجرة الأرمنية من أرمينية ، والخارجة منها على وجه الخصوص ، نحو الجنوب إلى الرها باقليم الجزيرة الغربي وإلى اقليم قبادوقية الذي كانت قد اتجهت إليه من قبل في أوائل القرن العاشر ، وإلى اقليم قليقية الواقع بجنوب الأناضول على الزاوية الشمالية الشرقية للبحر المتوسط حول خليج الاسكندرية ، والذي كان الروم قد هجروا إليه من قبل كثير من الأرمن إثر استيلائهم على بلادهم وضمها إلى أملاكهم .. وكان من هؤلاء الجاثليق الأرمني الذي ترك آنى منذ عام ١٠٥٤ ، وأخذ مقره ينتقل في اقليمي قليقية وقبادوقية ، وفي أرمينية ذاتها ، حتى استقر في عام ١١٥٠ بقلعة الروم على نهر الفرات الأعلى ..كما كان من هؤلاء خاتشيك القاني البجراطي آخر ملوك أرمينية الذي اغتاله الروم في عام ١٠٧٩ باقليم قليقية .. كما أنه كان منهم أيضاً الأميران المشهوران أوشين بن هيثوم ، وروبين ، وقد أقام كل منهما في هذا الاقليم إمارة أرمنية من أتباعه في الأرض التي أقطعها له الروم ، بدأتا في قلعة لامبرون ، وفي قلعة بارتزبرت في عام ١٠٧٢ وفي عام ١٠٨٠ .

غير أنهما في البداية لم يتزعمها الأرمن بل تزعم الأرمن قبل سلالتهما أمير أرمني ثالث هو القائد فيلاراطوس بجراميوس أو بهرام العامل في خدمة الروم ، وحاكم مرعش من قبلهم ، فقد رفض الاعتراف بملكهم الجديد ميخائيل السابع الذي أقاموه بعد أسر ملكهم رومانوس الرابع ، وتمكن من الاستيلاء منهم على مدن ملطية وطرسوس ، وعين زربة في عام ١٠٧٤ ، ثم على الرها في عام ١٠٧٧، ثم على أنطاكية في عام ١٠٧٨، وكون دولة أرمنية كبيرة امتدت في اقليمي قبادوقية وقليقية ، وأعلن الأميران الأرمنيان أوشين وروبين عن ولائهما له . ثم أعلن هو عن ولائه لملكي الروم التاليين نقفور الثالث ، والكسيوس الأول ، ليؤمن مساعدتهما له ضد السلاجقة ، ولكن هؤلاء أخذوا منه أنطاكية في عام ١٠٨٤ (وقد بقيت في أيديهم حتى عام ١٠٩٨ حين استولى عليها الصليبيون ، ثم خرجت عليه الرها ثم أخذها السلاجقة أيضاً في عام ١٠٨٦ (وقد بقيت في أيديهم حتى عام ١٠٩٤ حين استولى عليها قائد أرمني آخر هو الأمير طوروس أحد قادة الأمير فيلاراطوس

بجراميوس ، ثم سلمها إلى الصليبيين في عام ١٠٩٨). ومات الأمير فيلاراطوس بجراميوس في عام ١٠٩٠ وليس في يديه غير مرعش وملطية .

ثم آلت مرعش إلى تابعه القائد الأرمني طاطول حتى سلمها إلى الصليبيين في عام ١٠٩٧ الذين سلموها بدورهم إلى الروم فأبقوه حاكماً عليها حتى عام ١١٠٤ . وأما ملطية فقد آلت إلى تابعه القائد الأرمني جبرائيل ، حتى استولى عليها الدانمشندية في عام ١١٠٣ . وكذلك نشأت في ذلك الزمان إمارة صغيرة في رعبان وقيسون على أعالي نهر الفرات شمالي مرعش أقامها القائد الأرمني كوغ باسيل ، الملقب باللص (أي سارق الممالك كما قيل) في عام ١٠٨٢ وظلت قائمة حتى قدوم الصليبيين في عام ١٠٩٧ ثم بعد وفاته في عام ١١١٢ وحتى عام ١١١٦ حين أخذتها إمارة الرهام الصليبية من خلفه باسيل طغا . وكانت دولة الأمير فيلاراطوس بجراميوس الأرمنية والدويلات الأرمنية الأخرى الصغيرة المشار إليها تؤذن بقيام دولة أرمينية الصغرى في اقليم قليقية وتعاونها مع الصليبيين ..

ولم تستطع دولة السلاجقة الكبرى مواصلة فتوحها لأنها ضعفت وأخذت في الانقسام منذ وفاة سلطانها ملكشاه في عام ١٠٩٢ ، ولأنه ظهرت قوة جديدة في الشرق الأوسط أوقفت مؤقتاً الزحف السلجوقي التركي على دولة الروم وكانت من أسباب تأجيل سقوطها . وهذه القوة هي « الصليبيون » .

وهكذا قامت مملكة أرمينية الصغرى أو الدولة الأرمنية الجديدة أو أرمينية) في المنفى (أو مملكة سيس كما أسميت فيما بعد نسبة إلى عاصمتها الأخيرة) في المنفى أي بعيداً عن أرمينية الأصلية ، وهي أرمينية الداخلة وأرمينية الخارجة ــ في اقليم قليقية من الأرمن المهاجرين إلى هذا الاقليم حول الإمارة التي أنشأها الأمير الأرمني روبين في قلعة باتزبرت على مقربة من سيس في عام ١٠٨٠ ، وهي السنة التالية لمقتل الملك خاتشيك الثاني البجراطي آخر ملوك أرمينية الكبرى ، التي أزالها الروم في عام ١٠٤٥ ، وكان هذا الأمير تابعاً له وحاضراً اغتيال الروم له ، وادعى قرابته له وأقسم أن يؤسس مملكة أرمنية جديدة تكون امتداداً للمملكة الأرمنية الزائلة ، وتعتنق المسيحية المونوفيسية الأرثوذكسية ، وتؤيد كنيستها الأرمنية المستقلة والمنفصلة عن الكنيسة المسيحية الرومية الأرثوذكسية .

وفي هذا كان يختلف عن الأمراء الأرمن السابقين عليه وهم أوشين وفيلاراطوس بجراميوس ، وطوروس ، وطاطول ، وجبرائيل .. فقد كانوا يعتنقون المسيحية الرومية الأرثوذكسية ، ولم يكن غيره يعتنق المسيحية المونوفيسية الأرثوذكسية إلا الأمير كوغ باسيل .. وقد سبق ذكر إقامة الأمير الأرمني فيلاراطوس بجراميوس دولة أرمنية كبيرة في اقليم قبادوقية وتمزقها قبل وفاته في عام ١٠٩٠ ، ثم الإمارات الأرمنية الصغيرة التي قامت معاصرة لها وبعدها على أنقاضها وضمنها إمارة الأمير الأرمني روبين الأول ، والتي خلفه فيها ابنه الأمير الأرمني قسطنطين الأول ، وفي عهده أتى الصليبيون إلى الشرق في عام ١٠٩٧ .

وكان من قادة الصليبيين الأمير بالدوين ، وقد اعتزم منذ بداية الحملة الصليبية الأولى إنشاء إمارة أرمنية صليبية مختلطة بزعامته اعتماداً على صداقته للأرمن منذ أن كان في عام ١٠٩٧ في نيقية ، إذ تصادق مع الأمير الأرمني بجراط ، الذي كان يعمل في خدمة ملك الروم ، وأخي الأمير الأرمني كوغ باسيل حاكم رعبان وقيسون السابق ذكرهما .. وهذا مثل ما فعله فيما بعد الأمراء الصليبيون الآخرون من إنشاء الإمارات الصليبية المشار إليها . ولهذا فقد انفصل الأمير بالدوين عن القوة الصليبية الرئيسية عند طوانة ، ودخل اقليم قليقية الذي كان يسكنه الأرمن ، ولكنه وجد ظروفه غير ملائمة لأن الأميرين الأرمنيين أوشين بن هيثون وقسطنطين الأول بن روبين كانا يتطلعان لإقامة دولة أرمنية به .. وقد لاقى الصليبيون بقليقية ثانيهما واستولوا على المصيصة القريبة من أملاكه ، التي كانت قد تمركزت في قلعة فهقة ، ثم انفصل الأمير بالدوين عن القوة الصليبية الرئيسية مرة أخرى عند مرعش وتوجه إلى الرها ، التي سلمها إليه في عام ١٠٩٨ حاكمها الأرمني الأمير طوروس وتبناه ، ثم تزوج الأمير بالدوين من أميرة أرمنية ، ونجح في إقامة إمارة أرمنية صليبية مختلطة ، إذ ولاه أهلها حكمها بعد أن قاموا على حاكمهم السابق ، وقتلوه في هذا العام ، ولكنه لم يلبث طويلاً في إمارته المختلطة هذه فقد استدعي إلى مملكة القدس كي يخلف ملكها في عام ١١٠٠ ، ولكن هذه الإمارة الأرمنية الصليبية المختلطة ظلت قائمة يحكمها أمراء صليبيون حتى استولى عليها في عام ١١٤٤ السلطان عماد الدين زنكي بن آقسنقر ..

وقد رحب الأرمن بالصليبيين ، وتعاونوا معهم ، وقدموا لهم كل المساعدات الحربية وغير الحربية ، بل صاهروهم إذ وجدوا فيهم ضالتهم المنشودة ، وهي البحث عن حلفاء بعد أن عاداهم واعتدى عليهم كل السلاجقة والترك والروم ، واستولوا على بلادهم واقتسموها . ولم يحل دون هذا التعاون اختلاف المذهب الديني المسيحي بين الأرمن وبين الصليبيين ، فقد سعوا جميعاً للتقارب ، وخاصة أن هؤلاء الآخرين صاروا منذ عام ٨٦٩ ، وبناء على مقررات مجمع القسطنطينية الرابع الديني المسيحي ، والتي تأكدت بالقطيعة التي تمت في عام ١٠٥٤ ـــ يختلفون أيضاً في المذهب عن الروم .

وأدى هذا التعاون إلى تحالف بين الأرمن والصليبيين ، وكان سند مملكة أرمينية الصغرى ، التي انطبعت بناء على ذلك وإلى حد كبير ، بطابع لاتيني (أوروبي غربي) ، هو اعتمادها على هؤلاء الصليبيين القادمين من أقصى الغرب من أوروبا ، ولما ضعف الصليبيون وجدت مملكة أرمينية الصغرى حليفاً جديداً في المغول غير المسلمين الذين قدموا بعد ما يزيد على القرن من أقصى الشرق من آسيا . ثم لما زالت الإمارات الصليبية من الشام ، واعتنق المغول الإسلام وزالت دولتهم التي أسسوها في الشرق الأوسط ، فقدت مملكة أرمينية الصغرى حلفاءها فسقطت في يد الدولة الإسلامية التي تفرعت عن دولة الخلافة ..

وفي ظل حماية الصليبيين في الشرق وخاصة حماية إمارتي الرها ذات الطابع الأرمني الصليبي وأنطاكية ، ذات مثل هذا الطابع إلى حد ما واللتين جاورتا اقليم قليقية ـــ في ظل حمايتها لهذا الاقليم من السلاجقة وبناء على معارضة الصليبيين عموماً في إعادته إلى دولة الروم ، بدأ الأمير الأرمني قسطنطين الأول بن روبين في تكوين مملكة أرمينية الصغرى ، ثم خلفه بعد وفاته ابنه الأمير الأرمني طوروس الأول ، وقد انفرد بزعامة الأرمن بعد وفاة منافسه الأمير الأرمني أوشين بن هيثوم في عام ١١١٠ ، واستسلام أمراء الإمارات الأخرى الأرمن للصليبيين في المدة من عام ١٠٩٧ حتى عام ١١١٨ ، وضم إلى أملاكه بلدتي سيس وعين زربة اللتين كان الروم قد استردوها عقب الحملة الصليبية الأولى . وخلفه أخوه الأمير ليفون الأول فواصل توسيع أملاكه وضم إليها في عام ١١٣٢ المصيصة ثم أضنة وطرسوس من الروم أيضاً فقامت فعلاً الدولة أو الإمارة الأرمنية الجديدة في سهل قليقية

الخصيب تحميها من الشمال جبال طوروس . ولكن ظهور هذه الدولة أثار غيرة الكونت ريموند بواتيه أمير أنطاكية الصليبي فحارب أميرها الأرمني هذا وأسره ثم أطلقه في عام ١١٣٦ ، كما اعتزم ملك الروم حنا الثاني كوفين القضاء على هذه الدولة ، وضم قليقية إلى مملكة الروم ، وشن حملة عليها في عام ١١٣٧ ، فاستولى فيها على طرسوس وأضنة ، والمصيصة ، وعين زربة ، وسيس ثم توجه إلى أنطاكية وهاجمها ، فأعلن أميرها الصليبي ريموند بواتيه ولاءه له . ثم عاد في عام ١١٣٨ إلى قليقية واستولى على قلعة فهقة وأسر بها الأمير ليفون الأول أمير أرمينية وولديه روبين وطوروس ، واقتادهم أسرى إلى القسطنطينية حيث مات الأمير ليفون الأول في عام ١١٤٢ بعد ضم إمارته إلى دولة الروم .

وفي عام ١١٤٣ تمكن الأمير الأرمني طوروس ابن الأمير ليفون حاكم أرمينية الصغرى السابق من الهرب من القسطنطينية ، والتجأ إلى ابن خاله الأمير جوسلين كورتناي الثاني أمير الرها الصليبي ، ثم عاد في عام ١١٤٥ إلى قليقية ، وتمكن من استرداد قلعة فهقة ، ثم في عام ١١٥١ تمكن من استرداد المصيصة وطرسوس ، وأضنة ، وعين زربة ، وسائر أملاك أبيه ، وصار طوروس الثاني حاكم وأمير أرمينية الصغرى ، ولم تفلح غارات الصليبيين والسلاجقة على بلاده التي شنت في الأعوام عام ١١٥٣ ، وعام ١١٥٤ ، وعام ١١٥٥ ، بتحريض من ملك الروم مانويل الأول في انتزاعها منه .. فسار هذا الملك في عام ١١٥٨ ، نحو الشرق لضم قليقية ، والقضاء على الدولة الارمنية بها بل وللسيطرة على إمارة أنطاكية الصليبية ، واستولى على عين زربة وطرسوس والمصيصة ، وأضنة ،وهرب الأمير الأرمني طوروس الثاني إلى الجبال ، ثم انتهت هذه الحرب بتوسيط الملك بالدوين الثالث ملك القدس الصليبي في عقد صلح اعترف بموجبه الأمير الأرمني طوروس الثاني بسيادة ملك الروم وترك له سهل اقليم قليقية ، فلم يبقَ له إلا جباله التي اعتصم بها ، ولما حاول نقض هذا الصلح واستولى على عين زربة في عام ١١٦٢ اضطر إلى التزامه في العام التالي .

وإثر وفاته في عام ١١٦٨ خلفه ابنه القاصر الأمير الأرمني روبين الثاني ، فخرج عليه عمه الأمير الأرمني مليح الأول ، الملقب بالمرتد ، الذي كان لاجئاً لدى السلطان نور الدين محمود بن زنكي حاكم حلب ثم دمشق أيضاً ، وخلف أبيه السلطان عماد الدين

زنكي بن آقسنقر الملقب بالشهيد حاكم الموصل وحلب ، الذي استرد الرها من الصليبيين عام ١١٤٤ على ما سبق ذكره .

وطلب الأمير الأرمني مليح الأول من السلطان نور الدين محمود المساعدة كي يتولى الإمارة بقليقية . فأعطاه قوة تمكن بها في عام ١١٧٠ ، من الاستيلاء عليها وخلع ابن أخيه الأمير الأرمني روبين الثاني وخلفه في حكمها .. وصار تابعاً للسلطان نور الدين محمود ، ولم يجد تحالف مانويل ملك الروم وأماليريك الأول ملك القدس الصليبي ضده منذ عام ١١٦٩ ، ولا حملة هذا الأخير ضده في عام ١١٧٣ في إزاحته عن إمارته ، بل وضم إليها من أملاك الروم المصيصة ، وطرسوس ، وأضنة في هذا العام ، وبقي حاكماً لها حتى بعد وفاة حليفه السلطان نور الدين محمود في عام ١١٧٤ ، وبعدئذ وفي عام ١١٧٥ اغتاله ابن أخ آخر له هو الأمير الأرمني روبين الثالث ، وتولى الإمارة بدله ، وعاد إلى التحالف مع الصليبيين، بل وحاول التقريب بين كنيسة روما الكاثوليكية ، وبين الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية في مجمع قلعة الروم الديني الأرمني المنعقد في عام ١١٨٠ . كما أنه حارب سلاجقة الروم فاستغاثوا بالسلطان صلاح الدين الأيوبي سلطان مصر والشام فغزا أرمينية الصغرى في عام ١١٨٠ ، وأعلن أميرها هذا ولاءه له ، ثم ترهبن وتنازل عن الحكم لأخيه الأمير الأرمني ليفون الثاني (عام ١١٨٧) ، الذي سعى لتدعيم إماراته فتمكن في عام ١١٨٨ في معركة دارت عند مرعش من صد هجوم السلاجقة الروميين على سيس ، التي نقل إليها عاصمته من طرسوس ، ومن الاستيلاء على بعض أملاكهم غرباً .. وعلى بغراس من إمارة أنطاكية الصليبية شرقاً .. وقد رحب عام ١١٩٠ كل الترحيب بالامبراطور الألماني فردريك الأول بربروسا ، حال مروره في إمارته قائداً جنوده الألمان للمشاركة في الحملة الصليبية الثالثة ، وقدم له كل المعونة ، وكلف المطران نرسيس لمبروناتسي بمفاتحته بشأن تأييد إمارته ، ورفعها إلى مصاف الممالك . ولكن الامبراطور ما لبث أن توفي غريقاً في نهر سالف بإمارة أرمينية الصغرى ذاتها حال عبوره له ، فعاد أغلب جنود حملته إلى بلادهم ، وتمكن الأمير الأرمني ليفون الثاني في عام ١١٩٤ من إلزام الأمير بوهيمند الثالث أمير أنطاكية الصليبي بطاعته ، ثم سعى لتقريب الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية من كنيسة روما الكاثوليكية في مجمع طرسوس الديني الأرمني المنعقد في عام ١١٩٦ حتى تمكن في عام

١١٩٧ من الحصول على لقب « ملك أرمينية » من البابا سلستين الثالث ، والامبراطور الألماني هنري السادس ، وأرسلا إليه تاجاً توجه به مندوبهما والجاثليق الأرمني كريكور السـادس في يوم ٦ كانون الثـاني عـام ١١٩٨ وهو عيد ميـلاد المسيح لدى الأرمن الأرثوذكس بكنيسة طرسوس ، لكونها مسقط رأس القديس بولس الرسول ، مقابل اعترافه برئاسة البابا الدينية ودخوله المجتمع الأوروبي الغربي ، وفي عهده ازدهرت مملكته إذ أدخل فيها إصلاحات داخلية اقتبسها من الإمارات الصليبية وجعلها مركزاً لتقاطع طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب ، وخاصة تجارة التوابل الآتية من الهند والشرق الأقصى ، ومنح الجنوبيين والبنادقة الإيطاليين امتيازات تجارية في موانئه المطلة على البحر المتوسط ، وهي أياس ، وطرسوس ، وقاريقوس ، وخاصة اياس التي زارها ووصفها في كتاب رحلاته الرحالة البندقي الإيطالي المعروف ماركو بولو في عام ١٢٧١ حتى صارت منافسة للاسكندرية بمصر في هذه التجـارة حتى أواسـط العهـد المملوكي بها ، حين زالت مملكـة أرمينيـة الصغرى .

وإثر وفاة الملك الأرمني ليفون الثـاني في عام ١٢١٩ خلفته ابنته الملكة زابل ، وتزوجت أولاً من الأمير فيليب بوهميند ابن أمير أنطاكية الصليبي بوهيمند الرابع ، الذي صـار بنـاء على ذلك ملكاً على أرمينية (عام ١٢٢٢) . ولكن الأمراء الأرمن خلعوه وقبضوا عليه ثم قتلوه ، لأنه لم ينفذ ما اشترطوا عليه حين ولوه عليهم أن يحيا حياة أرمينيا . ثم زوجها كبيرهم الأمير الأرمني قسطنطين الهيثومي حفيد الأرمن الأرمني أوشين بن هيثوم ـــ زوجها في عام ١٢٢٦ من ابنه الأمير الأرمني هيثوم ، الذي أعلنه ملكاً على أرمينية ، فانتقـل الملك إلى هذه الأسـرة المنـافسـة من قبل لأسرة روبين ، بل اتحدت الأسرتان المذكورتان في شخص الملك هيثوم الأول أو الأكبر .والتزم هذا الملك ، الذي أسماه العرب باسم حاتم ، بسياسة التحالف مع الصليبيين ، وتصالح مع إمارة أنطاكية الصليبية بوساطة ملك فرنسا القديس لويس أو لويس التاسع إبان وجوده بجزيرة قبرص أثناء حملته الصليبية ضد مصر والشام في المدة من عام ١٢٤٨ وحتى عام ١٢٥٤ .

وفي عهد ملك أرمينية الصغرى هيثوم الأول وصلت إلى الشرق الأدنى حملات المغـول الكـبرى ، وكانت مملكتـه أول الممـالك المسيحيـة تحالفـاً معهـم ضـد الممـالك

الإسلامية . وقد بدأت هذه الحملات المغولية الكبرى إثر توحيد زعيم المغول « تيموجين » لقبائلهم البدائية وتلقبه بلقب « جنكيز خان » أي ملك الملوك وحكمه لها ، وإقامته دولتهم الكبرى في عام ١٢٠٦ (وقد دامت حتى عام ١٢٩٤ .

وفي عام ١٢٣١ دخل المغول أرمينية الخارجة وخربوا بلادها ثم انشغلوا منذ عام ١٢٣٦ بحملة ضد الكرج انتهت بإخضاعهم وبالاستيلاء على أملاكهم في أرمينية الداخلة في آني وفارس في عام ١٢٣٩ . ولم يواصل المغول حملاتهم في أرمينية الخارجة والأناضول إلا في عام ١٢٤٢ في عهد سلطان سلاجقة الروم الجديد غياث الدين كيخسرو الثاني ، حين استولوا بقيادة قائدهم المعروف بايجو المغولي على أرضروم ، فجمع هذا السلطان جيشاً كبيراً من المسلمين من الترك والعرب ومن المسيحيين من الإغريق والفرنج ، والكرج ، والأرمن ، وتوجه إلى أرمينية الخارجة لصد المغول ، والتقى الفريقان في عام ١٢٤٣ عند كوسا داغ قرب أرزنجان ، حيث دارت معركة كبيرة انتهت بانهزام السلطان السلجوقي هذا وهربه إلى أنقرة ، فانتشر المغول في أملاكه في كل اتجاه ، واستولوا على أرزنجان وتوقات ، وسيواس ، وقيصرية ، وملطية ، ثم أخلاط ، وآمد في عام ١٢٤٥ ، واقتربوا من مملكة أرمينية الصغرى .

ووجد ملك أرمينية الصغرى هيثوم الأول في المغول حليفاً جديداً لأرمينية الصغرى بدلاً من الصليبيين الذين أخذت دولتهم تنهار ، فأرسل في عام ١٢٤٣ إلى القائد المغولي بايجو كتاباً يفيض بالولاء ، وكان أول من فكر من ملوك الدول المسيحية في تنصير المغول والتحالف معهم .

وفي عام ١٢٥٤ ذهب ملك أرمينية الصغرى هيثوم الأول شخصياً متنكراً وماشياً ، وليس معه إلا تابع واحد إلى قره قروم عاصمة المغول بمنغوليا ، حيث عقد له الخان الأكبر الجديد للمغول مانكوخان استقبالاً رسمياً في ١٣ أيلول عام ١٢٥٤ ، وفيه قدم ولاءه للخان الأكبر للمغول ، وحصل منه على وعد بوضع الكنيسة الأرمنية الوطنية الأرثوذكسية تحت حمايته ، وبتوجيه حملات مغولية ضد دول العباسيين والأيوبين والسلاجقة ، وهي الدول الإسلامية بآسيا الغربية للقضاء عليها . وفي عام ١٢٥٥ عاد ملك أرمينية هيثوم

الأول إليها وفي صحبته حملة مغولية بقيادة بايجو المغولي الذي فرض سيادة المغول على دولة سلاجقة الروم .

وقد سجل الكند سطبل سمباط الأرمني تفاصيل رحلته وسفارته في رسالة أرسلها من سمرقند إلى صهره الملك هنري الأول لوزجنان ملك قبرص في عام ١٢٤٨ .

وفي عام ١٢٦٢ أرسل السلطان الظاهر بيبرس قواته للاستيلاء على إمارة أنطاكية الصليبية ، ولكنه لم يتمكن من ذلك لتصدي ملك أرمينية هيثوم الأول بقوات أرمنية ومغولية ساعد بها قوات هذه الإمارة ، كما أنه في عام ١٢٦٣ نجح في صد قوات دولة بني قرمان التركية والمتمركزة في قونية .

وقاد السلطان الظاهر بيبرس في عام ١٢٦٦ حملة على الصليبيين بسواحل الشام فاستولى على قيصرية ، وحيفا بفلسطين على البحر المتوسط ، ثم صفد ، وتبنين ، ثم أرسل قائده الأمير سيف الدين قلاوون إلى مملكة أرمينية الصغرى ، ولما علم بذلك ملكها هيثوم الأول هرع إلى تبريز مرة ثانية لاستنجاد الايل خان المغولي الجديد أبغاخان ، وعند غيابه وصلت إلى مملكته الحملة المصرية المملوكية بقيادة الأمير سيف الدين قلاوون واشتبكت مع قواته التي كان يقودها ابناه الأميران الأرمنيان طوروس ، وليفون عند بلدة سرفنتكار أو حجر سروند ، وانتصرت عليها وقتلت ابنه الأول وأسرت الثاني ، وخربت حصن دربساك وميناء أياس ، ومدينة أضنة ، والعاصمة سيس ، وعادت بأربعين ألف أسير .

ثم وجه السلطان الظاهر بيبرس قواته إلى إمارة أنطاكية الصليبية التي صارت منعزلة وحيدة ففتحها في عام ١٢٦٨ بعد أن ظلت في يد الصليبيين مدة ١٧١ عاماً منذ عام ١٠٩٧ ، وسعى ملك أرمينية الصغرى هيثوم الأول لإطلاق ابنه الأمير الأرمني ليغون الذي صار ولي عهده من الأسر ، لعقد الصلح مع دولة المماليك المصرية ، فتم ذلك في ذات العام ١٢٦٨ باستبدال ابنه هذا بالأمير شمس الدين سنقر الأشقر من قادة المماليك ، الذين كانوا قد وقعوا في أسر المغول عند استيلائهم على حلب في عام ١٢٦٠ ، وقد أتى به من سمرقند ، بعد أن بحث طويلاً عن مكانه ، ومقابل تنازل مملكة أرمينية الصغرى عن قلاع جربساك وبهنسا ، ورعبان الواقعة بشرقها لدولة المماليك المصرية .

وأخيراً ، وفي عام ١٢٦٩ ترهبن ملك أرمينية الصغرى هيثوم الأول ، وتنازل عن ملكه لابنه الأمير ليفون ، بعد أن فشلت خططه الطموحة ، ولم تحقق آماله العريضة المبنية على التحالف مع المغول ، وكان أدهى ساسة وملوك أرمينية ، فقد رفع مملكة أرمينية الصغرى ، في وقت ما ، إلى المرتبة الأولى في تسيير السياسة الدولية ، ثم توفي بعدئذ في عام ١٢٧٠ .

وخلفه في ملك أرمينية الصغرى ابنه ليغون الثالث ، فأكد سياسة تحالفها مع المغول ، التي صارت لازمة لها بعد سقوط حليفتها وجارتها إمارة أنطاكية الصليبية ، وبعد أن أخذت دولة سلاجقة الروم الموالية للمغول تضعف وتنقسم وتقوم على أنقاضها إمارات تركية جديدة معادية لهم .

وكانت أول هذه الإمارات وأكبرها إمارة بني قرمان التركية ، التي نشأت غرب مملكة أرمينية الصغرى في بلدة لارندة في عام ١٢٥٦ ثم تمركزت في قونية .. وفي عهد ملك أرمينية الصغرى ليون الثالث شن المغول غارات جديدة على الشام في عام ١٢٧١ ، وفي عام ١٢٧٢ ، فكان رد السلطان الظاهر بيبرس عليها أن قاد بنفسه في عام ١٢٧٥ حملة ثانية ضد حليفتهم مملكة أرمينية الصغرى ، فخرب مدنها وعاصمتها سيس ، ثم شن في عام ١٢٧٧ حملة ثالثة ضد حليفتهم الأخرى سلطنة سلاجقة الروم ، ودخل عاصمتها قيصرية ، ولكنه عاد وانسحب منها لما اتجهت إليه القوات المغولية ، وبعدئذ وفي عام ١٢٧٨ عرض الإيلخان أبغاخان المغولي حاكم الدولة المغولية بإيران والعراق على هذا الملك أن يقمه سلطاناً على هذه السلطنة إضافة لمملكته ، ولكن ذلك لم يتم .

وفي عام ١٢٨٠ ثم في عام ١٢٨١ ، وفي عهد سلطان مصر والشام المملوكي المنصور سيف الدين قلاوون ، وهو القائد السابق الذي ولي الحكم عليهما ، وجه الإيلخان أبغاخان المغولي حملة استطلاعية ، ثم ثاني الحملات المغولية الكبرى لفتح الشام بقيادة أخيه القائد منكوتيمور المغولي ، وكان قرابة ثلثها من الجنود الأرمن والكرج بقيادة ملكيهم ليغون الثالث ، وديمتري الثاني البجراطي ، ومن الجنود الصليبيين ، وسارت هذه الحملة جنوباً حتى التقت بقوات المماليك عند حمص واستطاعت ميمنة الحملة المغولية المكونة من الأرمن والكرج كسر ميسرة المماليك المواجهة لها . ولكن قائدها منكوتيمور

المغولي أصيب في القتال فانهار قلبها الذي كان يقوده ، وانتهت المعركة بانهزامها وانسحابها من الشام ، فخلا الجو للسلطان المنصور قلاوون ، وتمكن أن يسترد من الصليبيين اللاذقية في عام ١٢٨٧ ، وطرابلس في عام ١٢٨٩ . فلم يبقَ لهم بكل الشام إلا عكا التي اعتزم فتحها أيضاً ، فلم يتيسر له ذلك لوفاته في عام ١٢٩٠ ، ففتحها في عام ١٢٩١ ابنه وخلفه السلطان الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون وبذلك تم تطهير الشام من الصليبيين وتصفية إماراتهم ، وكل آثار الحروب الصليبية في الشرق الأوسط . وكان ذلك بعد وفاة ملك أرمينية الصغرى ليغون الثالث في عام ١٢٨٩ .

وخلفه في حكم أرمينية الصغرى ابنه هيثوم الثاني الذي كان زاهداً ، وكل همه التقرب من البابا زعيم المسيحية الغربية ، ولهذا فإنه في عام ١٢٩٣ تنازل عن ملكها لأخيه التالي طوروس الثالث ، غير أنه في عام ١٢٩٦ خرج عليهما أخوهما الثالث الملك سمباط الأول ، واستولى على الملك ، وعزل أخاه طوروس الثالث وقتله . وفي عام ١٢٩٨ خرج على هذا الخارج الأخ الرابع الملك قسطنطين الثاني ، واستولى على الملك وعزل أخاه المذكور ، إلا أن الأرمن خرجوا على هذا الخارج الثاني ، وأعادوا في عام ١٢٩٩ إلى ملكهم الملك هيثوم الثاني الأسبق . وقد ظل فيه حتى عام ١٣٠٥ ، حين تنازل عنه نهائياً إلى الملك التالي لأرمينية الصغرى ليغون الرابع وهو ابن أخي ملكها الأسبق طوروس الثالث ، وتدل هذه التقلبات على اضطراب أحوال مملكة أرمينية الصغرى في عهد ملوكها هؤلاء .

هذا وفي عهدهم انتقل مقر جاثليق الكنيسة الأرمنية الوطنية الأرثوذكسية من قلعة الروم من أملاكهم الواقعة قرب رعبان على نهر الفرات عام ١٢٩٣ إلى سيس عاصمة مملكة أرمينية الصغرى وبقي فيها حتى بعد سقوط هذه المملكة في عام ١٣٧٥ وحتى عام ١٤٤١ ، حين انتقل للمرة الأخيرة إلى اتشمياتزين حيث بقي فيها حتى الآن .

كما يجدر بالذكر عن هؤلاء الملوك أن الملك هيثوم الثاني كتب قصيدة شعرية تاريخية سجل فيها أحداث عصره .

وانتهى أمر ملك أرمينية الصغرى ليغون الرابع وعمه ملكها السابق هيثوم الثاني بأن قتلهما الأمير المغولي بلرغوا أو برلغى سغير الايليخان المغولي أو لجايتوخان عام

١٣٠٧ . لرفضهما إقامة مسجد بسيس وشكواهما ضده في ذلك لهذا الايلخان المغولي .

كما أنه في أواخر عهد ملك أرمينية الصغرى ليغون الرابع انعقد في يوم ١٩ آذار عام ١٣٠٧ في سيس مجمع ديني أرمني أرثوذكسي هو مجمعها الأول للنظر في ضم الكنيسة الأرمنية الوطنية الأرثوذكسية إلى كنيسة روما الكاثوليكية ، ولم يتم ذلك لمعارضة مطارنة أرمينية الكبرى ، كما أنه لم يسفر عن ذلك أيضاً مثل هذا المجمع ، المنعقد في ٢٦ آب عام ١٣٤٣ في سيس كذلك ، وهو مجمعها الثاني .

وخلف ملك أرمينية الصغرى أوشين الأول وهو خامس الأخوة الأربع ملوكها المشار إليهم ، خلف في ملكها ابن أخيه ليغون الرابع .. فلم يجد صديقاً ولا حليفاً ، بعد أن استقر الإسلام في الدولة الايلخانية المغولية بايران والعراق إلا في الدول الأوروبية الغربية وممثلتها الباقية في الشرق وهي مملكة قبرص ...فتحالف معها وتزوج ابنة ملكها هنري الثاني لوزجنان أو لوسينان ... وفي عهد هذا الملك الأرمني لم تحدث إلا بعض الغارات المملوكية المصرية على مملكته التي صارت مألوفة . وإثر وفاته في عام ١٣٢٠ خلفه ابنه القاصر ليغون الخامس ملكاً على مملكة أرمينية الصغرى ، وفي عهده استمرت هذه الغارات في عام ١٣٢٢ وفي عام ١٣٣٥ وفي عام ١٣٣٧ ، حين دمر مرتين ميناء أياس الذي كان منافساً خطيراً لميناء الاسكندرية المصري في التجارة الدولية ، وخاصة في التوابل بين أوروبا وبين الهند ، والشرق الأقصى ، والتي كانت المورد الرئيسي لمملكة أرمينية الصغرى ، ولم يسمح بإعادة بنائه بعد تدميره في عام ١٣٢٢ إلا بشرط مقاسمة تلك الدول في دخله فزالت هذه المنافسة وانقطع هذا المورد ، بل إنه بموجب المعاهدة التي فرضتها دولة المماليك المصرية على مملكة أرمينية الصغرى في عام ١٣٣٧ إثر تدمير هذا الميناء للمرة الثانية منعت من التحالف والتعامل مع الدول الأوروبية ، فصارت دولة المماليك المصرية محتكرة وحدها لهذه التجارة الدولية الرابحة حتى عام ١٤٩٨ حين اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح البحري حول افريقية إلى الهند والشرق الأقصى .

وإثر مقتل ملك أرمينية الصغرى ليغون الخامس دون ولد آلت مملكته بناء على وصيته إلى ابن أخته الأمير القبرصي جاي لوزجنان أو لوستيان الفرنسي الأصل ، لكونه من سلالة ملك القدس الصليبي ، وأقيم ملكاً عليها عام ١٣٤٢ باسم قسطنطين الثالث . غير

أن غالب الأرمن خرجوا عليه وحاربوه هو وأنصاره الموالين له والافرنج ، ومن أتى من هؤلاء لتأييده فغلبوه وقتلوه ونصبوا مكانه ملكاً لأرمينية الصغرى هو الملك قسطنطين الرابع عام ١٣٤٤ . من أحفاد الكند سطبل الأرمني سمباط أخو ملكها الأسبق هيثوم الأول ، فكان صعباً عليه بعدئذ التعاون مع الدول الأوروبية وخاصة مع مملكة قبرص ، وفي عهده استولت دولة المماليك المصرية في الولايتين الأولى ثم الثانية لسلطانها الملك الناصر ناصر الدين حسن بن محمد قلاوون على ميناء أياس ثم على مدن المصيصة ، وأضنة ، وطرسوس في عام ١٣٥٩ ، وضمتها جميعاً نهائياً إلى أملاكها . ولما عجز ملك أرمينية الصغرى المذكور قسطنطين الرابع عن مناهضتها وعن مناهضة الدول التركية الناشئة بالأناضول بجوار مملكته ترك أمر ذلك لمملكة قبرص ..

وتنازل في عام ١٣٦٠ لملكها بطرس الأول لوزجنان عن جزيرة قاريقوس الصغيرة المملوكة له والواقعة قرب مصب نهر سالف في البحر المتوسط ..

وفي عام ١٣٦٥ خلفه ملك أرمينية الصغرى الملك قسطنطين الخامس ابن عمه بناء على اختيار الأمراء الأرمن الذين استحكم النزاع بينهم فنادى بعضهم ملكاً عليها أيضاً في عام ١٣٦٨ ببطرس الأول لوزجنان ملك قبرص سالف الذكر . كما أنه في هذا العام شنت دولة المماليك المصرية في عهد سلطانها الملك الأشرف ناصر الدين شعبان الثاني بن صالح قلاوون غارة على مملكة أرمينية الصغرى لمعاقبتها على تواطئها مع مملكة قبرص في الحملات والغارات البحرية سابقة الذكر ، فخربت قواتها سيس عاصمتها ، ثم عادت منها . وبعد مقتل الملك قسطنطين الخامس في عام ١٣٧٣ لم تستطع زوجته الملكة مريم أن تخلفه ، ولم يجد الأمراء الأرمن بداً من إعادة حكم مملكتهم هذه إلى الوارث الشرعي لملكها الأسبق جاي لوزجنان (قسطنطين الثالث) ، وقريب الملك القبرصي بطرس الثاني لوزجنان سالف الذكر .. وهو الملك ليفون السادس لوزجنان آخر ملوك مملكة أرمينية الصغرى ، ووصل هذا الملك الجديد بصعوبة إليها لأنها كانت قد تقلصت وصارت قاصرة على عاصمتها سيس وعين زربة المجاورة لها ، الواقعتين على نهر جيجان في داخل اقليم قليقية بعيداً عن ساحل البحر المتوسط .

وفي عام ١٣٧٥ شنت دولة المماليك المصرية في عهد سلطانها المذكور حملتها

الأخيرة على أرمينية الصغرى وقادها نائبها في حلب الأمير أشقتمر المارديني ، ففتح عين زربة ثم سيس وقلعتها بعد حصار دام شهرين ضربهما خلاله بالمنجنيق الذي نصبه الخبير به المعلم خليل العينتابي ، وذلك في يوم ١٣ نيسان عام ١٣٧٥ ، وضم هذه المملكة نهائياً إلى أملاك دولته . وأقام نائباً عنها لحكم اقليمها ، وهو اقليم قليقية ، الأمير يعقوب شاه ومن بعده في عام ١٣٧٨ الأمير رمضان مؤسس الدولة الرمضانية بهذا الاقليم واقتيد آخر ملوك أرمينية الصغرى ليغون السادس لوزجنان أسيراً إلى القاهرة ، وبقي بها في الأسر سبعة أعوام حتى عام ١٣٨٢ حين افتاده بمساعي مرافقه القس الفرنسي جان داريل ، الملك بطرس الرابع ملك أراجون باسبانيا ، فذهب إلى باريس وأقام فيها حتى توفي دون ولد عام ١٣٩٣ .

وورثه بالقرابة الملك جيمس الأول لوزجنان ملك قبرص فصار ملوك قبرص من آل لوزجنان الفرنسي الأصل يحملون ألقاب ملوك القدس وقبرص وأرمينية لأنهم من سلالة ملوك القدس قبل أن يؤول إليهم ملك قبرص بالشراء منذ عام ١١٩٢ ، وإن كان حملهم لقبي ملك القدس وملك أرمينية صار نظرياً بحتاً بعد سقوط هاتين المملكتين في عام ١١٨٧ ، وعام ١٣٧٥ .

وبعد انقراض سلالة آل لوزجنان في عام ١٤٨٩ آلت هذه الألقاب إلى سلالة آل سافوي الفرنسية الإيطالية حكام سافوي وبيدموت ، ثم ملوك سردينيا ، ثم ملوك ايطاليا كلها .

لقد كان عصر مملكة أرمينية الصغرى هو العصر الفضي للأدب الأرمني ، وكان له مراكز نشاط بالأديرة وأهمها دير « قلعة الروم » مقر جاثليق الكنيسة الأرمنية الوطنية الأرثوذكسية ، في المدة من عام ١١٥٠ حتى عام ١٢٩٢ ، والواقع على نهر الفرات على الحدود الشمالية الشرقية لهذه المملكة (ودير طاطيف ، ودير جلاذرور بأرمينية الكبرى) .

وقد كتب بأرمينية الصغرى ذاتها المؤرخ الأرمني بهرام الروبيني الرهاوي تاريخاً لآل روبين حكامها الأولين ، وكتب معاصره الأمير الأرمني الكند سطبل سمباط الهيثومي المتوفى عام ١٢٧٧ سابق الذكر تاريخاً لأرمينية الصغرى وترجم من اللغة اللاتينية إلى اللغة

الأرمنيـة قوانين إمارة أنطـاكيـة للعمل بها في أرمينية الصغرى ، وكتب الجاثليق الأرمني نرسيس الرابع شنورهالي أي الموهوب المتوفى في عام ١١٧٣ ، قصيدة طويلة عن حيـاة المسيح ، وأخرى طويلة عن سقوط إمارة الرها الأرمنية الصليبية المختلطة ، في عام ١١٤٤ وألحـانـاً موسـيقيـة ، وكتب قريبـه المطـران الأرمني نرسـيس لمـبرونـاتسـي المتوفى عام ١١٩٨ مؤلفات دينية كثيرة وألحاناً موسيقية كما أنه ساهم أكبر مساهمة في تطبع مملكة أرمينية الصغرى إلى حد كبير بالطابع اللاتيني ، وفي دخولها المجتمع الدولي الأوروبي الغربي (وهما ما تميزت بهما) . فقد كان أنشط من شارك في تقريبها من هذا المجتمع دينياً في مجمعي قلعة الروم وطرسوس الدينيين الأرمنيين المنعقدين في عام ١١٨٠ ، وفي عام ١١٩٦ والسالف ذكرهما . كما أنه فاوض الامبراطور الألماني فردريك الأول بربروسا بشأن دخولها في هذا المجتمع في عام ١١٩٠ على ما سبق بيانه ، وكتب ورطان المرغشي قصصه الخرافية المعروفة في حوالي عام ١٢٢٠ .

وفي أرمينيـة وفي هذا العصر الذي يمتد طوال القرون الثـاني ، والثـالث ، والرابع عشر ، ازدهر دير جلاذرور ، وصار جامعة ثقافية هامة ورأسه الراهب عيسى النشاتسي .

وكان من مظاهر النشاط الثقافي أن كتب الفقيه والمشرع الأرمني الأشهر مخيطار غوش المتوفى عام ١٢١٣ ، مؤلفاته القانونية (القوانين الأرمنية) وقصصه الخرافية ، وكتب القس الأرمني متى الرهاوي تاريخاً عاماً حتى حوادث عام ١١٣٨ ، وأكمله القس الأرمني كريكور القيسوني حتى حوادث عام ١١٦٨ ،ن وكتب كل من المؤرخين الأرمن صموئيل الآني ومخيطار الآني ، وورطان الأكبر تاريخاً عاماً حتى حوادث عام ١١٨٠ ، وإلى آخر القرن الثاني عشر ، وترجم المؤرخ الأرمني أكسوكس من اللغة السوريانية إلى اللغة الأرمنية التـاريخ العـام لميخـائيـل السـورياني المتوفى في عام ١١٩٩ ، وأكمله حتى حوادث عام ١٢٤٨ .

وكتب الطبيب الأرمني مخيطـار هراتسـي في عام ١١٨٤ ، كتاب (الشفاء من الحميات) ، وكتب الشاعر الشعبي الأرمني فريك المتوفى في حوالي عام ١٣١٥ أشعاراً تفيض بالحمـاس والحنين إلى الوطن منها « كرونك » أي الكركي أو الغرنوق المعروفة . وكتب القس والشاعر الأرمني أراكيل السيوني « قصيدة آدم » عن الفردوس أي الجنة في

عام ١٤٠٧ ، وكتب الفيلسوف والرسام الأرمني غريغور الطاطيفشي المتوفى عام ١٤١١ كتاب (الأسئلة) وهو بمثابة دائرة معارف في الدين والفلسفة والعلوم . وكان آخر الأدباء الأرمن في العصور الوسطى الشاعر الشعبي الأرمني ناهابد كوشاك المتوفى حوالي عام ١٥٩٢ .

وظهر في أرمينية الصغرى في هذا العصر الرسام الشعبي الأرمني المشهور طوروس روسلين الذي زين بالصور كثيراً من الكتب الأرمنية ، وكان آخر رواد مدرسة الرسامين الأرمن في العصور الوسطى هما راستاكس وهاغوب النشوغاشي .

وتحفل مكتبة « ماتندران » في يريغان بالعديد من المخطوطات الأرمنية القديمة التي يبلغ عددها قرابة ثلاثة عشر ألف ، وأهمها وأقدمها ، هو انجيل « اتشمياتزين » ، الذي نسخ وصور عام ٩٨٩ في دير « نورافتك » ، ويليه في الأهمية « انجيل ملكة البسفرجان » ، وهو محفوظ حالياً في مكتبة الرهبنة المخيطارية في مدينة البندقية الايطالية ، والتي تحفل هي الأخرى بحوالي أربعة آلاف مخطوط ، وتحوي مثل هذا العدد أيضاً مكتبة دير مار يعقوب مقر البطريركية الأرمنية الأرثوذكسية في مدينة القدس .

وفي الختام يجدر بالذكر كتاب « مواعظ موش » المنقطع النظير كونه محرر على الجلد ووزنه ٣٢ كغ ، وهو من كنوز مكتبة « يريغان » .

الكتاب المقدس باللغة الأرمنية

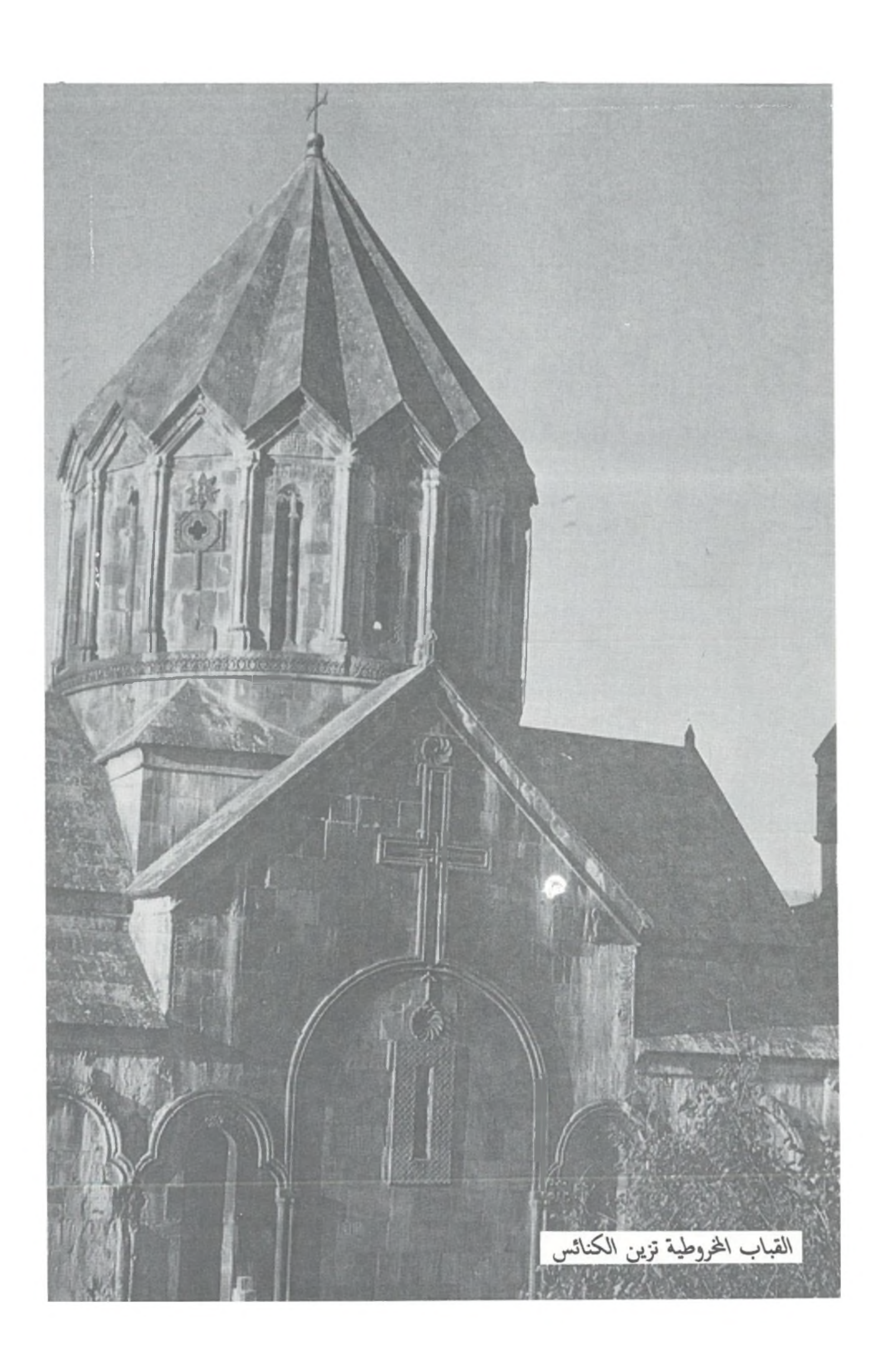


إتشميازين





كنائس من عمر التاريخ



القباب المخروطية تزين الكنائس

الفصل السّابع

الفَتْحُ العُثمَاني

خلفت معركة « ملاذكرد » الحاسمة والتي وقعت في عام ١٠٧١ أثراً هاماً في تاريخ الشرق الأوسط ، حيث مثلت أول انتصار للأتراك على الروم ، وأدت إلى فتحهم آسيا الصغرى ، وكنتيجة مباشرة لهذه المعركة أصبحت أرمينية الكبرى جزءاً من الدولة السلجوقية الكبرى ، ثم من الدول التي تفرعت عنها .

ومنذ عام ١٢٣٩ انتقلت أرمينية الكبرى إلى أملاك المغول ، ثم أصبحت جزءاً من الدولة الايلخانية ، كبرى دول الشرق الأوسط التي تمركزت في إيران والعراق .. وذلك منذ عام ١٢٥٦ وحتى عام ١٣٣٦ . وفي عام ١٣٨٦ اقتحم السلطان تيمورلنك في حملاته نحو الغرب أذربيجان وجورجيا وأرمينية الكبرى ، ودمر مدينة « وان » وقتل ثلاثة آلاف من سكانها غالبهم من الأرمن ، ثم قصد مدينة سيواس واستولى عليها وقتل نحو ثلاثة آلاف أيضاً من الفرسان الأرمن المدافعين عنها .. حيث كانوا في خدمة الدولة العثمانية ..

وفي عام ١٤٦٨ آلت أرمينية الكبرى للدولة الأقاقونلية التركمانية إلى أن تمكن الشاه اسماعيل الأول الصفوي عام ١٥٠٢ من الاستيلاء على تبريز وبغداد عاصمتي الدولة الأقاقونلية ، فأصبحت أرمينية الكبرى بحوزته ، وبقيت حتى عام ١٥١٤ حين آل الجزء الغربي إلى الدولة العثمانية .

ففي هذا العام تمكن العثمانيون أي في عهد السلطان العثماني سليم الأول من فتح ذلك الجزء من أرمينية الكبرى .. إضافة إلى فتحهم أرمينية الصغرى والشام ، ومصر ، ثم الحجاز .

وقضوا تماماً على دولة المماليك المصرية التي كانت تحكم هذه الأقطار ، وفي عهد السلطان العثماني سليم الأول الملقب بالقانوني بلغت الدولة العثمانية أوجها حيث أكملت فتوحاتها ، وأصبحت إلى جانب وراثتها لدولة الروم البيزنطية وريثة لدولة الخلافة العربية الإسلامية .

والجدير بالذكر أنه في عهدي السلطانين العثمانيين سليم الأول ، وسليمان الثاني ، كان المهندس المعماري الأرمني العثماني الأشهر سنان كلفيان الملقب بسنان معمر وميكيل أنجلو الشرق ، يمارس نشاطه المعماري في القسطنطينية ، وغيرها من المدن العثمانية ، حيث أشاد مائتين وخمسين ألف مسجداً وقصراً ومنشأة من روائع الفن ، ومن أهمها مسجد السليمانية المشهور في مدينة القسطنطينية .

وكانت الحروب بين الدولة الصفوية والعثمانية تدور بأراضيهما المتجاورة الشاملة أرمينية الكبرى كلها شرقية وغربية ، مخربة لها وسجالاً دون أن تنال إحداها النصر الحاسم ، وقد استؤنفت في عام ١٥٣٤ في عهد السلطان العثماني سليمان الأول القانوني ، ومعاصره الشاه الفارسي طهماز سب الأول الصفوي ، وانتهت باستيلاء العثمانيين على مدينة وان الأرمنية ، ثم استيلائهم على مدينة تبريز الإيرانية ، ثم على مدينة بغداد وكل العراق ، وفي عام ١٥٣٨ استولى العثمانيون مرة ثانية على مدينة تبريز ، ثم في عام ١٥٣٨ استولوا عليها مرة ثالثة .. كما استولوا منذ هذا العام وحتى عام ١٥٥٤ على المدينة الأرمنية وان مرة ثانية ثم يريفان ، وناخشيفان ، فضموا كل أرمينية الكبرى .

وانتهت هذه الحرب المتقطعة ، وهي العثمانية الفارسية الثانية ، بعقد أول معاهدة للصلح بين الدولتين العثمانية والفارسية ، وهي معاهدة صلح أماسيا المؤرخة في ٢٩ أيار عام ١٥٥٥ ، وقد تركت للدولة العثمانية كردستان ، كما ضمت إليها العراق وأقاليم هذه المدن الأرمنية الكائنة غرب وشرق نهر الرس .

وفي عام ١٥٧٨ ــ أي في عهد السلطان العثماني مراد الثالث المعاصر لحكم الشاهين الفارسي اسماعيل الثاني الصفوي ، ومحمد خدا بنده الصفوي ــ نقض العثمانيون معاهدة الصلح المذكورة ، واستولوا على جورجيا بما فيها عاصمتها تفليس ، ثم على داغستان بما فيها عاصمتها دربند اللتين كانتا تحت السيادة الفارسية ، فشن الفرس في عام ١٥٨٥ حملة لاستردادهما ، واسترداد جميع أملاكهم ، التي فقدوها من قبل ، وعبروا نهر الرس وأغاروا على يريغان عاصمة أرمينية الشرقية ، ولكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها ، بل استولى العثمانيون في هذا العام على تبريز ، فشن الفرس حملة ثانية في عام ١٥٨٧ على بغداد ، ولكنها صدت عنها ، واستطاع العثمانيون الاستيلاء على اقليم قرة باغ الأرمني والأذربيجاني في عام ١٥٨٨ . وانتهت هذه الحرب وهي العثمانية الفارسية الثالثة بإبرام معاهدة صلح استنبول الأولى في ٢١ آذار عام ١٥٩٠ بين الدولتين الفارسية والعثمانية ، وبموجبها تنازلت الأولى للثانية عل كل اقليم ما وراء القوقاز ، بل وعن أذربيجان الفارسية بما فيها تبريز أيضاً .

وفي عام ١٦٠٣ في عهد الشاه الفارسي عباس الأول الأكبر ، شن الفرس بعد تقوية دولتهم وضعف الدولة العثمانية حملة جديدة لاسترداد تبريز وسائر أملاكهم المفقودة ، وتمكنوا في هذه المرة من استرداد تبريز ، وكذلك يريغان ، وقارس ، ووان بأرمينية الشرقية والغربية في ذلك العام ، وفي عام ١٦٠٤ ، كما أنه في هذا العام الأخير دارت معركة كبرى قرب بحيرة أرمينية انتصر فيها الفرس على العثمانيين ، واستولوا نتيجة لذلك على كل أذربيجان وجورجيا ، وداغستان ، وكردستان ، والعراق .

وانتهت هذه الحرب ، وهي الحرب العثمانية الفارسية الرابعة ، بعقد معاهدة صلح استنبول الثانية في يوم ٢٠ تشرين الثاني عام ١٦١٢ بين الدولتين العثمانية والفارسية ، تضمنت تخلي الأولى عن داغستان (التي كانت القوات الروسية قد وصلت إليها في عام

١٥٩٤وفي عام ١٦٠٤ ، وتعاون معها بعض حكامها ثم انسحب منها) ، وكذلك العودة إلى حدودها حسبما كانت عليه في عهد السلطان العثماني سليم الأول ، الأمر الذي كان معناه تخلي الدولة العثمانية عن فتوحها بعد عهده في العراق وكردستان وفي أرمينية الشرقية وفي أذربيجان وجورجيا ، ولكن العثمانيون استأنفوا الحرب ، وهي الحرب العثمانية الفارسية الخامسة في عام ١٦١٦ وحاولوا الاستيلاء على يريغان وتبريز ، فلم يوفقوا ، ولكنهم وفقوا في إبرام معاهدة صلح جديدة بين الدولتين هي معاهدة صلح سراب في يوم ٢٦ آب عام ١٦١٨، وقد عدلت لصالحهم معاهدة الصلح السابقة عليها . إذ تضمنت تركهم للفرس أرمينية الشرقية بما فيها عاصمتها يريغان وناخشيغان .

وترتب على هذه الحملات الأخيرة التي استمرت من عام ١٦٠٣ حتى عام ١٦١٨ أمران هامان يخصان أرمينية ، الأول هو تهجير الشاه الفارسي عباس الأول الأكبر الصفوي قرابة الخمسين ألف أرمني من أرمينية الشرقية ، وخاصة من جولفا إلى عاصمتها أصفهان ، حيث بنوا حياً لهم هو حي جولفا الجديدة ، الذي لم يزل موجوداً للآن . وساهموا بخبراتهم ومهاراتهم في تجديد الحياة السياسية والاجتماعية والتجارة والصناعات ، وخاصة صناعة السجاد العجمي في كل إيران .. كما هاجر بعضهم منها إلى الهند ، حيث كونوا مع من هاجر إليها قبلهم من الأرمن جالية نشيطة شاركت في النهضة الفكرية الأرمنية في القرن الثامن عشر ، والأمر الثاني ، وهو الأهم ، هو تقسيم أرمينية إلى قسمين شرقي وغربي بين الدولتين الفارسية الصفوية والتركية العثمانية ، ودخول أرمنية الشرقية التي كانت تمتد على الضفتين الشرقية والغربية للمجرى الأوسط لنهر الرس ، وتضم مدن يريغان وجنزة وناخشيغان التاريخية واتشمياتزين المقدسة مقر جاثلين الكنيسة الأرمنية الرسولية ، أو الأرثوذكسية الوطنية ، وجبل أرارات رمزهم في نطاق دولة إيران الحديثة ، ثم فيما بعد في عام ١٨٢٨ في نطاق الدولة القيصرية الروسية ، على أنه يجدر بالذكر أن الأرمن لم يكن لهم دور هام في النزاع الذي دار بين الدولتين العثمانية والفارسية على تملك بلادهم وخربها ، ثم أدى إلى اقتسامها بينهما في خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وذلك لضعف شأنهم ، وعدم وجود دولة لهم في ذلك الزمان ، وأنهم والكرج والأذربيجانيين كانوا مؤيدين للفرس لكي يخلصوهم من وطأة الحكم العثماني .

وفي عام ١٦٣٠ أي في عهد السلطان العثماني مراد الرابع ، ومعاصره الشاه الفارسي صفي الأول الصفوي ، استؤنفت الحرب من جديد بين العثمانيين والفرس ، وهي السادسة بينهم . وقد بدأها العثمانيون بالاستيلاء على مدينة همدان بغرب إيران فرد عليهم الفرس بالاستيلاء على بغداد عاصمة العراق في العام نفسه ، وفي عام ١٦٣٥ شن السلطان العثماني مراد الرابع حملة للاستيلاء على يريغان وتبريز ، فاستولى عليهما . ولكن الفرس استردوها في العام التالي ، وفي عام ١٦٣٨ قاد السلطان مراد الرابع بنفسه حملة لاستعادة بغداد ففتحها ، وإثر ذلك تم في يوم ٧ أيار عام ١٦٣٩ عقد معاهدة صلح ذوهاب المشهورة بين الدولتين العثمانية والفارسية ، وقد تضمنت العودة إلى الحال قبل عام ١٦٣٠ ، أي بقاء العراق وكردستان للعثمانيين ، وبقاء أذربيجان كلها وأرمينية الشرقية بما فيها عاصمتها يريغان وجورجيا للفرس .

وقد استمر الحال على ذلك حتى عام ١٧٢٤ ، حين استولى العثمانيون مؤقتاً على هذه الأقاليم من الفرس الذين عادوا واستردوها في عام ١٧٣٥ ، وقد سجل الحروب الفارسية العثمانية منذ عام ١٦٠٣ ، والأحداث التالية لها حتى عام ١٦٦١ — من وجهة النظر الأرمنية — في تاريخه المؤرخ الأرمني المعاصر لها أراكيل التبريزي ، الذي عاش في القرن السابع عشر ، كما أنه في العهد الفارسي بأرمينية الشرقية نشأت في اقليم قره باغ الجبلي الأرمني خمس إمارات أرمنية صغيرة حمل حكامها الأرمن لقب « ملك » وتمتعوا بالاستقلال الذاتي تحت السيادة الفارسية . وكانت هذه الإمارات هي : جلستان — تشرابرت — خاتشن — فرندة — تيزاك . وتحكمها أسر الملوك : بجلاريان — إسرائيليان — حسن جلاليان — شاه نزاريان — إفانيان . ثم تمتعوا باستقلال حقيقي في المدة من ١٧٢٢ حتى عام ١٧٣٠ ، تحت زعامة داود بك القرباغي المتوفى عام ١٧٢٨ أثناء الحرب العثمانية الفارسية السابعة .

في تلك الأثناء كانت الدولة الروسية القيصرية تقوى وتتجه في توسعها جنوباً نحو القرم ، واقليم ما وراء القوقاز ، وغرباً نحو بولونيا والبلقان ، فاصطدمت بالدولة العثمانية وأخذتا تتنافسان تنافساً شمل اقتسام الأملاك الفارسية في اقليمي القوقاز وما ورائه ، بل في إيران ذاتها . وذلك منذ عام ١٦٧٦ ، ثم احتدم التصادم والتنافس في عهد القيصر بطرس

الأكبر مجدد روسيا القيصرية ، حينما حاولت الدولة العثمانية السيطرة على اقليمي داغستان وشروان الايرانيين في عام ١٧٢١ ، فبدأ الروس عام ١٧٢٢ ، بالزحف على الساحل الغربي لبحر قزوين جنوباً نحو هذين الاقليمين ، بقيادة قيصرهم بطرس الأكبر شخصياً ، وذلك بعد أن استطلعت أحوال إيران بعثتان روسيتان أرسلهما إليها في عام ١٧٠٨ برئاسة المفكر الأرمني إسرائيل أورى ، ثم في عام ١٧١٥ ، برئاسة المفكر الروسي أرتيمي فولونسكي .

كما أن القيصر بطرس الأكبر أرسل حال قدومه إلى اقليم القوقاز مبعوثه ايفان كاراباتيان من الأرمن المستوطنين في روسيا للحصول على مساندة من الأرمن . ونالت إمارتهم الخامسة بإقليم قره باغ الجبلي الأرمني ، بقيادة زعيمهم داود بك القرباغي سالف الذكر في عام ١٧٢٢ استقلالها الحقيقي ، الذي دام حتى عام ١٧٣٠ ، حين قضت الدولة العثمانية على هذه الإمارات الخمسة أثناء حملتها ضد الفرس .





الأرض ... مواسم خير وعطاء

الفصل الثامن

الأزمن في الدَّوْلَةِ العُثْمَانِيَّة

كانت الدولة العثمانية منذ نشأتها متعددة القوميات والأديان ، ولكنها كانت لا تعترف بالقوميات المتعددة لرعاياها ، ولا تميز بينهم على أساسها ، إنما كانت — لأن الإسلام دينها الرسمي — تلتزم نظرياً أحكام الشريعة الإسلامية في معاملة رعاياها غير المسلمين باعتبارهم مسيحيين ويهود أي « ذميين » من « أهل الكتاب » وقوام هذه الأحكام هو الاعتراف بدياناتهم وحرية اعتناقهم لها وممارستهم لعباداتهم وحماية أشخاصهم وأعراضهم وأموالهم مقابل أداء الجزية ، فالدولة العثمانية إذاً كانت تميز بين رعاياها على أساس الدين فقط ، وهو ما أكدته بإقامتها لغير المسلمين منهم نظام « الملل » الذي اعترفت بموجبه لهم بكيانات دينية لها رئاساتها التي أناطت بها تنظيم شؤونهم وضمنها الفصل في قضايا أحوالهم الشخصية والمدنية ، وقد أدى هذا النظام إلى تمتعهم في واقع الأمر باستقلال ذاتي محدود حفظ كيانهم ، وإلى صيرورة قسسهم زعماء يسعون إلى

السلطة والنفوذ ، الأمر الذي انحرف ببعضهم عن مهامهم الدينية ، وجعلهم موالين للدولة العثمانية ، رغم أنها عملياً كانت دائماً تشعر رعاياها من غير المسلمين أنهم مواطنون من الدرجة الثانية ، وتحرم عليهم حمل السلاح ، ولا تقبل شهادتهم أمام المحاكم ، وتلزمهم بأداء الجزية .

وقد بدأت الدولة العثمانية في تنفيذ نظام « الملل » رسمياً في عام ١٤٥٤ إذ طلب السلطان العثماني محمد الثاني الفاتح من قسس الكنيسة الرومية الأرثوذكسية التي كانت الكنيسة الرسمية لهذه الدولة المنقرضة انتخاب بطريك جديد ليرأس « ملة » الروم ، التي اعتبرها شاملة لكل من يعتنق الديانة المسيحية الرومية الأرثوذكسية في البلاد التي استولت عليها دولته العثمانية .

فانتخب هؤلاء القسس الراهب « جناديوس » بطريكاً جديداً لكنيستهم ، وأقر السلطان العثماني انتخابه ، وخصه بكنيسة في حي الفنار وعهد إليه بجمع الضرائب من أهل ملته ، وتنظيم شؤونهم ، وجعله في مصاف كبار علماء الدين المسلمين بدولته .

وفي عام ١٤٦١ اعترف السلطان محمد الثاني الفاتح بملتي اليهود ، والأرمن الأرثوذكس ، وأقام لهما رئيسين دينيين هما : الحاخام اليهودي موسى كراسل ، الذي عينه حاخام باش لليهود . والمطران الأرمني الأرثوذكسي لمدينة بروسة بالأناضول الغربي هواكيم الذي عينه بطريكاً للأرمن الأرثوذكس . وجعلهما كذلك في مصاف كبار علماء المسلمين بدولته ، وظلت الدولة العثمانية لمدة أربعة قرون لا تعترف رسمياً إلا بهذه الملل الثلاثة لرعاياها غير المسلمين ، وصارت لرؤسائها سلطات واسعة على أتباعهم لا في الشؤون الدينية فحسب ، بل وفي الشؤون الدنيوية أيضاً . على أنه منذ عام ١٦٠٤ انفصل بعض الأرمن الأثوذكس ومنهم رئيس كنيستهم أي جاثليقهم الأكبر في اتشمياتزين عن تبعة الدولة العثمانية .

ثم اختلف الأمر عام ١٨٢٨ حين استولت الدولة الروسية القيصرية التي كانت تدين رسمياً بالديانة المسيحية على المذهب الرومي الأرثوذكسي ، وتعتبر نفسها وارثة دولة الروم البيزنطية ، بل وروما الثالثة وحامية كل المسيحيين الشرقيين وضمنهم الأرمن ،

وتسعى متسلحة بكل ذلك ، للقضاء على الدولة العثمانية ـــ حينما استولت الدولة الروسية القيصرية من الدولة الفارسية على هذين الاقليمين ، ومن الدولة العثمانية على بعض الأراضي الأرمنية المجاورة لهما ـــ فإنها أخذت تستقطب لجانبها كل الأرمن الأرثوذكس في كل الدولة العثمانية بصفتهم من المسيحيين الشرقيين ، رغم اختلافهم مذهباً عنها للعمل ضد هذه الدولة الأخيرة ، واضطرتها في عام ١٨٣٣ ثم في عام ١٨٤٠ إلى الاعتراف بأن جاثليق الأرمن الأرثوذكس الأكبر المقيم باتشمياتزين التابعة لأملاك الدولة الروسية القيصرية ، هو الرئيس الديني الأعلى لكل هؤلاء الأرمن الأرثوذكس ، وهم غالبية الأرمن بالدولة العثمانية ، وتبعية بطريركهم الذي أقامته لهم في عاصمتها القسطنطينة وجاثليقهم في سيس لهذا الجاثليق الأكبر . وكان ذلك مقابل تعهد الدولة الروسية القيصرية وحدها ، ثم تعهدها وغيرها من الدول الأوروبية بمساعدة الدولة العثمانية في حربها ضد والي مصر الخارج عليها « محمد علي باشا » بموجب معاهدة هنكاراسكلسي المبرمة في ٨ حزيران عام ١٨٣٣ ، ثم معاهدة لندن المبرمة في يوم ٥ تموز عام ١٨٤٠ .

ولكن الدولة العثمانية كانت تضم أيضاً قليلاً من الأرمن الكاثوليك ، ومن الأرمن البروتستانت ، ولكي تبعدهم عن نفوذ الدولة الروسية القيصرية واستقطابها لكل الأرمن ، اعترفت بناء على طلب فرنسا عام ١٨٣٠ اعترافاً رسمياً بملة الأرمن الكاثوليك ـــ ثم اعترفت بناء على طلب بريطانيا عام ١٨٤٦ اعترافاً رسمياً بملة الأرمن البروتستانت .

غير أنه منذ بداية القرن السابع عشر ، وفي بداية عهد ضعف وتدهور الدولة العثمانية الذي عرف بعهد الانحطاط ، والذي أدى في النهاية إلى نشوء « المسألة الشرقية » ارتفع شأن كبار الإغريق (الروم) والأرمن ، وزاد نفوذهم في القسطنطينة ، بصفة خاصة ، لكونهم أصحاب الملتين المسيحيتين المعترف بهما رسمياً وحدهما فيها ، ولزيادة عددهم في عاصمتها هذه ، ولانحصار النشاط فيهم دولة باقي رعاياها من مسلمين ويهود ، بل ومسيحيين من غيرهم من الملل غير المعترف بها ، فصاروا يمثلون فيها فئات المثقفين المتنورين والفنيين ، والحرفيين ، والتجار ، أي الطبقة الوسطى ، إذ كان المسلمون ، وخاصة الترك من رعايا هذه الدولة ، لا يمارسون إلا أعمال الحكم والحرب والدين ، والزراعة أساساً ، وقد قيل إن الأرمن هم أصحاب القلم بهذه الدولة .

كما آن الأرمن كانوا أشد الشعوب المسيحية في الدولة العثمانية إخلاصاً في خدمتها ، فقد أطلق عليهم اسم « الملة الصادقة » ، وهو الأمر الذي كاد أن ينسى بعد أن صارت المذابح الأرمنية هي ما يذكر عن علاقة هذه الدولة بالأرمن .

ومن أشهر الأرمن الذين برزوا في خدمة الدولة العثمانية الصيدلي والطبيب المعالج لسلاطينها الأرمني العثماني أمير دولة الأماسي في القرن الخامس عشر الذي ألف الكتب الكثيرة ، ومنها « في خدمة الطب » ، والمهندس المعماري سنان باشا كلفيان في القرن السادس عشر ، والمؤرخ والكاتب الأرمني العثماني أرميا شلبي قومرجيان في القرن السابع عشر ، الذي ألف كتباً في التاريخ العثماني ، والمؤرخ والكاتب الأرمني العثماني مراد جي حسون ترجمان السفارة السويدية في القسطنطينية في أواخر القرن الثامن عشر ، ومؤلف كتاب « الجدول العام للدولة العثمانية » باللغة الفرنسية .

ومن أشهر الأرمن الذين برزوا أيضاً في خدمة الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أرتين أمير بزجيان ، مدير دار سك النقود ، والمهندس المعماري نقولاس باليان باني سراي ضولمة بخشه المعروفة ، وداود قره بيت باشا والي لبنان في المدة من عام ١٨٦١ حتى عام ١٨٦٨ ، ثم وزير الأشغال في المدة من ١٨٦٨ حتى عام ١٨٧١ ، التي أشرف أثناءها على مد خط السكة الحديدية بالروملي ، واوروبا العثمانية ، وجبرائيل نوارادونجيان الفقيه المعروف في القانون العثماني ، وكان مستشاراً قانونياً للباب العالي ، أي لرئاسة مجلس الوزراء في الدولة العثمانية ، ثم وزيراً للخارجية في وزارة المغازي أحمد مختار باشا في عام ١٩١٢ ، وألف كتاب مجموعة المعاهدات الدولية الخاصة بالدولة العثمانية ، المطبوع باللغة الفرنسية في باريس في عام ١٨٩٧ ، وهاغوب قازاقيان باشا ، وزير المالية العثماني منذ عام ١٨٧٩ الذي عقد القروض العثمانية ، وبرز في مصر نوبار نوباريان باشا ، مؤسس المحاكم المختلطة عام ١٨٧٦ ، وأول رئيس لوزرائها ولثلاث مرات في الأعوام من ١٨٧٨ إلى ١٨٧٩ ، ومن ١٨٨٤ إلى ١٨٨٨ ، ومن ١٨٩٤ إلى ١٨٩٥ ، وأخوه أراكيل نوبار بك وزير التجارة المصرية وحاكم السودان ، وابنه بوغوص نوبار باشا مدير السكة الحديد بمصر ومؤسس الاتحاد الخيري الأرمني العام بها عام ١٩٠٦ ، والذي تزعم فيما بعد الأرمن العثمانيين في أوروبا وكان يفاوض الدولة الأوربية نيابة عنهم وقت إبرامها معاهدة سيفر مع

الدولة العثمانية من عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٢٠ ، ثم زوج ابنته ديكران دابرو باشا الذي تولى وزارة الخارجية المصرية عام ١٨٩١ ، ثم الدكتور حنا ورتبت من رواد تعليم الطب والاستشراق بالجامعة الأمريكية في بيروت ، ثم الصحفي والأديب الأشهر أديب إسحق من تلاميذ جمال الدين الأفغاني ، ومن أعلام النهضة العربية الحديثة .

ثم يعقوب أرتين باشا وكيل وزارة المعارف المصرية لمدة عشرين عاماً والمؤلف عن الملكية العقارية وعن التعليم في مصر ، ومن الجيل السابق لهؤلاء بوغوص يوسفيان بك وزير التجارة والخارجية في عهد محمد علي باشا والي مصر ، وأرتين تشاراكيان وزير الخارجية المصرية .

الفصل التاسع

تنازع الولاء

ساهم في تحول الشعوب المسيحية العثمانية عن ولائها للدولة العثمانية بدءاً بالاغريق وانتهاء بالأرمن عاملان خارجيان هما :

أولاً : الثورة الفرنسية الكبرى التي قامت في عام ١٨٧٩ .

ثانيـاً : التـدخل في الشـؤون الداخليـة للدولة العثمانيـة ، الذي مارستـه الدول الأوروبية ، التي زادت قوة ، وخاصة روسيا القيصرية التي ادعت فوق وراثتها لدولة الروم البيزنطية ولروما ذاتها ، أنها حامية كل المسيحيين الأرثوذكس ؛ أي المسيحيين الشرقيين ، ومنهم الاغريق والأرمن ، وأنها أيضاً زعيمة كل الشعوب السلافية التي ينتمي إليها الروس أنفسهم مثل الصرب والبلغار وغيرهم ..

وكانت أول الشعوب المسيحية العثمانية خروجاً عن الولاء للدولة العثمانية الشعب الاغريقي ، الذي أعلن في عام ١٨٢١ الثورة وساعده على نجاحها جغرافية بلاده المكونة

من الجزر وشبه الجزر المحيطة بها البحار ... وعطف الدول الأوروبية عليه وسهولة اتصالها به وتدخل بعضها وهي بريطانيا وفرنسا وروسيا لمصلحته ضد الدولة العثمانية لا لمجرد إضعافها واقتطاع أطرافها وحسب .. بل تضامناً معه لا لكونه مسيحي وحسب ، بل لكونه أيضاً وريث الاغريق القدماء أصحاب الفضل على أوروبا كلها ..

وكان تدخل هذه الدول الثلاث تدخلاً مسلحاً بدأ بمعركة نفارين البحرية التي حطمت فيها أساطيلها الأسطول العثماني والمصري في عام ١٨٢٧ .. وانتهى بالحرب الروسية العثمانية (عام ١٨٢٧ / ١٨٢٩) التي وصلت في أواخرها القوات الروسية إلى مدينة أدرنة على مقربة من القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية عاصمة الدولة العثمانية ثم باعتراف هذه الدولة باستقلال الاغريق في عام ١٨٣٠ .

أما الأرمن فإنهم وإن كانت توافرت فيهم العوامل التي من شأنها خروجهم عن الدولة العثمانيــة .. فإن ظروفهـم كانت تختـلف عن ظروف الاغريق وظروف الشعوب الأرووبية المسيحية الأخرى القاطنة بالبلقان بأوروبا .. لأن بلاد الأرمن كانت تقع بشرق الأناضول أو آسيا الصغرى بعيداً عن أوروبا ، كما كانت متداخلة في البلاد التي يقطنها الترك ، والأكراد ، واللاظ ، والشراكسـة ، ومنتشرة ومتناثرة ، بينها ، ولم يكن الأرمن يكونون في مجموع بلادهم ولا في مكان محدد منها أغلبية ظاهرة يمكن أن تكون نواة لدولة مستقلة منفصلة وكذلك فإنهم لم يكونوا يتمتعون بعطف روسيا لأن غالبيتهم العظمى كانت تتبع الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية الوطنية ..

والخلاصـة .. لم يساعد الأرمن على المطالبة بالمزيد من الإصلاحات الداخلية بالدولة العثمانية في نطاق بقائهم من رعاياها .. وعلى رأسها مساواتهم قانوناً بباقي رعاياها من المسلمين .. وضمان حقوقهم .. إى أن الإصلاحات الداخلية في الدولة العثمانية ، والتي عرفت « بالإصلاحات الخيرية » أو « التنظيمات » بدأت بمبادرة سلاطينها ومستشاريهم ..

كانت تستلهم الماضي وتسعى للعودة إلى العظمة الغابرة ، ولا تتطلع إلى المستقبل ، وتحرص على الطبيعة العثمانية المحافظة ، بل الجامدة المتحجرة التي لا تؤمن بالتطور ، ولا بالإصـلاح العام الحقيقي وخاصـة في جوانبه السياسية والاجتماعية . وقد بدأت هذه

الإصلاحات « بالخط الشريف » المؤرخ في ٢٦ أيار عام ١٨٢٦ ، واستهدف إلى إنشاء جيش حديث على النظام الأوروبي سمي « بالنظام الجديد » . وأسفر عن القضاء على فرق عسكر « الانكشارية » التي كانت قد استفحلت مفاسدها ، وقاومت إنشاء هذا الجيش الحديث .. ثم خط « كلخانة » .. ثم الخط « الهمايوني » المؤرخ في ١٨ شباط عام ١٨٥٦ الذي نشر بمبادرة بريطانيا وفرنسا حليفتي الدولة العثمانية ضد روسيا في حرب القرم (عام ١٨٥٣ إلى عام ١٨٥٦) قبيل إبرام معاهدة باريس المؤرخة في ٣٠ آذار عام ١٨٥٦ ، التي أنهتها صلحاً .. وذلك لكي يضع موضع التنفيذ « خط كلخانة » ، ولكي يشمل أيضاً وبصفة خاصة الرعايا المسيحيين للدولة العثمانية ، ويساويهم برعاياها المسلمين برفع الجزية عنهم .. وقبول شهادتهم أمام المحاكم ، وكل ما يحقق هذه المساواة ..

غير أنه عملياً لم ينفذ إصلاح يفيد منه العثمانيون سواء من المسلمين أو المسيحيين فمثلاً . فرض على المسيحيين البدل العسكري لإعفائهم من أداء الخدمة العسكرية بدلاً من الجزية التي رفعت عنهم ، وكان قبول شهادتهم أمام المحاكم قبولاً شكلياً لا موضوعياً ، واقتصر الأمر على صدور دستورين بنظامي ملتي الروم الأرثوذكس والأرمن الأرثوذكس في عام ١٨٦٣ بإنشاء مجلسين لهما غالبيتهما منتخبة وبقصد مساعدة بطريكهما في إدارة شؤونهما .. وأدى ذلك إلى الحد من نفوذهما ، ومن نفوذ قسسهما عموماً .. ولعل هذا ما كان وراء إصدار هذين الدستورين .. وكان صدور دستور ملة الأرمن الأرثوذكس بمقتضى الفرمان المؤرخ في ٣٠ آذار عام ١٨٦٣ ، الذي حاول إضعاف علاقتها بجاثليق اتشمياتزين الأكبر يخالف ما تضمنه نظامها الذي وضعه أبناؤها أنفسهم بتاريخ ٥ حزيران عام ١٨٦٠ بمبادرة بعض مثقفيهم ، ومنهم جرجور أوديان .. سيروبي فتشنيان ـــ ناهابد روسنيان ـــ وصاغه كريكور ماركوسيان ..ثم ألغته الدولة العثمانية بالفرمان المؤرخ في ٣١ آب عام ١٨٦١ ، وبقي حرمانهم من حمل السلاح قائماً لحرمانهم من الدفاع عن أنفسهم ضد الاعتداءات عليهم ، التي تواصلت وتصاعدت حتى بلغت درجة المذابح ..

. وبالرغم من الوعود التي حوتها الخطوط أو المراسيم العثمانية الثلاث المشار إليها ، وخاصة للمسيحيين العثمانيين ، فقد حصلت مذابح ضدهم بعدها كان أبرزها مذابح لبنان في عام ١٨٦٠ ..

ثم ثورة الأرمن ومذابحهم في اقليم زيتون الجبلي بولاية مرعش بجنوب شرق الأناضول (عام ١٨٦١) التي بدأت بسبب زيادة الضرائب ، وتمكنوا خلالها من صد القوات العثمانية الكبيرة التي وجهت ضدهم بقيادة عزيز باشا ، ولم يخمدها إلا تحريض جيرانهم من الترك والأكراد عليهم . ثم ثورة جزيرة كريت الاغريقية (عام ١٨٦٦) .. ثم مذابح البوسنة والهرسك في عام ١٨٧٥ .. ثم المذابح والفظائع البلغارية التي بدأت في عام ١٨٧٦ في عهد السلطان العثماني مراد الخامس وأدت إلى مطالبة السياسي البريطاني جلادستون زعيم حزب الأحرار بطرد الدولة العثمانية من أوروبا كلها ، ثم إعلان روسيا القيصرية الحرب عليها في عام ١٨٧٧ لتحرير بلغاريا ، واستكمال تحرير باقي بلاد شعوب البلقان من ربقتها ..

ولهذا فقد ظهرت في الدولة العثمانية حركة قادها السياسي المعروف أحمد مدحت باشا ، الذي تولى رئاسة الوزراء بها في يوم ١٣ كانون الأول عام ١٨٧٦ للمطالبة بإصلاحات حقيقية ، وتمكن أنصار هذه الحركة من السيطرة على الدولة العثمانية وإجبار السلطان العثماني الجديد عبد الحميد الثاني على إصدار دستور لها سمي « بقانونها الأساسي » أعلن وتلي بعد تعديله بما يلائم رغبات هذا السلطان في يوم ٢٣ كانون الأول عام ١٨٧٦ . ويجدر بالذكر إن من ساعد أحمد مدحت باشا في وضع مبادئه ، وفي صياغة مواده هو معاونه وصديقه الفقيه الأرمني العثماني كريكور أوديان ونص هذا الدستور على إنشاء برلمان عثماني من مجلسين هما مجلس المبعوثين أي النواب المنتخبين ومجلس الأعيان المعينين ، والبالغ عددهم ما لا يجاوز ثلث عدد النواب أعضاء المجلس الأول ، وعلى تمثيل جميع قوميات الدولة العثمانية فيهما ..

ولكن السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان مستبداً بطبعه ما لبث أن عزل أحمد مدحت باشا في يوم ٥ شباط عام ١٨٧٧ ، أي قبل انعقاد البرلمان وفي ظرف شهرين من توليه رئاسة الوزراء ثم أعدمه فيما بعد في عام ١٨٨٣ بتهمة اشتراكه في قتل السلطان العثماني الأسبق عبد العزيز الذي انتحر ولم يقتل .. ومع ذلك ترك البرلمان العثماني بمجلسيه ينعقد في يوم ١٩ آذار عام ١٨٧٧ ، وكان مجلس الأعيان مكوناً من ٢٥ من الموظفين المعينين أما مجلس المبعوثين فكان يتكون من ١١٥ نائباً من أصل مجموعهم وهو ١٢٠ منهم ٦٩ من

المسلمين ، و٤٦ من المسيحيين ضمنهم الأرمن .. وقد انتخبتهم المجالس المحلية ، وعهد برئاسته لأحمد وفيق باشا الذي سيره وفق أهوائه ، وكان ينهر قلة النواب المعارضين ويأمرهم بالسكوت وسط تهليل أغلبية المؤيدين .. ومع ذلك ضاق السلطان عبد الحميد الثاني ذرعاً بالبرلمان العثماني وحله بمجلسيه في يوم ١٤ شباط عام ١٨٧٨ ، بل وأوقف العمل بالدستور ونفى أعضاء البرلمان العثماني .. وظل يحكم دولته حكماً استبدادياً طوال ثلاثين عاماً حتى أجبر على إعادة العمل بالدستور ، وعقد البرلمان إثر الانقلاب الذي وقع ضده في عام ١٩٠٨ ، ثم أفضى إلى خلعه إثر محاولته القيام بانقلاب مضاد عام ١٩٠٩ .

وكان الأرمن العثمانيون أشد المسيحيين تحمساً لصدور الدستور العثماني لإيمانهم بحسن نوايا الدولة العثمانية ، وقد تجلى ذلك في الاجتماع الهام الذي عقد في يوم ١٨ كانون الثاني عام ١٨٧٧ وشهده ٢٣٧ من أعيان الدولة العثمانية بمناسبة نشر الفرمان العثماني المصدر لهذا الدستور .. وعندما عرضت على المجتمعين مقترحات المؤتمر الدولي الذي بدأ انعقاده بالعاصمة القسطنطينية في يوم ٢٣ كانون الأول عام ١٨٧٦ ، بشأن ضمان الدولة الأوروبية الكبرى الستة للإصلاحات الخاصة بالمسيحيين العثمانيين . وهو ما كان يسعى إليه جاهداً سفير روسيا لدى الدولة العثمانية الجنرال ايجانتيف ...

• **رفضوا هذه المقترحات ، وكان في مقدمة الرافضين ممثلو الأرمن استناداً** إلى أنهم قد صاروا مسيحيين عثمانيين مساوين للمسلمين العثمانيين طبقاً للدستور العثماني الجديد ، وعلى هذا رفض السلطان العثماني رسمياً مقترحات الدول المذكورة وانفض المؤتمر دون أن يصل إلى نتيجة حاسمة ..

وقد ترتب على فشل المؤتمر أن انعقد مؤتمر دولي آخر في لندن فوضع مشروعاً جديداً للإصلاحات المشار إليها في ٣١ آذار عام ١٨٧٧ ، وقدمته الدول الأوروبية الكبرى الستة للسلطان العثماني للتصديق عليه فرفضه في ٩ نيسان عام ١٨٧٧ وبناء على ذلك أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية في ٢٤ نيسان ١٨٧٧ ، وتمكنت الجيوش الروسية في أوروبا من عبور (الدانوب) جنوباً ودخول بلغاريا ، والوصول إلى سان استفانو في ضواحي القسطنطينية يوم ٣١ كانون الثاني عام ١٨٧٨ ..

كما تمكنت أيضاً الجيوش الروسية في آسيا والتي كانت تضم بعض القوات الأرمنية الروسية وعهد بقيادتها كلها إلى القائد الأرمني الروسي الجنزال ميخائيل لوريس مليكوف يعاونه الجنرالان الأرمنيان الروسيان أرشاك درهوجسوف وهوفانس لازاريف من الاستيلاء على عدة مدن في أرمينية الغربية العثمانية شرق الأناضول ..

واضطرت الدولة العثمانية إلى طلب الهدنة من روسيا في يوم ٣١ كانون الثاني عام ١٨٧٨ ، وأخذت تفاوضها لعقد الصلح ..

وحين أيقن الأرمن العثمانيون عدم جدية الدولة العثمانية في إصلاحاتها بناء على عدم تنفيذها شيئاً منها ..حرصوا أن تتضمن معاهدة الصلح الدولية الجاري إبرامها بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية نصاً بشأن أرمينية يضمن إجراء الإصلاحات فيها ، وعدم التنكيل بأبنائها .. فأوفد المجلس الملي للأرمن الأرثوذكس بالقسطنطينية وفداً برئاسة كيفورك روسجولكيان مطرانهم بأدرنة وعضوية هوفانس نوريان ، وستيبان أرسلانيان من أعيانهم بالقسطنطينية إلى معسكر القوات الروسية بأدرنة ثم بسان استيفانو حيث قابلوا قائدهما العام الدوق نقولافتش الأكبر ، ثم لحق بهم بطريك الأرمن الأرثوذكس في القسطنطينية نرسيس فرجيديان ، لعرض المطالب الأرمنية عليهما ، وتم الاتفاق على أن تتضمن معاهدة الصلح مادة عن أرمينية نصها « لضمان منع الاضطهادات والفظائع التي وقعت في الولايات الأوروبية والآسيوية من الدولة العثمانية ، يمنح السلطان بالاتفاق مع القيصر حكماً ذاتياً محلياً للولايات التي يسكنها الأرمن » .

ونجحت المساعي الأرمنية جزئياً إذ تضمنت معاهدة صلح سان استيفانو الدولية التي أبرمت في يوم ٣ مارس عام ١٨٧٨ ــ المادة ١٦ التي نصت على (أن خروج عساكر روسيا من أرمنستان وإرجاع تلك البلاد إلى الدولة العثمانية يمكن أن يفضي إلى المناقشة والاختلافات فيما بينهما ولهذا يتعهد الباب العالي بإجراء الإصلاحات على حسب الاحتياجات المحلية في الولايات التي يسكنها الأرمن وتأمين المسيحيين من تعدي الأكراد والشراكسة) .

وكان هذا أول ذكر لأرمينية في معاهدة دولية في التاريخ الحديث مثلما كان ذكرها

في نقش بهستون المؤرخ في عام ٥١٦ ق . م .. وهو أول ذكر لها في التاريخ القديم .. كما تضمنت هذه المعاهدة في المادة ١٩ منها ضم روسيا لجزء من جورجيا وأرمينية الغربية .. وإعادة روسيا إليها اقليم أرضروم بأرمينية الغربية ، الذي كانت قد احتلته، ولكن هذه المعاهدة لم تنفذ إذ اعترضت عليها بريطانيا لحرصها على إبقاء الدولة العثمانية قوية ووقوفها ضد توسع روسيا ، ودعت إلى عقد مؤتمر دولي عام لتسوية المسألة الشرقية من جديد ..

فانعقد مؤتمر برلين الدولي لهذا الغرض في المدة من ١٣ حزيران حتى ١٣ تموز عام ١٨٧٨ ، وحضرته الدولة العثمانية وكذلك روسيا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وألمانيا ، والنمسا ، والمجر ، وإيطاليا .. وهي الدول الست الكبرى في ذلك الزمان .. وأرسل إليه الأرمن العثمانيون بإذن من الحكومة العثمانية وفداً يمثلهم برئاسة المطران خريميان هايريك مطران « وان » .. ثم جاثليق كل الأرمن الأرثوذكس مكرديش الأول ، وعضوية المطران خورين ناربي مطران بشكطاش بالقسطنطينة ، وميناس شيزار ، وستيبان باباريان عضوي المجلس الملي للأرمن الأرثوذكس .

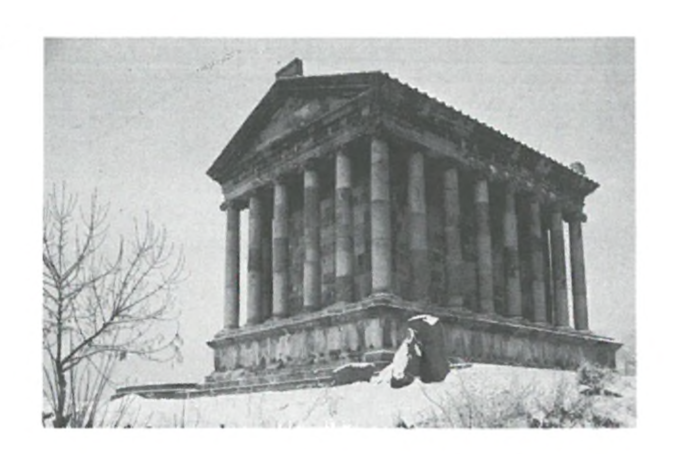
وفي باريس وقبل أن يتجه رئيس الوفد إلى برلين قابل نوبار نوباريان باشا الوزير الأرمني العثماني العامل في خدمة الحكومة المصرية ، وعرض عليه المذكرة التي أعدها لتقديمها للمؤتمر ، وطلب تأييده الأدبي والمادي .. فوافق نوبار نوباريان باشا على تقديم هذا التأييد دون أي تحفظ وعرض من جانبه بصفته كبير الأرمن العثمانيين العارف بما يصلح أمورهم وخبيراً في المفاوضات الدولية .. على رئيس الوفد تنقيح المذكرة شكلاً وموضوعاً والانضمام إلى أعضاء الوفد لشرحها شخصياً بعدئذ لأعضاء المؤتمر . ولكن هذا العرض قد رفض بناء على قرار المجلس الملي للأرمن الأرثوذكس في القسطنطينة لعدم اتساع الوقت لدراسة التعديلات المقترحة لمطالب الأرمن العثمانيين قبل عرضها على المؤتمر ..

وعند انعقاد المؤتمر في برلين برئاسة بسمارك مستشار ألمانيا لم يسمح للوفد الأرمني بالدخول إلى المبنى الذي اجتمع فيه أعضاؤه المؤتمرون ، ولكن أخذت من هذا الوفد مذكرته الحاوية للمطالب المشار إليها .. وقد جاء بهذه المذكرة أنه قد خابت آمال الأرمن العثمانيين في الإصلاحات التي وعدت بها الدولة العثمانية قبيل انتهاء حرب القرم بالخط الهمايوني المؤرخ في ١٨ شباط عام ١٨٥٦ لعدم تنفيذها .. ولكنهم لا يطالبون

بالانفصال عن الدولة العثمانية ، بل إن مطالبهم تنحصر في إدارة ذاتية مسيحية مضمونة بضمانات دولية مثل نظام لبنان الدولي الصادر في عام عام ١٨٦١ والمعدل في عام ١٨٦٤ مع بقائهم في نطاق الدولة العثمانية ، وأنهم يبدون تحفظاً على انسحاب روسيا من أقاليم أرمينية الغربية التي احتلتها ولكنها لن تضمها ، وهو أن يكون مرتبطاً بتنفيذ هذه المطالب .

ولكن هذا التحفظ لم يراعَ عند إبرام المعاهدة لأن بريطانيا كانت حريصة على سرعة انسحاب روسيا من أرمينية الغربية ، بل إنها تعهدت بمساعدة الدولة العثمانية عسكرياً عند الحاجة لإرغام روسيا على هذا الانسحاب ، مقابل إعطاء الدولة العثمانية لبريطانيا جزيرة قبرص ، وأبرمت بريطانيا مع الدولة العثمانية في يوم ٤ حزيران ١٨٧٨ في القسطنطينية معاهدة سرية تضمنت ذلك ، ثم أبرمتا في أول تموز في القسطنطينية أيضاً معاهدة سرية ثانية تضمنت إعادة بريطانيا جزيرة قبرص للدولة العثمانية فيما لو أعادت روسيا إليها جميع البلاد التي فتحتها في الحرب الأخيرة ، ولم تعلن هاتان المعاهدتان السريتان إلا بعد إبرام معاهدة برلين الدولية في ١٣ تموز عام ١٨٧٨ .

معبد كارني





النسر الحجري



أناهيد ربة الخصب



نقود من عهد ديكران الأول

الفصل العاشر

الأرمن وعبد الحميد الثاني

سمي عهد عبد الحميد الثاني بعهد الاستبداد الحميدي ، كما سمي هو « السلطان الأحمر » لأنه مثل قمة الاستبداد والظلم والرجعية .. وفوق ذلك اتسم بالخبث والدهاء السياسي وقيل أيضاً أنه كان مريضاً نفسياً ..

ولم يحاول هذا السلطان تقوية الجيش ، لأنه كان يخشاه خشيته للشعب الذي لم يطمئن إليه لعدم ثقته فيه .. ولهذا اعتمد سياسة كم الأفواه والضغط على الحريات ومحاربة كل معارضة ، وطلب أي إصلاح ، والإيقاع بين كل الفئات .. وجعل الدولة قائمة على التجسس والتقارير السرية ، والرقابة الشديدة على الصحف والمطبوعات والكتب ، وعلى كل نشاط سياسي واجتماعي ، بل وعلى الاغتيال .. وكانت أشنع جرائمه الفردية ، إعدامه سراً وزيره أحمد مدحت باشا عام ١٨٨٣ ، واغتياله عام ١٨٩٧ بالسم حكيم الشرق المصلح الإسلامي الكبير جمال الدين الأفغاني ، الذي أبقاه في عاصمته القسطنطينية مدة

خمس سنوات تحت الرقابة خشية من آرائه ونفوذه ، ثم فضل في نهاية الأمر التخلص منه ، واغتياله قبله بالسم أيضاً المطران الأرمني خورين ناربي عام ١٨٩٢ ، وخورين هذا عضو الوفد الأرمني لمؤتمر برلين الذي عقد عام ١٨٧٨ .

على أن المذابح التي اقترفهـا ضد الأرمن ، كانت أفظع جرائمه العامة وأسودها في تلطيخـه بالعـار .. حتى أنه جعـلهـا جزءاً مألوفاً ومعروفاً من السيـاسـة الداخلية للدولة العثمانية ، حيث درج عليها من بعده خلفاؤه من عصابة فتيان تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي ..

إذ بعد انتهاء الحرب العثمانية الروسية عام ١٨٧٨ بتوقيع معاهدة برلين الدولية ، وانسحاب القوات الروسية طبقاً لهذه المعاهدة من أقاليم أرضروم وبايزيد والشفراد لم تقم الدولة العثمانية بتنفيذ الإصلاحات التي التزمت بها في ولاياتها الأرمنية الستة طبقاً للمادة ٦١ من هذه المعاهدة . بـل وســاءت الحالة لتزايد الاعتداءات على الأرمن العثمانيـين ، والتي كانت مألوفة وتشمل أداءهم أتاوات بصفة منتظمة ، وذلك رغم أن بريطانيا عينت في هذه الولايات العثمانية الستة ثمانية قناصل عسكريين .. ووضعتهم تحت رئاسة قنصليها العامين في أرضروم وسيواس ، وكلفت سفيريها لدى الدولة العثمانية هنري لايرد ، ثم لورد جوشن بإثارة مسألة تنفيذ الإصلاحات في هذه الولاية الأرمنية مع عبد الحميد الثاني ...

وإثر تولي السياسي البريطاني جلادستون زعيم حزب الأحرار المتحمس للمسألة الأرمنيـة لرئاسـة الوزراء البريطانية في شهر أيار عام ١٨٨٠ ، وجهت الدول الأوروبية الموقعـة على معاهدة برلين الدولية « روسيا ــ بريطانيا ــ فرنسـا ــ ألمانيا ــ النمسـا ــ المجر ــ إيطاليا » ، وبمبادرته إلى الدولة العثمانية المذكرتين المشتركتين المؤرختين في ١١ حزيران و٧ أيلول . وفيهمـا لاحظت هذه الدول تزايد الاعتـداءات على الأرمن ، حتى وصلت الحالة إلى درجة الفوضى ، فطالبت هذه الدول بتنفيذ الإصلاحات دون تأخير ، غير أن تدخل هذه الدول كان شكلياً بحتاً وغير جدي ، ولم تقصد منه إلا حفظ ماء وجهها ، في حين أن الأرمن أخذوا هذه الإصلاحات جدياً وبدأوا يستعدون للمساهمة في تنفيذها بنشـر التعـليم بينهم ، الذي كان من مظاهره نشـاط « الجمعية المتحدة » بفتح المدارس التي أسسهـا عام ١٨٦٤ المصــلح والمثقف الأرمني العثماني المعروف مكرديتش

بشكطا شيليان عقب صدور دستور الكنيسة الأرمنية الوطنية الأرثوذكسية عام ١٨٦٣ .

ولم ينفذ السـلطـان عبد الحميد الثـاني شيئـاً من هذه الإصـلاحات لطبيعتـه الاستبدادية من جهة ولإيقانه من عدم تضامن الدول الأوروبية ضده في المسألة الأرمنية .. وعدم جديتها في التدخل بشأنها .. إذ لم يكن سراً أن بسمارك مستشار ألمانيا والذي رأس مؤتمر برلين الدولي رفض طلب جلادستون رئيس وزراء بريطانيا إثارة مسألة عدم تنفيذ الإصلاحات الأرمنية دولياً من جديد عام ١٨٨١ .. بل واقترح عليه تركها حتى لا تخلق مبدأ تستند إليـه فرنسـا في طلب تنفيذ إصـلاحات مماثلة في إقليمي الألزاس واللورين الفرنسيين ..

وفعلاً استجاب جلادستون لهذا الاقتراح وأمر سفيره لدى الدولة العثمانية بعدم إثارة هذه المسـألة ، وسحب قناصـل بريطانيا العسكريين من الولايات الأرمنية العثمانية الستة ، وذلك لأن بريطانيا كانت قد بدأت تسترضي كل من الدول العثمانية وألمانيا لكي لا تعارضا تدخلها في مصر الذي بدأ في عام ١٨٨١ إثر قيام الثورة العرابية الوطنية ..

وبناء على ذلك توقف التدخل الدولي في المسألة الأرمنية لدى الدولة العثمانية منذ أوائـل عـام ١٨٨٣ ، ولم يسفر إلا عن لفت نظر الرأي العـام العـالمي إلى وجود هذه المسألة .. بل إن بسمارك نصح السلطان عبد الحميد في خريف هذا العام بعدم الإسراع في تنفيذ الإصـلاحات الأرمنية « حرصـاً على هيبته » ، وفي العام الذي تلاه أطلق الصدر الأعظم كوتشوك سعيد باشا مقولته « إن أنجع وسيلة لإنهاء القضية الأرمنية هي القضاء على الشعب الأرمني » . وهكذا ، انفرد عبد الحميد الثاني بالمسألة الأرمنية وتفرغ لها .. فأخذ يحرض الأكراد ، وهم إحدى الأقليات التي كان يحتضنها لتنفيذ أغراضه ، على زيادة اعتداءاتهم على الأرمن العثمانيين في ولاياتهم الستة .. بل ويحضر لهم المذابح المماثلة لتلك التي حصلت في اقليم زيتون الجبلي إثر ثورتهم به في عام ١٨٦١ وفي عام ١٨٦٢ .

وكان رد الأرمن العثمانيين على هذه الاعتداءات هو مقاومتهم لها بالقوة .. ثم ظهور حركة وطنيـة بينهم كان من طلائعها الزعيمان الوطنيان الأرمنيان مكرديتش برتوغاليان ، وميناس شيراز عضوا الوفد الأرمني العثماني إلى مؤتمر برلين الدولي .. ثم ظهور اللجان أو الجمعيات الثورية الأرمنية التي كانت نواة الأحزاب الثورية الأرمنية .

وتأسست أول الجمعيات الثورية الأرمنية في وان عام ١٨٧٢ ، وأول الجمعيات العامة بمبادرة الأرمني العثماني حنا بروسلي بباريس عام ١٨٨٨ .

وحظيت بتأييد البطريرك الأرمني خريميان هايريك الذي كان قد نفي إلى اسكدار جزاء له على تقديم المطالب الأرمنية إلى مؤتمر برلين الدولي .. وكانت هذه الجمعيات تتكون من ثلاث مجموعات أو طبقات من الأعضاء .. الأولى هي طبقة الزعماء وترسم الخطط وتمولها وتصدر الأوامر .. والثانية من الشبان المثقفين وتنشر الدعايات وتجند الأنصار وتجبي الأموال .. والثالثة من عامة الشعب ويناط بها تنفيذ الأوامر ..

وأما الأحزاب الثورية الأرمنية فكانت حزب الأرمنجيان أي الحزب الأرمني الذي تأسس في وان بأرمينية العثمانية عام ١٨٨٥ ـ وحزب الهنشاق أي الناقوس أو المنبه الذي تأسس في جنيف بسويسرا عام ١٨٨٧ ـ ثم حزب الطاشناق أي الاتحاد الثوري الأرمني الذي تأسس عام ١٨٩٠ في تفليس بجورجيا ..

وتصاعدت المقاومة الأرمنية للاعتداءات العثمانية وازداد نشاط جمعياتها الثورية الأرمنية وتميز الدعاية والاغتيال والثأر .. فخشي السلطان عبد الحميد الثاني أن يؤدي ذلك إلى استقلال أرمينية العثمانية ، وكان يؤكد أنه لن يتسامح مع الأرمن .

وقد روى صديقه المستشرق المجري المعروف « أرمينوس فانبري » أنه اعتمد ما أشار به عليه مشيرا السوء المعروفان « عزت العابد باشا ، والشيخ أبو الهدى الصيادي » أن التخلص من المشكلة الأرمنية أو « الحل النهائي »لها إنما يكون بالتخلص من الأرمن أنفسهم والقضاء عليهم .. أي إنه اعتزم تذبيحهم ..

والحقيقة أن المذابح الأرمنية بدأت في عهد هذا السلطان منذ أواخر الحرب العثمانية الروسية ، وذلك لمعاقبة الأرمن العثمانيين على اشتراك إخوانهم الأرمن الروس في الحملة الروسيةس على الأناضول .. حيث جرت هذه المذابح في اقليمي بايزيد والشفراد .. وبعد انتهاء الحرب سكنت المذابح مؤقتاً ولكن عبد الحميد الثاني أخذ يعد العدة لاستئنافها وتنظيمها .. فاستمر بتهجير القبائل الكردية من ولاية ديار بكر وهي إحدى الولايات العثمانية الست إلى باقي هذه الولايات ، وهي أرضروم ، وان ، بدليس ، خربوط ،

وسيواس ، لتقليل نسبة الأرمن فيها وخاصة في ولايتي وان وبدليس ومنذ عام ١٨٨٩ بدأت المذابح الأرمنية في هذه الولايات الستة بتزايد اعتداءات الأكراد على الأرمن القاطنين فيها .. وخاصة في سنجق موش في ولاية بدليس .. حيث كان ينفذها الزعيم الكردي المعروف موسى بك ، وكان من ضحايا هذه الاعتداءات خشادور بصدرمجيان أهم شخصية من الأرمن العثمانيين بها .. والذي اغتيل في أرضروم ، وأخذ قنصل بريطانيا فيها ينبه بدون جدوى إلى تصاعد هذه الاعتداءات وبلوغها درجة المذابح ..

وأخيراً وقعت في يومي ٢٠ ــ ٢١ حزيران عام ١٨٩٠ مذبحة للأرمن في أرضروم بتحريض واليها سامي باشا راح ضحيتها كثير منهم إذ هوجمت كنيستهم بحجة تفتيشها بحثاً عن أسلحة ، وكاد أن يقتل زعيمهم هاروتيون بصدرمجيان بها .

ولهذا طلب ممثلو الأرمن العثمانيين وهم أعضاء المجلس الملي للأرمن الأرثوذكس وجمعياتهم الثورية السرية من بطريرك الأرمن الأرثوذكس بالعاصمة القسطنطينية خورين عاشقيان تقديم شكوى للسلطان متضمنة التظلم مما حل بهم ، وطلب معاقبة المسؤولين عنه .. وقابل هذا البطريرك المعروف بالتخاذل ثريا باشا كبير أمناء السلطان لتقديم الشكوى إليه .. ولكنه أقنعه بتغيير صيغتها تغييراً أفقدها معناها .. بل واستجاب هذا البطريرك لطلب الصدر الأعظم محمد كامل باشا أن يغير في أدعية وصلوات الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية بحذف أسماء بعض قديسيها مثل القديس ورطان الأول ماميكونيان بطل معركة أفراير السابق ذكره .. من رجال الحرب المجاهدين وكان هذا هو نفس الخط الذي اتبعته الحكومة العثمانية مع أئمة المساجد المسلمين .. إذ كانت تعليماتها لهم تشدد على عدم تلاوة آيات القرآن الكريم التي تندد بالظالمين وتحث على محاربة الظلم والفساد ..

ولما لم تجد هذه الشكوى .. اعتزم الأرمن العثمانيون المقيمون في القسطنطينية تنظيم مظاهرة للمطالبة بما تضمنته .. وفي ٢٧ تموز ١٨٩٠ ، وأثناء إقامة البطريرك عاشقيان صلاة خاصة بمناسبة حول عيد الأضحى للدعاء للسلطان بكتدرائية « قوم قبو » الأرمنية ، اخترق شاب أرمني صفوف المصلين حتى وصل إليه .. ثم طلب منه ترك الصلاة وقيادة مظاهرة من الأرمن العثمانيين إلى سراي السلطان لتقديم الشكوى ومعاقبة المسؤولين عن المذابح .. وبخاصة الزعيم الكردي موسى بك .. ولما لم يستجب البطريرك له أطلق عليه

الرصـاص فلم يصبه وفر البطريرك وحاول الشاب قيادة المظاهرة ، ولكن رجال الشرطة قتلوه .

وكان هذا الحادث هو الأول من نوعه في العـاصمة .. الذي لفت أنظار الدول الأوروبيـة والرأي العـام العالمي إلى المطالب والمذابح الأرمنية ، واضطر السـلطان لإجراء محاكمة صورية للزعيم الكردي المذكور انتهت بتبرئته .

بعد ذلك استمرت المذابح الأرمنية في شرق الأناضول وشكل السلطان فرقاً خاصة غير نظامية عام ١٨٩١ ، لتنفيذها ، وأسماها « الفرق الحميدية » نسبة إليه .. وكان رد الأرمن العثمانيـين على هذه المـذابح بالانتفـاضــة في الولايات الست .. وبالاغتيـال في العـاصمة .. فادعت الدولة العثمانية أنها ضبطت مؤامرة أرمنية كبرى كانت تعد للقيام بثورة دبرتها اللجان الثورية الأرمنية المتمركزة في شرق الأناضول وذلك في ٥ كانون الثاني عام ١٨٩٣ ، وقبضت على ٥٤ من زعمـاء هذه المؤامرة المزعومة وقدمتهـم للمحاكمة بأنقرة في ٨ أيار عام ١٨٩٣ .. وقد بدأتها سراً وأخفت أمرها ، ثم أجرتها علناً لكي تثبت العصيان على كافة الأرمن العثمانيين ، وانتهت هذه المحاكمة بعد ما يزيد على الشهر بالحكم بالإعدام على بعض المتهمين ، ثم عفت عنهم بناء على تدخل السفير الأمريكي وفي ٢٥ آذار عـام ١٨٩٤ ، وهو عيد الفصح . وفي أثنـاء إقامة البطريرك الأرمني الأرثوذكسـي عاشقيان الصلاة بكتدرائية « قوم قبو » الأرمنية في العاصمة وإلقائه عظة تتفق مع منشوره الذي عممه على قسسه في أوائل ذلك الشهر فيما تضمنه من التنديد بالحركة الثورية الأرمنية وتأييد الحكومة العثمانية .. أطلق أحد المصلين الأرمن النار عليه ولكنه لم يصبه .. واضطر هذا البطريرك بعدئذ إلى ترك منصبـه في يوم ١٢ نيسـان ١٨٩٤ ، وانتخب بديلاً عنه البطـريرك ماتيوس ازميرليـان المتعـاطف مع هذه الحركة بطريركاً للأرمن الأرثوذكس في القسطنطينة في ٨ كانون الثاني ١٨٩٥ .

وتحت يافطة سلطانية تقول : « صاصون بدون صاصونيين » .

وفي المدة من ١٥ آب إلى أيلول عام ١٨٩٤ وقعت مذبحة أرمنية كبرى في قضاء صاصون الجبلي الذي كان يحوي ١١٠ قرية يسكنها قرابة ٢١ ألف من الجبليين حوالي

٤٠٪ منهم من الأرمن والباقون من الأكراد ... وكان سببها امتناع السكان جميعهم منذ شهر حزيران عن أداء الضرائب المطلوبة منهم لأنهم كانوا معفين منها .. فأخبر حسن تحسين باشا والي بدليس السلطان عبد الحميد الثاني أن الأرمن أعلنوا العصيان في هذا القضاء فأمر باستعمال الشدة معهم . وأرسل قوات كبيرة بعضها نظامية وبعضها الآخر من فرق الحميدية غير النظامية بقيادة المشير زكي باشا قائد الفيلق الرابع إلى هذا القضاء فخربت ٢٤ قرية أرمنية ، وأحرقتها وقتلت كثيرين من الأرمن المقيمين فيها ، وقيل أن عدد القتلى بلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة قتيل ..

وأثارت هذه المذبحة ضجة كبرى بين شعوب الدول الأوروبية ونددت بها صحفها وردت عليها الحكومة العثمانية ببلاغ ذكرت فيه أن ما حدث هو إخماد فتنة أشعلها بعض العملاء ، ومنهم الثوريان الأرمنيان مهرام داماديان وهاميرتسوم بوياجيان المنتميان إلى حزب الهنشاق .. وإن عدد الضحايا مبالغ فيه .. وسايرتها الصحف العثمانية الخاضعة لرقابتها ، ولكن الأمر أسفر عن طلب الدول الأوروبية تشكيل لجنة لإجراء تحقيق في ظروف هذه المذبحة باشتراك مندوبين عن بريطانيا ، فرنسا ، وروسيا ، واضطرت الحكومة العثمانية إلى الاستجابة إلى هذا الطلب لتهدئة الحال ..

وأجرت اللجنة تحقيقاً متحيزاً لتصل فيه إلى النتيجة التي وضعتها مقدماً وهي نفي الاتهام عن السلطات العثمانية في تدبير هذه المذبحة إذ سمعت فقط الشهود الذين اختارتهم السلطة ، وأبعدت المراقبين الدوليين الثلاث عن إجراءات التحقيق .. وقدم هؤلاء المراقبون تقريراً منفصلاً ومناقضاً لتقرير لجنة التحقيق بتاريخ ٢٠ تموز عام ١٨٩٥ ، أثبتوا فيه مخالفات هذه اللجنة وتحيزها ..

ولما لم تنقطع المذابح الأرمنية .. قدمت بريطانيا وفرنسا وروسيا إلى الدولة العثمانية مذكرة مشتركة في ١١ أيار عام ١٨٩٥ تطلب فيها القيام بإجراءات محددة في الولايات الأرمنية العثمانية الستة تضمنت تعيين مفتش عام لها ووضع ضمانات لاختيار ولاتها لتنفيذ الإصلاحات فيها ، وإنشاء لجنة دائمة في العاصمة لمراقبة هذا التنفيذ وإعادة من هاجر من الأرمن العثمانيين بسبب المذابح إلى بلاده والعفو عنه وتعويضه وحل الفرق الحميدية .. فأخذ السلطان يسوف ويستمهل هذه الدول في الرد على مذكرتها المشتركة حتى يوقع بينها

ويواصـــل مذابحه ، وأخيراً رد في ٣ حزيران ١٨٩٥ بقبولها شكـلاً لا تفصيـلاً أي أنه رفضها ..

وفي ٣٠ أيلول ١٨٩٥ ، وهو عيد ارتفـاع الصــليب لدى الأرمن الأرثوذكس قـامـوا بمظــاهـرة في العــاصـمــة القسـطنطينيـة ... توجهت إلى البــاب العــالي لتقديم مطـالبهـم بشــأن الإصــلاحات ووقف المذابح .. ففرقت الشـرطة العثمانيـة هذه المظاهرة ، بل ونظمت مذبحة كبرى للأرمن بالعاصمة استمرت طوال ذلك اليوم واليوم التـالي .. راح ضحيتهـا قرابة الفـين ، وباشـر القتـل والنهب فيها رجال الشرطة السريين المتنكرين في زي طلبـة العلوم الدينية .. كما ألقوا القبض على كثيرين من الأرمن وتركوا الغوغاء يقتلونهم بعد القبض عليهم حتى في مراكز الشرطة دون دفاع عنهم .. ولهذا قدم سفراء الدول الأوروبية الكبرى في العاصمة مذكرة احتجاج مشتركة إلى الحكومة العثمانية على هذه المذبحة التي جرت تحت بصرهم .. ولفتوا نظر هذه الحكومة إلى خطورة الموقف ، وطلبوا اتخاذ الإجراءات اللازمة والحازمة لإعادة الأمن .. واضطر السلطان في نفس اليوم إلى عزل ناظم باشا وزير الداخلية ، وإبعاد غالبية رجال الشرطة السرية من العاصمة .. ثم عزل في اليوم التالي أيضاً الصدر الأعظم سعيد باشا ..

ولم يكتف هؤلاء السفراء بذلك فقدموا مذكرة احتجاج ثانية أصدر على أثرها السلطان خطاً سلطانياً بالإصلاحات .. ولكن هذا الخط كان مثل ما سبقه مجرد حبر على ورق ..

وتواصــلت المذابح الأرمنيـة طوال عامي ١٨٩٥ و١٨٩٦ في الولايات الأرمنية العثمانية الست في شرق الأناضول وخاصة في المدة من ١٣ تشرين الأول حتى ٣٠ تشرين الثــاني عـام ١٨٩٥ .. بـل وشملت كل الأناضـول إذ وقعت في طرابيزون ، أرضروم ، مرعش ، قيصرية ، أورفا .. وغيرها .. فقد كان السلطان يواصل تنفيذ سياسته المرسومة عن عمد وإصرار وهي إبادة الأرمن من دولته ..

وقد بـلغت المـذابح أشـدها في مدينـة الرها يومي ٢٨ ــ ٢٩ كانون الأول عام ١٨٩٥ إذ بلغ عدد ضحاياها قرابة الثلاثة ألاف منهم كثير من النساء والأطفال أحرقوا

أحياء في كنيستها التاريخية .. وقد نظم الأرمن مقاومتهم لهذه المذابح بفضل لجانهم الثورية السرية واستطاعوا في بعض البلاد مثل وان وزيتون صدها وقاد دفاعهم بعض قادتهم من أمثال أوزانيان انترانيك ، وكيفورك شـاورش وغيرهما .. ولم تفعل الدول الأوروبية شيئاً لوقف هذه المذابح واضطر البطريك الأرمني الأرثوذكسي للقسطنطينة أزميرليان إلى ترك منصبه في ٤ آب عام ١٨٩٦ .

وأعدت اللجـان الثورية الأرمنيـة السـرية خطة للقيام بهجوم مسـلح على سراي السلطان عبد الحميد الثاني بالعاصمة القسطنطينة أثناء الاحتفالات في يوم ٣١ آب عام ١٨٩٦ بالذكرى العشرين لتولية العرش انتقـاماً منه .. ولكن الحكومة الروسية القيصرية نما إليها خبر هذه الخطة إجمالاً ، فأبلغتها إلى الحكومة العثمانية .

ولهذا أعدت الحكومة العثمانيـة من جانبهـا خطة مضـادة للمبادرة بالقيام بمذبحة كبرى للأرمن في العـاصمـة بعد ظهر يوم ٢٦ آب عام ١٨٩٦ ، وبلغ اللجان الثورية الأرمنية السرية اكتشاف خطتها ، وكذلك خطة الحكومة العثمانية التي فضحها تنبيهها في يوم ٢٥ آب على موظفيهـا بأن اليوم التـالي سيكون عطـلة دون مبرر معقول .. ووضع علامات على مســاكن الأرمن الأرثوذكس في العاصمة للتعرف عليها .. فأعدت هذه اللجـان خطة جديدة أخرى للاستيلاء بالقوة المسـلحة على البنك العثماني في العاصمة والتهديد بنسفه للفت أنظار الدولة الأوروبية من جديد إلى مطالب الأرمن العثمانيين وما حل بهم ..

وفي يوم ٢٦ آب عام ١٨٩٦ في الساعة الواحدة ظهراً هاجمت فعلاً البنك العثماني في العاصمة قوة من الأرمن العثمانيين مكونة من أربعة وعشرين رجلاً مسلحاً من المنتمين إلى حزب الطاشناق الثوري الأرمني غالبيتهم من الحمالين بقيادة الثوري بابكين سيوني ، الذي قتل عند الهجوم فحل محله في القيادة الثوري أرمن كارو بصدرمجيان ، وتمكنوا من احتلال البنك واحتجزوا به رهائناً مائة وعشرين من موظفيه وهددوا بنسفه بالمفرقعات إذا لم ينفذ الســلطـان عبد الحميد الثـاني في خلال ثلاثة أيام وعوده للأرمن العثمانيين ولم يستجب إلى مطالبهم ولم يعرض المسألة الأرمنية على التحكيم الدولي ، وأرسلوا بهذا التهديد إلى السـلطان مع مساعد مدير البنك الفرنسي جاستون أبونيو بعد أن هرب منه مديره

البريطاني السير ادجار فنست .. ورغم أن قوات الشرطة حاصرت البنك ، لكنها صدت عنه ، ولم تستطع استرداده بالقوة .. وتمكن سفراء الدولة الأوروبية من عقد تسوية بين الحكومة العثمانية وبين المهاجمين الأرمن ، تم بموجبها إخلائهم من البنك تحت حراسة تراجمة السفراء .. وتسفيرهم دون التعرض لهم إلى الخارج ووعدهم بتدخل الدول الأوروبية لحل المسألة الأرمنية .. فغادروا البنك في الساعة الثانية من صباح اليوم التالي ٢٧ آب عام ١٨٩٦ إلى يخت مدير البنك الذي نقلهم إلى السفينة الفرنسية الجيروند ، التي أبحرت بهم إلى مرسيليا بفرنسا .. ويعتبر هذا الحادث هو أول حادث فدائي وطني وسياسي ثوري من نوعه في العصر الحديث ، ولم يسبق له مثيل ، **وقد شـــد الانتباه** ، إلى جدية المطالب الأرمنيـة وأثبت جرأة الأرمن واستماتتهم في مطالبهم وجدارتهم بها .. وأصدرت الحكومة العثمانية في اليوم التالي بلاغاً رسمياً عن الحادث ، كشف عن سوء نيتها لأنها اعترفت فيه بأنها كانت تعلم بتدبيره مقدماً .. ولما كانت لم تحاول منع وقوعه فإن ذلك قد دل على أنها حاولت استغلاله لكي يكون مبرراً مقبولاً لمذبحتها التي كانت دبرتها قبل وقوعه وحددت لها نفس اليوم ..

وقد وقعت هذه المذبحة في العاصمة فعلاً في الميعاد المحدد لها بعد وقوع حادث البنك العثماني بقليل بل وقبل وقوعه في بعض الأحياء ، الأمر الذي ينفي حدوثها بصفتها رداً شعبيـاً تلقـائيـاً على هذا الحادث على نحو ما حاولت الحكومة العثمانية تصوير هذه المذبحة ..

وقد جرت وفقاً للحظة المرسومة لها وتركزت بصفة خاصة في حي « خاص كوي » وهو حي الأرمن القريب من حي أيوب . واستمرت ثلاثة أيام هي أيام ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨ آب عام ١٨٩٦ .. وأسفرت عن سقوط سبعة آلاف قتيل منهم كثير من النسـاء والأطفــال . غـير أنـه حفظــاً للمظــاهر لم تمتـد إلى كتـدرائيـة « قوم قابو » الأرمنيـة الأرثوذكسية ، كما أنها للوقيعة بين الأرمن الأرثوذكس وبين الأرمن الكاثوليك لم تشمل هؤلاء الآخرين .. ولجأ كثير من الأرمن أثناء سير المذابح إلى المساجد ومنازل كبراء الأتراك العثمانيين فأغاثهم وآواهم بعض أئمة المساجد وخاصة في حي أيوب .. وقد حقق غرضه ،، وهو لفت نظر الدول الأوروبية والرأي العام العالمي والدولة العثمانية ذاتها ، وحال الغازي

المشير فؤاد باشا الشركسي دون امتداد المذابح إلى البر الآسيوي من العاصمة (اسكدار) . ولما بدأ سفراء الدول الأوروبية يظهرون امتعاضهم من انتشارها صدر أمر من السلطان عبد الحميد الثاني بوقفها فتوقفت فجأة ...

وقدم سفراء الدول الأوروبية الستة الكبرى في العاصمة في يوم ٧ أيلول عام ١٨٩٦ ، مذكرة احتجاج شديدة على هذه المذابح ، وأشاروا إلى تدبيرها ، وطلبوا وقفها نهائياً ، وإعادة الأمن إلى نصابه ..

وقد بلغت حصيلة هذه المذابح التي تواصلت منذ في عام ١٨٩٤ حتى عام ١٨٩٦ قرابة مائة وخمسين ألف شهيد من الأرمن العثمانيين ، مات ثلثاهم قتلاً والثلث الباقي نتيجة للظروف القاسية التي لابستها وهي التشريد والجوع ، والبرد ..

وهاجر مائة وألف أرمني عثماني من الدولة العثمانية إلى روسيا ودول البلقان ، وأوروبا ، وأمريكا ، وهبط عددهم إلى النصف في ولايات أرضروم ووان ، وبدليس في شرق الأناضول .. ومجموعهم في كل الدولة العثمانية بنسبة العشر .. وأسدل الستار على هذه المذابح ببلاغ أصدرته الحكومة العثمانية يوم ١١ تشرين الثاني عام ١٨٩٦ .. وعدت فيه بأن تنفذ بكل دقة في ولاياتها الأرمنية الستة في شرق الأناضول ، بالنسبة لجميع الأرمن أحكام « الخط الشريف »و« خط كلخانة » و« الخط الهمايوني » و« الدستور العثماني » وأضافت إليها مرسومين مؤرخين في يومي ٢٢ كانون الأول عام ١٨٩٩ و١١ تشرين الأول من العام نفسه بالعفو عن بعض الأرمن ، لكن كل ذلك كان وعوداً جوفاء ، حيث شددت رقابتها على الأرمن العثمانيين وأضافت اسم أرمينية إلى ألفاظ الحرية والثورة المحرم استعمالها في الصحف العثمانية ، وأوقفت العمل بدستور ملة الأرض الأرثوذكس .

ونقلت الحركات الثورية الأرمنية معظم نشاطها إلى خارج الدولة العثمانية ، وركزته على الدعاية والتعاون مع الحركات المعادية للسطان عبد الحميد ، والتدريب على استعمال الأسلحة والقنابل لاغتياله بالذات ، وقد راح ضحية هذا التدريب الثوري ، الأرمني المعروف كريستابور ميكائيليان من مؤسسي حزب الطاشناق ورئيسه آنذاك ، حيث قتل بانفجار قنبلة في بلغاريا عام ١٩٠٥ ، ولم يبقَ في الدولة العثمانية إلا نشاط ثوري أرمني قليل منه إطلاق النار على بطريرك الأرمن الجديد مغاكيا أورمانيان في ٦ حزيران ١٩٠٣ .

البريطاني السير ادجار فنست .. ورغم أن قوات الشرطة حاصرت البنك ، لكنها صدت عنه ، ولم تستطع استرداده بالقوة .. وتمكن سفراء الدولة الأوروبية من عقد تسوية بين الحكومة العثمانية وبين المهاجمين الأرمن ، تم بموجبها إخلائهم من البنك تحت حراسة تراجمة السفراء .. وتسفيرهم دون التعرض لهم إلى الخارج ووعدهم بتدخل الدول الأوروبية لحل المسألة الأرمنية .. فغادروا البنك في الساعة الثانية من صباح اليوم التالي ٢٧ آب عام ١٨٩٦ إلى يخت مدير البنك الذي نقلهم إلى السفينة الفرنسية الجيروند ، التي أبحرت بهم إلى مرسيليا بفرنسا .. ويعتبر هذا الحادث هو أول حادث فدائي وطني وسياسي ثوري من نوعه في العصر الحديث ، ولم يسبق له مثيل **، وقد شد الانتباه** ، إلى جدية المطالب الأرمنية وأثبت جرأة الأرمن واستماتتهم في مطالبهم وجدارتهم بها .. وأصدرت الحكومة العثمانية في اليوم التالي بلاغاً رسمياً عن الحادث ، كشف عن سوء نيتها لأنها اعترفت فيه بأنها كانت تعلم بتدبيره مقدماً .. ولما كانت لم تحاول منع وقوعه فإن ذلك قد دل على أنها حاولت استغلاله لكي يكون مبرراً مقبولاً لمذبحتها التي كانت دبرتها قبل وقوعه وحددت لها نفس اليوم ..

وقد وقعت هذه المذبحة في العاصمة فعلاً في الميعاد المحدد لها بعد وقوع حادث البنك العثماني بقليل بل وقبل وقوعه في بعض الأحياء ، الأمر الذي ينفي حدوثها بصفتها رداً شعبياً تلقائياً على هذا الحادث على نحو ما حاولت الحكومة العثمانية تصوير هذه المذبحة ..

وقد جرت وفقاً للحظة المرسومة لها وتركزت بصفة خاصة في حي « خاص كوي » وهو حي الأرمن القريب من حي أيوب . واستمرت ثلاثة أيام هي أيام ٢٦ — ٢٧ — ٢٨ آب عام ١٨٩٦ .. وأسفرت عن سقوط سبعة آلاف قتيل منهم كثير من النساء والأطفال . غير أنه حفظاً للمظاهر لم تمتد إلى كتدرائية « قوم قابو » الأرمنية الأرثوذكسية ، كما أنها للوقيعة بين الأرمن الأرثوذكس وبين الأرمن الكاثوليك لم تشمل هؤلاء الآخرين .. ولجأ كثير من الأرمن أثناء سير المذابح إلى المساجد ومنازل كبراء الأتراك العثمانيين فأغاثهم وآواهم بعض أئمة المساجد وخاصة في حي أيوب .. وقد حقق غرضه ،، وهو لفت نظر الدول الأوروبية والرأي العام العالمي والدولة العثمانية ذاتها ، وحال الغازي

المشير فؤاد باشا الشركسي دون امتداد المذابح إلى البر الآسيوي من العاصمة (اسكدار) . ولما بدأ سفراء الدول الأوروبية يظهرون امتعاضهم من انتشارها صدر أمر من السلطان عبد الحميد الثاني بوقفها فتوقفت فجأة ...

وقدم سفراء الدول الأوروبية الستة الكبرى في العاصمة في يوم ٧ أيلول عام ١٨٩٦ ، مذكرة احتجاج شديدة على هذه المذابح ، وأشاروا إلى تدبيرها ، وطلبوا وقفها نهائياً ، وإعادة الأمن إلى نصابه ..

وقد بلغت حصيلة هذه المذابح التي تواصلت منذ في عام ١٨٩٤ حتى عام ١٨٩٦ قرابة مائة وخمسين ألف شهيد من الأرمن العثمانيين ، مات ثلثاهم قتلاً والثلث الباقي نتيجة للظروف القاسية التي لابستها وهي التشريد والجوع ، والبرد ..

وهاجر مائة وألف أرمني عثماني من الدولة العثمانية إلى روسيا ودول البلقان ، وأوروبا ، وأمريكا ، وهبط عددهم إلى النصف في ولايات أرضروم ووان ، وبدليس في شرق الأناضول .. ومجموعهم في كل الدولة العثمانية بنسبة العشر .. وأسدل الستار على هذه المذابح ببلاغ أصدرته الحكومة العثمانية يوم ١١ تشرين الثاني عام ١٨٩٦ .. وعدت فيه بأن تنفذ بكل دقة في ولاياتها الأرمنية الستة في شرق الأناضول ، بالنسبة لجميع الأرمن أحكام « الخط الشريف »و« خط كلخانة » و« الخط الهمايوني » و« الدستور العثماني » وأضافت إليها مرسومين مؤرخين في يومي ٢٢ كانون الأول عام ١٨٩٩ و١١ تشرين الأول من العام نفسه بالعفو عن بعض الأرمن ، لكن كل ذلك كان وعوداً جوفاء ، حيث شددت رقابتها على الأرمن العثمانيين وأضافت اسم أرمينية إلى ألفاظ الحرية والثورة المحرم استعمالها في الصحف العثمانية ، وأوقفت العمل بدستور ملة الأرض الأرثوذكس .

ونقلت الحركات الثورية الأرمنية معظم نشاطها إلى خارج الدولة العثمانية ، وركزته على الدعاية والتعاون مع الحركات المعادية للسطان عبد الحميد ، والتدريب على استعمال الأسلحة والقنابل لاغتياله بالذات ، وقد راح ضحية هذا التدريب الثوري ، الأرمني المعروف كريستابور ميكائيليان من مؤسسي حزب الطاشناق ورئيسه آنذاك ، حيث قتل بانفجار قنبلة في بلغاريا عام ١٩٠٥ ، ولم يبقَ في الدولة العثمانية إلا نشاط ثوري أرمني قليل منه إطلاق النار على بطريرك الأرمن الجديد مغاكيا أورمانيان في ٦ حزيران ١٩٠٣ .

بعد ذلك جرت مذابح جديدة على نطاق واسع في توقات بشرق الأناضول يومي ١٩ و ٢٠ آذار ١٨٩٧ ، ثم في جبل صاصون في المدة من ١١ إلى ١٥ آب ١٩٠٣ ثم في المدة من ٢٥ نيسان إلى ٢٩ أيار ١٩٠٤ . ورد عليها الأرمن بمحاولة اغتيال عبد الحميد الثاني ذاته في العاصمة بجهاز متفجر لم يصبه وذاك في ٢١ تموز ١٩٠٥ .

الفصل الحادي عشر

انقلاب ١٩٠٨

نقلت المعارضة للحكم الاستبدادي نشاطها ، إلى خارج الدولة العثمانية منذ عام ١٨٩٧ ، حيث تبلورت في منظمتين هامتين ، هما :

— حركة تركيا الفتاة ، التي كانت امتداداً لحركة « لجنة الاتحاد والترقي » ، وقد تركز هدفها على التعصب للقومية التركية وتأكيد وجودها في الدولة العثمانية ، وتزعم هذه الحركة أحمد رضا .

— حركة الأحرار العثمانيين ، التي دعت إلى مساواة وتوحيد كافة قوميات الدولة العثمانية على أساس فيدرالي — ليبرالي ، وتزعمها الأمير صباح الدين ابن اخت السلطان عبد الحميد ذاته .

وكان للأرمن منظماتهم الثورية التي وجهت نشاطها ضد كل أشكال الاستبداد ،

ومن الطبيعي أن يكون تعاونها حسب منطق الأمور ، مع حركة الأحرار ، ولهذا شاركت بمؤتمر باريس الذي انعقد في الفترة من ٤ إلى ٩ شباط ١٩٠٢ ، والذي ضم حركة تركيا الفتاة ، والأحرار العثمانيين ، والمنظمات الأرمنية .

وبما أن المؤتمر لم يسفر عن توحيد جهود المعارضة ، دعا حزب الطاشناق إلى مؤتمر باريس الثاني من ٢٧ إلى ٢٩ كانون الأول ٢٧ ١٩٠٧ ، الذي ضم حركة تركيا الفتاة ومثلها أحمد رضا ، وحركة الأحرار العثمانيين ومثلها الأمير صباح الدين ، وحزب الطاشناق ممثلاً بخشادور مالوميان ، وأصدر المؤتمرون بياناً عن وسائل تنظيم المعارضة في الدولة العثمانية ، لكن اتفاق هذه الحركات كان ظاهرياً ، حيث بقيت حركة تركيا الفتاة في جهة ، وحركة الأحرار والطاشناق في جهة ثانية .

وفي العام ١٩٠٨ ، تمكن الاتحاديون من الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني ، وآلت السلطة إلى الضباط الممثلين للجناح المتطرف لحركة تركيا الفتاة ، حيث ظهر فيما بعد ، والمؤلف من الثالوث طلعت باشا وأنور باشا وجمال باشا ، وهم رئيس الوزراء ووزيري الحرب والبحرية .

في البداية ، رحب الأرمن بالانقلاب ، إذ ، خيل لهم أن الاضطهاد سيرفع عنهم ، وأنهم سيمنحون حرية ممارسة حياتهم الخاصة . إلا أنهم لم يدركوا أن هذا الانقلاب كان بمثابة صحوة الموت في الدولة العثمانية ، وأنه سيفضي إلى المزيد من المذابح ، فقد انحرف ثالوث « الباشاوات » السابق الذكر ، عن مبادئ « الثورة » ، وأقام حكماً ديكتاتورياً أشد استبداداً وإرهاباً من حكم عبد الحميد الثاني .

ففي نيسان ١٩٠٩ ، وقعت مذابح جديدة بحق الأرمن في إقليمي قليقية وأنطاكية وشملت ، أضنة ومرعش ومرسين وهجين واللاذقية ، وراح ضحيتها قرابة خمسة عشر ألف أرمنياً ، وذلك على الرغم من محاولة بريطانيا وألمانيا إيقافها بالقوة ، عبر إرسالهما سفناً حربيــة إلى الاسكندرونة . وقد عرض على مجلس المبعوثين « النواب » العثماني آنذاك ، تقريران متناقضان عن هذه المذابح ، أحدهما من العضو التركي يوسف كمال ، والثاني من العضو الأرمني آغوب بابيكيان ، وقبل الأرمن على مضض تبرير الحكام العثمانيون الجدد

لهذه المذابح ، وتأكيداً لحسن نواياهم قبل الأرمن مساعي نائب القسطنطينة غريغور زوهراب ، وتصالحوا مع العثمانيين .

وقد سجل مطران أضنة « موشع » هذه المذابح في كتابه المعروف « صلوات المغرب على قليقية » وحكم العثمانيون على المؤلف غيابياً بالسجن خمسون عاماً ، كذلك أبعدوا مطران الأرمن الكاثوليك بول تريزيان عن الدولة العثمانية عام ١٩١٣ لتنديده بهذه المجازر .

في عام ١٩١٢ ، خسرت الدولة العثمانية آخر أملاكها في افريقيا ، وذلك نتيجة احتلال إيطاليا لليبيا ، وبعد عام ، خسرت مقدونيا وتراقية ، نتيجة الحرب البلقانية التي أعلنتها بلغاريا واليونان والصرب على العثمانيين .

وفي هذه الحرب جندت الدولة العثمانية الأرمن في جيوشها لأول مرة ، وشكلت منهم وحدات خاصة ، وقد وجد الأرمن في هذه المسألة فرصة لإثبات حسن نواياهم وولائهم ، ومن ثم الوصول إلى حقوقهم ، ولاح لهم أن هذه الحقوق المتمثلة بتنفيذ إصلاحات معاهدة برلين ، باتت قريبة ، وذلك بعد أن تولى الفقيه الأرمني في القانون الدولي العام جبرائيل نورادونجيان وزارة الخارجية في وزارة أحمد مختار باشا . كذلك تعززت آمالهم بعد قيام الثورة الشعبية الفارسية في إيران ضد استبداد الشاه محمد علي القاجاري ، حيث شارك الأرمن المقيمين هناك بهذه الثورة ، وكان من أبرز زعمائها الأرمني سعيد أفرايم الذي عين قائداً لشرطة طهران بعد نجاح الثورة عام ١٩٠٩ .

لكن رغم كل ذلك ، تزايدت الاعتداءات على الأرمن في نيسان ١٩١٢ بولايتي أرضروم وبدليس ، فقدم البطريرك زافين أغيايان ، بناء على قرار مجلس الملة ، مذكرتين إلى الحكومة العثمانية لفت فيهما نظرها إلى ما يحدث للأرمن ، ويحذرها من العواقب ، وفي الوقت نفسه ، اتصل بوغوص نوبار باشا ، وبتكليف من جاثليق الأرمن في اتيشميازين كيفورك الخامس ، بزعماء الدول الأوروبية ، موضحاً وجوب تنفيذ الإصلاحات تحت رقابة روسية ودولية .

وبالفعل قامت روسيا بالاتصال مع الدول الأوروبية بهدف تدويل المسألة الأرمنية ، كما اتصل سفيرها جيزر بالقسطنطينة ، مع وزير الخارجية محمد سعيد حليم باشا ، ففضل

ومن الطبيعي أن يكون تعاونها حسب منطق الأمور ، مع حركة الأحرار ، ولهذا شاركت بمؤتمر باريس الذي انعقد في الفترة من ٤ إلى ٩ شباط ١٩٠٢ ، والذي ضم حركة تركيا الفتاة ، والأحرار العثمانيين ، والمنظمات الأرمنية .

وبما أن المؤتمر لم يسفر عن توحيد جهود المعارضة ، دعا حزب الطاشناق إلى مؤتمر باريس الثاني من ٢٧ إلى ٢٩ كانون الأول ٢٧ ١٩٠٧ ، الذي ضم حركة تركيا الفتاة ومثلها أحمد رضا ، وحركة الأحرار العثمانيين ومثلها الأمير صباح الدين ، وحزب الطاشناق ممثلاً بخشادور مالوميان ، وأصدر المؤتمرون بياناً عن وسائل تنظيم المعارضة في الدولة العثمانية ، لكن اتفاق هذه الحركات كان ظاهرياً ، حيث بقيت حركة تركيا الفتاة في جهة ، وحركة الأحرار والطاشناق في جهة ثانية .

وفي العام ١٩٠٨ ، تمكن الاتحاديون من الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني ، وآلت السلطة إلى الضباط الممثلين للجناح المتطرف لحركة تركيا الفتاة ، حيث ظهر فيما بعد ، والمؤلف من الثالوث طلعت باشا وأنور باشا وجمال باشا ، وهم رئيس الوزراء ووزيري الحرب والبحرية .

في البداية ، رحب الأرمن بالانقلاب ، إذ ، خيل لهم أن الاضطهاد سيرفع عنهم ، وأنهم سيمنحون حرية ممارسة حياتهم الخاصة . إلا أنهم لم يدركوا أن هذا الانقلاب كان بمثابة صحوة الموت في الدولة العثمانية ، وأنه سيفضي إلى المزيد من المذابح ، فقد انحرف ثالوث « الباشاوات » السابق الذكر ، عن مبادئ « الثورة » ، وأقام حكماً ديكتاتورياً أشد استبداداً وإرهاباً من حكم عبد الحميد الثاني .

ففي نيسان ١٩٠٩ ، وقعت مذابح جديدة بحق الأرمن في إقليمي قليقية وأنطاكية وشملت ، أضنة ومرعش ومرسين وهجين واللاذقية ، وراح ضحيتها قرابة خمسة عشر ألف أرمنياً ، وذلك على الرغم من محاولة بريطانيا وألمانيا إيقافها بالقوة ، عبر إرسالهما سفناً حربيــة إلى الاسكندرونة . وقد عرض على مجلس المبعوثين « النواب » العثماني آنذاك ، تقريران متناقضان عن هذه المذابح ، أحدهما من العضو التركي يوسف كمال ، والثاني من العضو الأرمني آغوب بابيكيان ، وقبل الأرمن على مضض تبرير الحكام العثمانيون الجدد

لهذه المذابح ، وتأكيداً لحسن نواياهم قبل الأرمن مساعي نائب القسطنطينة غريغور زوهراب ، وتصالحوا مع العثمانيين .

وقد سجل مطران أضنة « موشع » هذه المذابح في كتابه المعروف « صلوات المغرب على قليقية » وحكم العثمانيون على المؤلف غيابياً بالسجن خمسون عاماً ، كذلك أبعدوا مطران الأرمن الكاثوليك بول تريزيان عن الدولة العثمانية عام ١٩١٣ لتنديده بهذه المجازر .

في عام ١٩١٢ ، خسرت الدولة العثمانية آخر أملاكها في افريقيا ، وذلك نتيجة احتلال إيطاليا لليبيا ، وبعد عام ، خسرت مقدونيا وتراقية ، نتيجة الحرب البلقانية التي أعلنتها بلغاريا واليونان والصرب على العثمانيين .

وفي هذه الحرب جندت الدولة العثمانية الأرمن في جيوشها لأول مرة ، وشكلت منهم وحدات خاصة ، وقد وجد الأرمن في هذه المسألة فرصة لإثبات حسن نواياهم وولائهم ، ومن ثم الوصول إلى حقوقهم ، ولاح لهم أن هذه الحقوق المتمثلة بتنفيذ إصلاحات معاهدة برلين ، باتت قريبة ، وذلك بعد أن تولى الفقيه الأرمني في القانون الدولي العام جبرائيل نورادونجيان وزارة الخارجية في وزارة أحمد مختار باشا . كذلك تعززت آمالهم بعد قيام الثورة الشعبية الفارسية في إيران ضد استبداد الشاه محمد علي القاجاري ، حيث شارك الأرمن المقيمين هناك بهذه الثورة ، وكان من أبرز زعمائها الأرمني سعيد أفرايم الذي عين قائداً لشرطة طهران بعد نجاح الثورة عام ١٩٠٩ .

لكن رغم كل ذلك ، تزايدت الاعتداءات على الأرمن في نيسان ١٩١٢ بولايتي أرضروم وبدليس ، فقدم البطريرك زافين أغيايان ، بناء على قرار مجلس الملة ، مذكرتين إلى الحكومة العثمانية لفت فيهما نظرها إلى ما يحدث للأرمن ، ويحذرها من العواقب ، وفي الوقت نفسه ، اتصل بوغوص نوبار باشا ، وبتكليف من جاثليق الأرمن في اتيشميازين كيفورك الخامس ، بزعماء الدول الأوروبية ، موضحاً وجوب تنفيذ الإصلاحات تحت رقابة روسية ودولية .

وبالفعل قامت روسيا بالاتصال مع الدول الأوروبية بهدف تدويل المسألة الأرمنية ، كما اتصل سفيرها جيزر بالقسطنطينة ، مع وزير الخارجية محمد سعيد حليم باشا ، ففضل

أن يكون الحل عثمانياً . لكن الاتصالات أدت إلى صدور تعليمات من الدول الستة الكبرى ـــ بريطانيا ، فرنسا ، روسيا ، ألمانيا ، النمسا ، إيطاليا ـــ ، إلى سفرائها في العاصمة العثمانية ، تقضي بوضع مشروع دولي محدد حول الإصلاحات .

وحين تم وضع هذا المشروع ، اعترض عليه سفير ألمانيا ، ثم قدمت الحكومة العثمانية مشروعاً مقابلاً له ، ولهذا انعقد مؤتمر « يني كوى » دون التوصل إلى اتفاق . غير أن روسيا واصلت مساعيها وتمكن سفيرها من الاتفاق مع سفير ألمانيا « فانغنهايم » ، على مشروع آخر يتضمن اعتبار الولايات الأرمنية العثمانية التي يقطنها الأرمن سبع ولايات هي « طرابزيون ، أرضروم ، سيواس ، وان ، بدليس ، خربوط ، ديار بكر » . وتقسيمها إلى إقليمين ، يضم الأول الولايات الثلاثة الأولى ، والثاني ما تبقى ، وأن تعين الحكومة العثمانية لكل منها ، مفتشاً عاماً من إحدى الدول الأوروبية ، وأن تراقب الدول الستة تنفيذ الإصلاحات .

لكن الحكومة العثمانية لم توافق على هذا المشروع رغم إقراره من الأوروبيين ، فتم تعديله وأبرم في ٨ شباط ١٩١٤ بين كل من الدولة العثمانية وروسيا ، وقد تضمن التعديل ، أن يكون عدد المسيحيين في هيئات بعض الولايات يتناسب وعددهم فيها لا النصف كما نص عليه المشروع السابق .

وبدأت الحكومة العثمانية بتنفيذ الاتفاق ، فعينت مفتشين عامين للاقليمين المذكورين ، هما « وستيك » من هولندا ، و« هوف » من النرويج ، كذلك وافقت على زيادة أعضاء مجلس النواب العثماني من الأرمن ، على أن يختارهم البطريرك .

لكن الحرب العالمية الأولى التي قامت في العام ١٩١٤ ، قلبت كل الحسابات ، ولم ترَ الإصلاحات التي تاق إليها الأرمن النور أبداً .

الفصل الثاني عشر

النَّهْضَة الفكريَّة

بدأت النهضة الفكرية الأرمنية في مطلع القرن الثامن عشر ، وأول روادها هو رئيس الرهبان مخيطار السباسطي الذي أقام الاتصال الحقيقي بين الشعب الأرمني وبين الغرب .. وفكره في العصور الحديثة .. وقد ولد في عام ١٦٧٦ بسبطه أو سيواس بشرق الأناضول .. وترهبن عام ١٦٩٠ ، وأنهى دراسته العلوم الدينية في أرضروم ، حيث اتصل بالمرسلين اليسوعيين عام ١٦٩٩ ، ثم انتقل إلى العاصمة القسطنطينية عام ١٧٠٠ . وفيها شاع عنه إعجابه بالغرب بل وسعيه إلى توحيد الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية في الكنيسة الكاثوليكية في روما ، ورغب في السفر إلى هذه المدينة فلم يرق ذلك لا للسلطات العثمانية ولا لسلطات الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية ، فلجأ إلى السفارة الفرنسية ثم إلى دير الكبوشيين حيث أسس به في ٨ أيلول عام ١٧٠١ الرهبنة المخيطارية للأرمن الكاثوليك بهدف إيقاظ أرمينية من خلال إرسال الإرساليات إليها ومدها بالكتب الثقافية .. ثم انتقل

إلى شبه جزيرة المورة الاغريقية التي كانت تابعة لجمهورية البندقية عام ١٧٠٣ .. واعترف البابا بروما وهو رئيس الكنيسة الكاثوليكية برهبانيته عام ١٧١٥ .. ثم انتقل في العام نفسه إلى البندقية ذاتها أي إلى إيطاليا إثر قيام الحرب بين الدولة العثمانية والبندقية في العام المذكور .

وأعطته سلطات البندقية جزيرة لعاذار ليستقر فيها عام ١٧١٧ فأقام بها ديراً لرهبانتيه واتخذه مركزاً لنشاطه العلمي حتى وفاته عام ١٧٤٩ .. وبعد وفاته واصل أتباعه الرهبان المخيطاريون هذا النشاط فأسسوا فروعاً في فيينا بالنمسا حيث أقاموا ديراً آخر ، وفي باريس بفرنسا وغيرهما ..

وفي عام ١٨١٦ أنشأوا في مقرهم الرئيسي معهداً أو أكاديمية لدراسة اللغة الأرمنية والتاريخ الأرمني ..
وتضمن النشاط العلمي للرهبان المخيطارين العمل على المحافظة على اللغة الأرمنية لكونها المعبرة عن أصالة وشخصية الشعب الأرمني .. إذ هي فرع قائم بذاته من مجموعة اللغات الآرية ولها حروفها الخاصة .. وخشية من ضياعها وضياع الشعب الأرمني بالتالي .. فقد بدأ أبناؤه يتكلمون بجانبها اللغة التركية العثمانية ، ويكتبون هذه اللغة بحروف أرمنية ، وتضمن هذا النشاط أيضاً تعريف الشعب الأرمني بآدابه وفنونه القديمة وبتاريخه الطويل الحافل ، حتى يعرف أصالته وعراقة ماضيه .. فيصلح أحواله السيئة التي تردى إليها ..

ومن مظاهر هذا النشاط تأليف الأباتي مخيطار السباسطي ذاته أجرومية أرمينية ، وقاموس اللغة الأرمنية القديمة اللذين طبعا عام ١٧٢٧ ثم قاموس كبير للغة الأرمنية طبع بعد وفاته في المدة من عام ١٧٤٩ حتى عام ١٧٦٩ ، وألف الأب جوكاس أندججيان جغرافية لأرمينية الحديثة التي طبعت عام ١٨٠٦ ، وأخرى لأرمينية القديمة التي طبعت عام ١٨٢٨ ، وألف الأب مكرديش أفكاريان قاموس للغة الأرمنية الكبير .. ونشر عيون الأدب الأرمني القديم في عام ١٨٠٠ وحتى عام ١٨٢٤ بإشراف الأب كيوفر .. كما كان من أبرز الرهبان المخيطارين في البندقية الأب حنا زوهراب ناشر أحسن نسخة للكتاب المقدس باللغة الأرمنية وفي القرن الثامن عشر أيضاً ظهرت نهضة فكرية أرمنية أخرى موازية للنهضة الفكرية الأرمنية التي بعثها الرهبان المخيطاريون في الغرب ، وذلك في أرمينية

الشرقية التي كانت تحت الحكم الفارسي وفي اقليم ما وراء القوقاز .. وقد تزعمها المفكران الأرمنيان إسرائيل أورى ، ويوسف أمين اللذان اتصلا وغيرهما بالدولة الروسية القيصرية وكرسا نشاطهما الفكرية لإنهاض أرمينية وانتشالها من وهدتها ..

كما كان من رواد هذه النهضة المؤكدين على شخصية أرمينية شاعرها الأكبر صيات نوفا .. واسمه الحقيقي أرتين سعيديان الذي عاش في تفليس في بلاط ملك جورجيا هرقل الثاني البجراطي ، وألف أشعاره وأغانيه باللغات الأرمنية والكرجية والآذربيجانية ثم ترهبن .. وقد قتل في الغارة الفارسية على تفليس عام ١٧٩٥ ، وقد امتدت هاتان النهضتان الفكريتان الأرمنيتان إلى أرمينية الغربية العثمانية وسائر الدولة العثمانية ..

وكان ممن تعرف على أرمينية والأرمن وكتب عنهم من فطاحل الفلاسفة الفرنسيان فولتير ، وروسو .. والألماني « كانت » في القرن الثامن عشر والشاعر البريطاني الكبير لورد بيرون ، الذي تعلم مبادئ اللغة الأرمنية ، وتحمس لتحرير الأرمن ..

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر دخلت النهضة الفكرية الأرمنية مرحلة جديدة إثر تصريح الحكومة العثمانية عام ١٧٩٠ بفتح المدارس غير الدينية ليتعلم فيها رعاياها المسيحيون ومنهم الأرمن ، فظهرت المدارس والمعاهد لتعليم البنين والبنات . وبدأ يتخرج منها الأرمن الذين يطمحون لاستكمال تعليمهم في جامعات أوروبة وروسيا ..

وتخرج من هذه المدارس والجامعات والمعاهد العالية جيل أرمني جديد مثقف بالثقافة الأوروبية كان له أكبر الأثر في مواصلة السير بالنهضة الأرمنية وتطويرها ومنهم الكاتب الكبير والوطني الغيور خشادور أبوفيان مؤسس الأدب الأرمني الحديث ومخرجه من وسطه الكنسي إلى العالم الخارجي .. إذ كتب باللغة الأرمنية المتداولة المعروفة « بالأشخارابار » ..

كما ألف قصة معبرة عن الآلام التي قاساها الشعب الأرمني .. تحت عنوان « جراح أرمينية » . ثم الكاتبان الكبيران الغيوران أيضاً ميكائيل نالبانديان مترجم عيون الأدب الروسي إلى اللغة الأرمنية .. وهاجوب ملك هاجوبيان الشهير برافي أكبر الروائيين الأرمن الذي وصف أيضاً هذه الآلام وآماله في مؤلفاته ومنها قصة « الوميض » ثم الكاتب

المسرحي جبرائيل صندوقيان أكبر الكتاب المسرحيين الأرمن مؤلف مسرحية « ببو » .. ثم الرسام الفنان هوفانس ايفازوفسكي الذي تخصص في رسم المناظر البحرية وحضر افتتاح قناة السويس بمصر عام ١٨٦٩ ، ورسم مناظره ومناظر الآثار المصرية القديمة وأولها الأهرام وأبي الهول ..

ومن هؤلاء الخريجين أيضاً الجاثلين خريميان هايريك الذي رأس وفد الأرمن العثمانيين إلى مؤتمر برلين الدولي عام ١٨٧٨ ، ثم انتخب جاثليقاً لكل الأرمن الأرثوذكس من عام ١٨٩٢ إلى عام ١٩٠٧ — وكان المدافع الأول عنهم إبان مذابحهم في الدولة العثمانية .. وبرز كذلك الشاعر بدروس طوريان ، والناقد الساخر هاجوب بارونيان ، والشاعر والموسيقار العالمي سلامون سلامونيان الشهير بكوميداس رائد الموسيقى الأرمنية الحديثة .

ومن جيل مثقفي الأرمن العثمانيين في القرن التاسع عشر الذي يجدر ذكرهم أيضاً أرسين البجراطيوني مؤلف ملحمة هايك توقسازن الشعرية التي ظهرت عام ١٨٥٨ عن تاريخ الشعب الأرمني ، وملكه الأسطوري هايك .. ثم غفوند عاليشان مؤلف ملحمة « هايروني » عن مفاخر الشعب الأرمني وأمجاده الوطنية ..

كذلك تجدر الوقفة عند المفكر الأرمني يوسف أمين الذي سجل سيرته الشخصية باللغة الانكليزية وطبعت في لندن عام ١٧٩٢ ، وخلاصتها أنه ولد في مدينة همدان الإيرانية عام ١٧٢٦ ، ثم انتقل مع أسرته إلى بغداد عام ١٧٣٣ ومنها إلى الهند حيث تربى وتعلم ، وبعد أن طاف في أوروبا الغربية دون أن يجد تعاطفاً مع أرمينية ، زار بلاده عام ١٧٦٠ وقابل في اتشيميازين الجاثليق هاغوب الخامس ، ثم راح يخالط الفلاحين والبسطاء ويتلو عليهم أمجاد أرمينية التاريخية ، فكانوا يدهشون ولا يصدقون أن هذا هو ماضي أسلافهم ، ونظروا إلى يوسف أمين على أنه « نبياً » أخبرهم بما لا يعرفونه ، وكانوا يتسابقون إلى تقبيل أقدامه . وبعد أن زار بطرس برغ عاصمة روسيا واجتمع إلى حكامها ، عاد إلى الهند حيث شارك المفكرين الأرمنيين شامير شاميريان وموسيس باجرميان في تأسيس أول مطبعة أرمنية بمدينة مدراس عام ١٧٧١ .

ويرتبط بالنهضة الفكرية الأرمنية بدء الطباعة والصحافة ، فقد طبع أول كتاب

باللغة الأرمنية عام ١٥١٢ في مدينة البندقية وهو عبارة عن تقويم كنسي ، وكانت اللغة الأرمنية هي خامس لغة تطبع بها الكتب بعد اللغات اللاتينية والاغريقية والعربية والعبرية منذ اختراع فن الطباعة ، وطبع الكتاب المقدس لأول مرة باللغة اللاتينية عام ١٤٥٣ ، إلا أنه لم يطبع باللغة الأرمنية إلا في عام ١٦٦١ بمدينة أمستردام ، وفي عام ١٥٩٥ ، أسس الأرمني العثماني أبكار التوقاتي أول مطبعة باللغة الأرمنية في مدينة البندقية ، ثم نقلت إلى إحدى الكنائس الأرمنية في القسطنطينية بعد سنتين ، ولم تؤسس مطبعة باللغة الأرمنية في أرمينية ذاتها إلا في عام ١٧٧٤ في اتشمياتزين .

أما أول صحيفة أرمنية فهي ازدرار ، وقد أسستها الجالية الأرمنية بمدينة مدارس الهندية عام ١٧٩٤ ، وأسس الرهبان المخيطاريون بالبندقية ثاني صحيفة أرمنية ، وتأسست ثالث صحيفة باسم « رقيب » عام ١٨١٢ بالقسطنطينية . بعد ذلك توالى ظهور الصحف الأرمنية ، وكانت أهمها « هايرنيك » التي أسسها الصحفي الأرمني ارابيار اربياريان عام ١٨٨٥ . وكانت أهم المجلات الأرمنية العثمانية « نسر البسفرجان » و« نسر طارون » . وأسست أول صحيفة بالأملاك الروسية عام ١٨٤٦ ، وتلتها صحيفة « أرارات » عام ١٨٥٠ ، وكانت أهم صحيفة أرمنية روسية هي صحيفة « ميشاك » أي الفلاح .

أخيراً ، أدت النهضة الأرمنية الفكرية إلى تنور الأرمن ، حيث هالهم فقدان وطنهم لاستقلاله واقتسامه بين الدولتين العثمانية والروسية القيصرية . الأمر الذي أدى إلى ظهور الروح الوطنية وتشكيل لجان وجمعيات وأحزاب سرية ثورية ، سيرد تفصيلها لاحقاً .



خبز ... وماء ... وملح ... رمز الكرم الأرمني

الفصل الثالث عشر

الانضمام إلى روسيا القيصرية

يعتبر انضمام أرمينية الشرقية إلى روسيا القيصرية في العام ١٨٢٨ ، محطة هامة ، في تاريخ الشعب الأرمني ، حيث نجا الأرمن في هذه الدولة ، من مذابح الإبادة التي تعرضت لها أرمينية الغربية ، على يد الدولة العثمانية .

ويرجع الاتصال بين الروس والأرمن إلى عام ٩٤٤ ، في عهد الأمير ايفور ، أمير الدولة الروسية الكيفية ، حيث شن الروس حملة بحرية ونهرية إلى اقليم ما وراء القوقاز ، وتوغلوا إلى داخل أرمينية الأولى واستولى على عاصمتها « بردعة » . إلا أنهم انسحبوا بعد بضعة سنوات ، واعتبرت هذه الحملة فاتحة القضاء على دولة الخزر عام ٩٦٥ ، في عهد الأمير سيفيا توسلاف .

ومن الاتصالات الأخرى ، يذكر ، استيطان تجار وأطباء وحرفيين من الأرمن في

إمارة كييف ، في القرن الحادي عشر ، وفي القرن الرابع عشر ، هاجر كثير من الأرمن إلى شبه جزيرة القرم حتى سميت « بأرمينية البحرية » ، وعرفت موسكو في القرن السادس عشر جالية أرمنية كبيرة ، نتيجة إرغام القيصر ايفان الرهيب ، التجار والحرفيين الأرمن على النزوح من بلدة فازان إلى العاصمة الروسية ، حيث خصص لهم في كاتدرائية « فاسيلي المبارك » جناحاً سمي بالجناح الأرمني ، وذلك في عام ١٥٥٥ .

وفي عام ١٥٦٩ ، وقعت أولى الحروب الروسية ــ العثمانية ، والتي دشنت مرحلة من النزاع الشديد بين الطرفين ، بغية السيطرة على الأملاك الواقعة بينهما ، وضمنها اقليم ما وراء القوقاز ، وعلى اعتبار أنه لم يكن للأرمن في ذلك الوقت ، لا دولة ولا ملك ، فقد تزعمهم جاثليقهم الأكبر الأرثوذكسي ، الذي تطلع إلى المساعدة والحماية من أوروبة بادئ الأمر ، ثم من روسيا القيصرية ، حيث وجه الجاثليق هاغوب الرابع جوغاسي ، رسالة إلى القيصر فيودور الثالث ، ثم إلى ملوك غرب أوروبة والبابا في روما ، بشأن استقلال أرمينية ، وذلك بناء على قرار مؤتمر أرمني سري عقد في اتشميازين عام ١٦٧٨ .

بعد ذلك ، استؤنفت الحروب العثمانية ــ الروسية التي امتدت حتى الحرب العالمية الأولى ، وبلغت ثلاثة عشر حرباً ، وفي موازاتها ، قامت عشرة حروب بين العثمانيين والفرس ، وثلاثة حروب بين الروس ، والفرس ، وسنتوقف عند أهم الحروب التي انعكست نتائجها على الشعب الأرمني ، أرضاً ووجوداً وحقوقاً .

فقد أثارت الحملة التي قادها القيصر بطرس الأكبر عام ١٧٢٢ إلى اقليم القوقاز ، والتي كانت الحرب الروسية ــ الفارسية الأولى . أثارت حماساً كبيراً بين الأرمن والكرج ، حيث خيل لهم أن القيصر اقترب بمن السيطرة على الاقليم المذكور ، ومن ضمه إلى روسيا القيصرية . فأرسل له جاثليق الأرمن نرسيس من مقره في شوشه باقليم قره باخ ، رسالة يحثه فيها على وضع الأرمن تحت حمايته لأنهم حسب ما ورد في الرسالة « أسرى بيد الذين يذبحونهم وينهبونهم ليل نهار » . وبالفعل تكونت كتائب من المتطوعين الأرمن والكرج ، لمساعدة قوات القيصر ، على أمل الاستقلال والتحرير ، وكان في مقدمة هؤلاء داود بك القره باخي الذي حصل على استقلال حقيقي لاقليم قره باخ من عام ١٧٢٢ إلى ١٧٣٠ ، وقد سجل بطولته في رواية عنه الكاتب الأرمني المعروف رافي في القرن التاسع

عشـر . أما من جهتـه ، فقد بعث القيصر بطرس الأكبر ، الأرمني إيفـان كره بتيـان لاستنفار الأرمن المقيمين في منطقة عمليات حملته على الساحل الغربي لبحر قزوين ، وقد تمكن هذا المبعوث من جعل زعماء اقليم قره باخ ، يبرمون معاهدة تحالف ودفاع مشترك ضد الدولة العثمانية وذلك في ٣٠ آذار عام ١٧٢٤ .

وعلى هذا ، كادت أن تنشب حرب جديدة بين الدولة العثمانية وروسيا ، إلا أن « لوناك » سفير فرنسا في القسطنطينة ، أقنع الطرفين بتفادي الحرب ، وأبرم بينهما معاهدة ٢٤ تموز في العام نفسه ، نصت على اقتسام الأملاك الفارسية ، الأمر الذي أسفر عن ضم الدولة العثمانية لكل أرمينية بما فيها مدن يريفان واتشمياتزين وناختشيفان ، وبناء على هذه المعاهدة احتلت القوات العثمانية يريفان وناختشيفان ثم تبريز ، وسيطرت على اقليم القوقاز فيما عدا ما اختصت روسيا منه .

لكن إيران تمكنت من النهوض على قدميها ، وأسفرت الحرب الثامنة التي شنتها على الدولة العثمانيــة عـام ١٧٣٣ ، عن معـاهدة اسطنبول الثـالثـة ، التي تضمنت اعتراف العثمانيين « بنادر شاه » شاهاً لإيران ، مقابل عودة الحدود بينهما طبقاً لمعاهدة ذوهاب المؤرخة في ٧ أيار ١٦٣٩ . كذلك أسفرت الحرب التاسعة التي انتهت بمعركة « اغفرد » الثـانيـة قرب اتشميـاتزين عام ١٧٤٥ ، عن معـاهدة كردان التي بقيت بموجبها أرمينية الشرقية تحت الحكم الفارسي .

وفي العام ١٧٦٨ نشبت الحرب الروسية ـــ العثمانية السـابعة ، وانتهت بمعاهدة صلح قينارجة عام ١٧٧٤ ، والتي نصت على اعتراف من الدولة العثمانية بحماية المسيحيين بما فيهم الأرمن ، الأمر الذي حدا بهم إلى التطلع نحو روسيا ، وتعليق آمالهم عليها مجدداً في تحررهم من الحكم العثماني ، لا سيما وأن القوات الروسية نصبت نفسها حامية لشعوب رومانية وبلغاريا وجورجيا ، بعد دخولها بلادهم ، ثم شجعت الأرمن على الهجرة إلى روسيا ذاتها ، ومن مظاهر ذلك ، التصريح للأرمني غريغور خالديران بتأسيس مطبعة أرمنية في « بطرس برغ » والتي طبعت أول قاموس أرمني ـــ روسي عام ١٧٨٨ .

ومنذ أوائل ١٧٨٠ ، بدأ تقارب كبير بين زعماء الروس والأرمن ، وفي أواخر العام

نفسه ، أعلن المؤتمر الأرمني الذي انعقد في اتشمياتزين برئاسة الجاثليق يوكاس الأول ، ولاءه لقيصرة روسيا كاترينا الثانية ، والتمسوا منها ، إرسال جيش أسوة بجورجيا ، وفي العام ١٧٨٣ ، أعد المفكر الأرمني شامير شاميريان والقس يوسف ارغوطيانتس ، مشروعاً بوضع أرمينية تحت حماية روسيا .

وفي عام ١٧٩٥ ، بدأت إيران الحرب الروسية ـــ الفارسية الثانية ، التي أدت إلى اختراق الفرس لأرمينية الشرقية ، واستباحة تفليس عاصمة جورجيا مدة ستة أيام قتل خلالها ثلاثة آلاف من سكانها الكرج والأرمن ، وكان ضمن القتلى أشهر شعراء أرمينية صيات نوفا . وبعد سقوط تفليس ، استسلمت يريفان للفرس ، ثم استنجد ملك جورجيا هرقل الثاني بالقيصرة كاترينا ، فأرسلت لنجدته جيشاً كبيراً لم يتمكن من اتمام مهمته بسبب وفاة القيصرة ، لكن روسيا تمكنت في العام ١٨٠١ من ضم مملكة جورجيا سلميا لها ، ونتيجة لذلك أعرب الأرمن من جديد عن رغبتهم بالحماية الروسية ، فأقر القيصر اسكندر الأول طلبهم ، وفي عام ١٨٠٤ انهزم الفرس أمام الروس الذين انضمت اليهم فرق متطوعين من الأرمن والكرج ، واستطاعت القوات الروسية الاستيلاء على عدد من المدن الأرمينية .

ونتيجة مشاركة الأرمن والكرج القوات الروسية في تصديها لحملة نابليون بونابرت الشهيرة على روسيا في العام ١٨١٢ ، والتي انتهت إلى هزيمته ، أصدر القيصر اسكندر الأول مرسوماً في عام ١٨١٣ ، يقضي بمنع الجنسية الروسية لكل الأرمن المقيمين بأملاك روسيا القيصرية . وقد ترتب على نتائج الحرب الروسية ـــ الفرنسية ، ان إيران لم تستطع مواصلة حربها ضد روسيا ، خاصة بعد هزيمتها في معركة أصلان دوز لعام ١٨١٢ ، حيث سعت إلى الصلح ووسطت من أجله الجاثليق ايفريم الأول ، مما حقق معاهدة جلستان وهي بلدة باقليم ناخشيفان ، وبموجبها أقرت ايران ضم روسيا لكل الأقاليم التي فتحتها في شمال القوقاز وما وراءه وأجزاء من أرمينية الشرقية وهي أقاليم جمرى وأرساخ وقره باخ .

وفي عام ١٨٢٦ ، دارت الحرب الروسية ـــ الفارسية الثالثة والأخيرة نتيجة نقض ايران لمعاهدة جلستان ، وقد أسفرت هذه الحرب ، عن استيلاء القوات الروسية على اتشميازين وسردار أباد وناخشيفان في النصف الأول من عام ١٨٢٧ ، ثم فرض الحصار

على يريفـان في ٢٠ حزيران من نفس العـام . وفي الأول من تشرين الأول لهذا العام ، تمكنت القوات الروسيـة بقيادة الجنرال بسكافتش من اقتحام يريفان ، وقد وجه القائد الروسي رسالة إلى القيصر نقولا الأول ، ينبئه فيها عن هذا الفتح الهام بقوله :

« إن مدينة يريفان التاريخية الشهيرة التي تهون إراقة بحار الدماء للاستيلاء عليها ، سقطت بيد قواتنا » وكان جواب القيصر ان منحة لقب أمير يريفان .. أما الأرمن فقد اعتبروا هذا اليوم ، عيداً لهم ، إذ تحررت أكبر مدنهم ، وبات جزء هام من بلادهم تحت حماية روسيا وهو ما اعتقدوه مقدمة لاعادة استقلالهم الوطني بعد ان فقدوه قرابة خمسة قرون ، بدأت بسقوط مملكة أرمينية الصغرى بقليقية عام ١٣٧٥ .

وبعد فتح يريفان واصلت القوات الروسية زحفها إلى داخل أراضي ايران نفسها ، فاستولت على عدة مدن ، ثم عقدت معاهدة تركمانشاي ، التي تضمنت موافقة ايران على الشروط الروسية للصلح ومؤداها ، ضم روسيا لجورجيا وأذربيجان وأرمينية الشرقية بما فيها ناخشيفـان ، وان يكون للأرمن المقيمـين في أملاك ايران حق الهجرة إلى أراضيهـم التي ضمت إلى الأملاك الروسية ، وبالفعل بلغ مجموع المهاجرين الأرمن آنذاك قرابة أربعين ألفا .

وما أن انتهت الحرب بين ايران وروسيا ، حتى نشبت الحرب الروسية ــ العثمانية العاشرة في ٢٦ نيسان ١٨٢٨ ، والتي طرقت خلالها القوات الروسية أبواب القسطنطينية ، حين استولت على مدينة ادرنة القريبة منها ، عام ١٨٢٩ ، مما اضطر الحكومة العثمانية إلى طلب الهدنة ، ثم التوقيع على معاهدة صلح ادرنة التي اعترفت بموجبها بأحكام معاهدتي اقرمان وتركمانشاي ، وخاصة ضم أرمينية الشرقية إلى أملاك الدولة الروسية .

ونتيجة لهذه الحرب هاجر العديد من الأرمن من أرمينية الغربية العثمانية إلى أرمينية الشرقيـة الروسيـة . غير ان السـلطات العثمانية حاولت منع هجرة الأرمن لحاجتها إلى خبراتهم ، فكانت تمنع رعاياها العثمانيين من شراء أملاكهم ، وترسل من يقنعهم بعدم الهجرة مثل القس الأرمني بارطليموس الذي كان يلقي المقولة الشهيرة اينما ذهب وهي « لو نزل المسيح بنفسه من السماء ليوحي إلينا أن نبقى في أملاك الدولة العثمانية فإننا لن نتبع

نصيحته » . وقد بلغت جملة المهاجرين الأرمن خلال عام ونصف قرابة خمسة وثلاثين ألفا .

أما حرب القرم التي دافعت خلالها كل من فرنسا وبريطانيا عن الدولة العثمانية فقد انتهت بابرام معاهدة باريس الدولية عام ١٨٥٦ . وفي عام ١٨٧٧ ، دارت الحرب الثانية عشرة بين الطرفين ، وانتهت إلى معاهدة سان استيفانو الدولية ، التي تضمنت تنازل الدولة العثمانية عن جزء من أرمينية الغربية ، ولما لم تقر بريطانيا هذه المعاهدة ، استبدلت بمعاهدة برلين الدولية المؤرخة في ١٣ تموز ١٨٧٨ التي وقعت عليها كل الدول الأوربية الكبرى مع الدولة العثمانية .

الفصل الرابع عشر

فَتْحٌ.. أمْ تَحْرِيرٌ.. أمْ تَوَسُّع

لم يعتبر الأرمن بادئ الأمر ، ضم الدولة الروسية الأرمنية الشرقية فتحاً ، بل اعتبروه تحريراً لهم من نير حكم الشاه الإيراني ، والسلطان العثماني ، ومظالم أتباعهما . لكن الواقع أن هذا الظلم لم يكن إلا توسعاً للامبراطورية القيصرية .. إذ وقعت شعوب ما وراء القوقاز تحت حكمها الاستبدادي .. ولهذا لم تتحقق آمال الأرمن في الاستقلال وفي إصلاح أحوالهم ، بل على العكس من ذلك .. فقد وضعت الدولة الروسية في ٢٣ آذار عام ١٨٣٦ لكنيستهم الوطنية « نظاماً » للحد من نفوذها بحجة تنظيم شؤنها ولمعاملتهم بصفة أقلية دينية أي ملة لا أمة شأن ما كانت تعاملهم به الدولة العثمانية بنظام الملل ..

ثم نفت المطران نرسيس اشتراكتسي بتهمة إستيلائه على أموال الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية في اتشمياتزين .. كما فرضت الرقابة على نشاط زعماء الأرمن في أرمينية الشرقية وفي كل إقليم وراء القوقاز ..

كذلك لم يرق للسلطات الروسية القيصرية وجود مقاطعة بأملاكها فيما وراء القوقاز تحمل اسم المقاطعة الأرمنية .. مع أنها هي التي أقامتها بها عقب ضم أرمينية الشرقية إليها .. وأسمتها بهذا الاسم في ذلك الحين .. فقررت بعد عدة تقسيمات إدارية لهذه الأملاك في عام ١٨٤٤ أن تستبدل بهذه المقاطعة الأرمنية مراكز يريفان ــ وناخشيغان ــ واسكندربول ــ ثم جمعت هذه المراكز في عام ١٨٥٩ في محافظة واحدة أسمتها محافظة « يريفان » لا بالمحافظة الأرمنية ..

وتعرض للاضطهاد المفكر الأديب الأرمني الكبير والتقدمي خشادور أبوفيان مؤسس الأدب الأرمني الحديث ، الذي تعلم في جامعة دوربورت الروسية وأكبر داعية للصداقة بين الشعبين الأرمني والروسي ..
ثم المفكر الأرمني الثوري ميكائيل نالبانديان الذي نفي إلى سيبيريا ..

وحاولت الدولة الروسية جاهدة دمج الأقليات دينياً وعنصرياً في الروس الأمر الذي استمر طوال عهد القيصر اسكندر الثالث ثم في عهد خلفه القيصر الأخير نقولا الثاني حتى أوائل القرن العشرين .. وبلغ أوجه في أرمينية بإقفال المدارس الأرمنية فيها . وفي كل اقليم ما وراء القوقاز ، والبالغ عددها أربعمائة مدرسة في المدة من عام ١٨٨٤ حتى عام ١٨٨٩ .. وقد صرح القيصر نقولا الثاني في شهر أيلول عام ١٨٩٥ ، أنه سئم المسألة الأرمنية ويرغب في دفنها ، ثم بادر الأمير غريغوري جولتزن حاكم القوقاز الروسي المعادي للأرمن إلى إغلاق المدارس التي زاد عددها عن خمسمائة مدرسة مرة أخرى في عام ١٨٩٧ كما أغلق جمعية نشر الكتب الأرمنية في تفليس عام ١٩٠١ ، واستمر تدخله في شؤون الكنيسة الوطنية الأرمنية إلى أن صدر المرسوم المؤرخ في ٢٥ كانون ثاني عام ١٩٠٣ ، بمصادرة أملاكها وكان رد الأرمن على هذه الإجراءات التعسفية هو العصيان المدني .. ثم المظاهرات ، ثم الاضطرابات في كل مكان .. ثم الاعتداء على موظفي الحكومة الذي شمل هذا الحاكم نفسه .. إضافة إلى ذلك قررت الأحزاب الثورية الأرمنية أن توجه نشاطها أيضاً ضد القيصرية الروسية فوق السلطنة العثمانية التي كانت تركز عليها من قبل ...

وتطورت الحركة الأرمنية من مجرد فكرة إلى جمعيات ثورية سرية بدأت محلية ثم صارت عامة .. ثم نشأت عنها الأحزاب الثورية الأرمنية .. وكان أول هذه الجمعيات

ظهوراً هي جمعية اتحاد الخلاص في وان بأرمينية الغربية العثمانية التي تأسست عام ١٨٧٢ ، ثم جمعية الصليب الأسود . وجمعية حماة الوطن اللتان تأسستا في وان وفي أرضروم بأرمينية الغربية العثمانية أيضاً في عام ١٨٧٨ ، وفي عام ١٨٨١ ، ثم الجمعية الحمراء التي أسسها الثوري الأرمني الروسي هاجوب بدريكوف في القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية عام ١٨٩٠ . وكانت أول جمعيـة ثورية سرية عامة هي تلك التي أسسها في باريس الثوري الأرمني العثماني حنـا بروسـلي عام ١٨٨٨ والتي حظيت بتـأييد المطران الأرمني خريميان هايريك ..

وأما الأحزاب الثورية الأرمنيـة التي تلى ظهورها الجمعيـات السـرية الأرمنيـة التي ارتبطت بها فكان أولها ظهوراً في عام ١٨٨٥ (حزب الأرمنجان) أي حزب الأرمن ، وهو الحزب الأرمني الحر المحافظ وقد أسسه بعض المدرسين الشبان بمدرسة المعلمين في (وان) بأرمينية الغربية العثمانية التي أنشأها مكردتش برتوغاليان أحد رواد الحركة الوطنية الأرمنية في عام ١٨٧٨ .

وكان هذا الحزب وطنياً أرمنياً لا يعتنق أي مبدأ اشتراكي ، وهدفه التحرر الوطني لأرمينية بكل الوسائل دون استبعاد العنف والقوة رداً على مثلهما .. وكان أعضاؤه أساساً من الأرمن العثمانيـين الأغنياء ، وبعد أن كان منتشراً في اقليم البسفرجان انتشر بين كل الأرمن في الدولة العثمانية وفي إيران ، وفي اقليم ما وراء القوقاز ، وكافة الأملاك الروسية .. وكان لهذا الحزب صحيفة « أرمينية » التي ظهرت عام تأسيسه في مرسيليا بفرنسا ، وحررها برتوغاليان ذاته حتى وفاته عام ١٩٢١ ثم توقفت بعدها بسنتين .

ولكن أهم حزبين ثوريين أرمنيين كانا « حزب الهنشاق » ، وحزب « الطاشناق » الاشـتراكيـين اللذين أسسهما المثقفون الأرمن من أرمينية الشرقية الروسية ، ومن كافة الأملاك الروسية ، ثم انتشرا بين الأرمن في الدولة العثمانية ومهاجريهم في الخارج ... وأولهما حزب « الهنشـاق » ومعناه الناقوس ، وهو الحزب الاشتراكي الديمقراطي الأرمني ، وقد أسسه في عام ١٨٨٧ في جنيف بسويسرا ستة من الطلبة الأرمن الروس الماركسيين هم : الطالبة ماروفارتان بديان الذي تأسس بمبادرتها وزوادها أفيديس نزار بابيكيان ، وجبرائيل

كغيـان الشهـير بشماداان ، وكيفورك غارداجيـان ، وروبين خانزاديان الشهير بخانزاد وم . ومانوليان ..

وقد قبل هذا الحزب باعتباره حزباً اشـتراكياً في مؤتمر الدولية الاشتراكية الثانية للأحزاب الاشتراكية المنعقد في باريس عام ١٨٨٩ ، وكان لهذا الحزب صحيفته المسماة « الهنشاق » التي حررها أفيديس نزار بيكيان ، وصدرت عند تأسيسه عام ١٨٨٧ ، في جنيف .. ثم انتقلت في العام نفسـه إلى مونبليه بفرنسـا ثم في عام ١٨٩١ إلى أثينا في اليـونـان .. ثم في عـام ١٨٩٤ إلى لندن ، ثم منهـا في ذات العـام إلى باريس حتى عام ١٩١٤ . حين كفت عن الصدور ..

وفي عام ١٨٩٦ انفصل عنه جناح يميني صغير تزعمه الصحفي الأرمني العثماني اربيار أربيابيان وغيره .. وسمي « حزب الهنشاق المصلح » كما أنه في عام ١٩٠٨ أسست بعض عنـاصر هذا الجنـاح وعناصر حزب الأرمنجان ، حزباً أرمنياً حراً محافظاً بعاصمة الدولة العثمانية هو « حزب الرامجافار » ومعناه الحزب الدستوري الديمقراطي واسمه كاملاً ساسهمانا تركان رامجافار ..

وأما حزب الطـاشتـاق أو « هاي هغابوخا كان طاشنـاقتزوتيون » ومعناه حزب « الاتحاد الثوري الأرمني » فقد تأسس في عام ١٨٩٠ ، في تفليس عاصمة اقليم القوقاز الروسي والتي كانت تحوي أكبر تجمع بالأملاك الروسية بعد محادثات طويلة بدأت في عام ١٨٨٩ بين جماعات ثورية أرمنية تمثل اتجاهات مشابهة لحركة « النارودنك » الروسية أي الحركة الشـعبيـة الروسيـة . واتجاهات وطنيـة أرمنيـة من حزب الأرمنجـان .. وجماعة « مشاك » أي الفلاح .. وأخيراً بعض أعضاء حزب الهنشاق .. وكان حزب الطاشناق هو الحزب الاشتراكي الوطني الأرمني .. وقد اتحد مع حزب الهنشاق بعد تأسيسه عام ١٨٩٠ ، ولكنهمـا عادا وانفصـلا عام ١٨٩١ .. وقد قبل حزب الطاشناق في مؤتمر الدوليـة الاشـتراكية الثالثة للأحزاب الاشـتراكية المنعقد في شتوتجارت عام ١٩٠٧ .. وذلك بصفتـه الحزب الاشـتراكي العثماني الذي قيل أنه تحت التأسيس (فقد كان من زعمـائه الأرمني خشــادور مالوميان الذي كان يتعاون مع حزبي تركيا الفتاة والعثمانيين الأحرار في المنفى بأوروبا قبل الانقلاب العثماني لعام ١٩٠٨ ومن بعده) .. ثم قبل بعدئذ

ومنذ عام ١٩١٠ بمؤتمرها المنعقد في كوبنهاغن باعتباره أنه فعلاً وحسبما وصف به نفسه الحزب الاشتراكي العثماني .. هذا وقد كان مؤسسوه هم كريستابورميكائيليان ــ حنالوريس مليكوف ــ وسيمون زافريان ــ وقسطنطين خاوسيان ــ وليغون ساركيسيان ــ وهم من الأرمن الروس .

وكان لهذا الحزب صحيفة هي « تروشاك » أي العلم أو اللواء التي صدرت أولاً عند تأسيسه في تفليس عام ١٨٩٠ .. ثم انتقلت إلى جنيف في عام ١٩١٤ ثم بعد توقفها أحد عشر عاماً إلى باريس عام ١٩٢٥ .. حتى كفت عن الصدور في عام ١٩٣٣ .

كما كانت له مجلة مشهورة هي مجلة « بروأرمينية » التي أصدرها في باريس الثوري الأرمني كريستابورميكائيليان أحد مؤسسيه في المدة من عام ١٩٠٠ حتى عام ١٩٠٤ وكان يكتب فيها كبار الساسة الفرنسيين الذين تعاون معهم أمثال جورج كليمنصو وأناتول فرانس ، وجان جوريس .. وكان من أبرز أعضاء هذا الحزب بالإضافة لمؤسسيه من الأرمن الروس هامو أوهانجانيان ، وهو فانس كاشازنوين ، وهاجوب كاتشاريان .. ومن الأرمن العثمانيين خشاتورمالوميان . وأرمن جارو بصدرمجيان ... كما أن هذا الحزب هو الذي شكل أول حكومة أرمنية عام ١٩١٨ ...

وكانت هذه الأحزاب الثلاث الرئيسية ــ الأرمنجان ــ الهنشاق ــ الطاشناق أرمنية وطنية تدافع عن المصالح الأرمنية في المقام الأول ... وكانت هذه الأحزاب والجمعيات الثورية السرية وراء غالبية الانتفاضات الأرمنية والاغتيالات التي جرى معظمها في الدولة العثمانية ووجهت إلى المتعاونين معها ، ثم إلى المتعاونين مع الحكومة القيصرية ...

وكذلك مارست النشاط الثوري الأرمني جماعات من الشبان الأرمن المستقلين عن هذه الأحزاب والجمعيات السرية يحدوهم الحماس الوطني وكانت أشهرها جماعة الثوري سركيس جوجونيان التي كونها من مئة وخمس وعشرين من الشبان الأرمن .. من مختلف الفئات والطبقات .. وقد شنوا غارة من أرمينية الروسية على أرمينية العثمانية عام ١٨٩٠ ... ليستشهدوا في سبيل تحرير اخوتهم بها ... ولإنعدام خبرتهم لقيت غارتهم فشلاً ذريعاً في جنوب قارس ، وقبض عليهم الجنود القوزاق الروس .. وحاكمتهم

السلطات الروسية القيصرية ، وعاقبت زعيمهم بالأشغال الشاقة مدة عشرين عاماً وأرسلته إلى جزيرة سخالين في الشرق الأقصى .. ثم أفرجت عنه في عام ١٩٠٦ .. ثم أعادت القبض عليه عام ١٩١٢ ، ومات في السجن في العام التالي وكانت غارته هي قمة الفداء والرومانسية في الحركة الثورية الوطنية الأرمنية وكتب عنها كثير من الأشعار والأغاني ...

ومنذ ظهورها انتشرت الاشتراكية العلمية أو الماركسية في اقليم ما وراء القوقاز الروسي بما فيه أرمينية الشرقية .. وكان من مظاهر ذلك ترجمة الثوري الأرمني كيفورك غارادجيان أحد مؤسسي حزب الهنشاق للبيان الشيوعي إلى اللغة الأرمنية لأول مرة في عام ١٨٨٧ ...

وفي عام ١٨٩٢ تأسس في تفليس ﴿ اتحاد العمال الأرمن الثوريين ﴾ وكان من مؤسسيه الثوري الأرمني أشوط خومariyan .. ومن أعماله أنه أصدر أول منشور باللغة الأرمنية يدعو إلى الاحتفال بعيد العمال في يوم أول أيار عام ١٨٩٤ ، ثم انضم أعضاؤه فيما بعد في عام ١٨٩٨ إلى حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي ... وفي هذه العام تأسست في تفليس كذلك أول حلقة ماركسية أرمنية في اقليم ما وراء القوقاز هي (تجمع العمال الأرمن الماركسيين) وكان من مؤسسيها الثوريون الأرمن (هايك بيلوسيان الشهير بأطاميان ـــ وأرشاق ملك ملكيان الشهير بديدوشكا أي العم ـــ وسادور كاخويان الشهير بالعامل ختشو ـــ وكاركين كوزيكيان الشهير بيسالم ...

وفي عام ١٨٩٩ أسس الطالب الثوري الأرمني ستيبان شاهوميان أول حلقة ماركسية بأرمينية الشرقية في بلدته جلال أوغلو والتي تسمى الآن ستيباناكان نسبة إليه وتكريماً له ، وتخليداً لذكراه .. وتحوي الكهف الذي كانت تجتمع فيه حلقته هذه ، والذي أصبح متحفاً .. وقد صار هذا الثوري الأرمني فيما بعد تلميذاً للينين منذ عام ١٩٠٣ .. حينما قابله لأول مرة في المنفى في جينيف بسويسرا ... وأخيراً أسس الأرمن الماركسيون الثوريون في عام ١٩٠٢ في تفليس « اتحاد العمال الاشتراكيين الديمقراطيين الأرمن » . وأعلن هذا الاتحاد نفسه فرعاً لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي .. ثم اندمج عام ١٩٠٣ في لجنته باقليم ما وراء القوقاز ..

ومـا إن قامت الثورة الروسيـة الأولى عام ١٩٠٥ حتى امتدت إلى اقليم ما وراء القوقاز وخاصة إلى تفليس وباكو اللتين كانتا تحويان نسبة عالية من العمال الأرمن .. وغالبية زعمائهم من الأرمن أيضاً .. لكن السلطات الروسية عمدت إلى تخريب الثورة في هذا الاقليم باتبـاع الخطة التي اتبعتها من قبل الحكومة العثمانية إزاء الأرمن وهي تحريض الأكراد ضدهم واستثارة كل النعرات الدينية والعنصرية والمنافسات ، والخلافات بينهم وبين الأرمن .. واستجـاب إلى هذا التحريض الزعيم الأذربيجاني أحمد أغايف بك الذي قام بالإعداد لمذابح أرمنية في كل اقليم ما وراء القوقاز .. وقد بدأت هذه المذابح في باكو يوم ١٩ شباط عام ١٩٠٥ بمهاجمة الأرمن واستمرت هذه الهجمات في اليومين التاليين دون أن يجدي في وقفها التجاء الأرمن إلى طلب الحماية من السلطات الروسية القيصرية إذ وقفت قواتها من الجيش والشرطة موقف المتفرج على الحياد .. فاضطروا إلى تنظيم صفوفهم وامتشاق السلاح لحماية أنفسهم ، وهاجموا بقيادة الثوري الأرمني الطاشناقي نيكول طومان مهاجميهم وتغلبوا عليهم .. ثم اغتالوا الأمير الكرجي تاكاشدزه حاكم باكو لأنه لم يدافع عنهم .. في يوم ٤ أيار عام ١٩٠٥ وفي نفس الوقت امتدت المذابح الأرمنية إلى باطوم وتفليس العاصمة ، واشترك فيه ضد الأرمن الأذربيجانيون أيضاً .. وتصدى لهم الأرمن في تفليس بقيادة الثوري الأرمني الطاشناقي آرمن غارو بصدرمجيان ، وتغلبوا عليهم ..

وفي شـهر حزيران عام ١٩٠٥ امتدت المذابح الأرمنيـة إلى أقليم يريفـان الأرمني ذاته .. وتغلب عليهم أيضـاً الأرمن بقيادة الثوريين خشادور وكانايان .. وفي شهَر أيلول ١٩٠٥ امتدت هذه المذابح إلى باكو ثانية وإلى اليزافتبول وشوشة وناخشيفان . بل إلى اقليم زنجور الأرمني فصدهم الأرمن .

وكان آخر حوادث هذه المقـاومة وأشـدها جرأة في اقليم ما وراء القوقاز حادث السطو المسـلح الذي دبره وقام به بعض أعضاء الحزب البلشفي بقيادة الثوري الأرمني سيمون تربتروسيان المعروف بكامو .. إذ هاجموا قافلة من الجنود القوزاق الروس كانت تنقـل أمولاً حكومية جملتها ٣٤٠ ألف روبل .. واستولوا عليها .. وفروا دون أن يتركوا أثراً .. وقد قبض على كامو بعـدئذ في ألمـانيـا ، وعذب ليعـترف بأسماء شـركائه .. فلم

يذكرهم وحكم عليه بالإعدام ، ثم أفرج عنه .. وتحمل اسمه الآن مدينة كامو في جمهورية أرمينية تمجيداً لنضاله ..

وقد خمدت ثورة ١٩٠٥ تدريجياً لعدم تنظيمها جيداً ، وأخذت السلطات الروسية القيصرية تنكل بالمشاركين فيها ..

واعتبرت زعماء الأرمن من العصاة وخاصة من حزب الطاشناق لأنهم كانوا على رأس منظمي المقاومة الأرمنية للمذابح الأرمنية التي دبرتها ..

وبناء على ذلك بدأ انقسام حزب الطاشناق منذ عام ١٩٠٥ (وتكرس هذا الانقسام في عام ١٩٠٧) إلى جناحين .. جناح قديم أعلن عن ولائه للقيصرية الروسية لاعتقاده أنها ستخلص أرمينية من الحكم العثماني ، وجناح يساري جديد مكون من أول أقلية تراجع عن ولائه لها بعد ما اقترفته بحق الأرمن من مذابح .. وقد انضم هذا الجناح في ذات عام ١٩٠٧ إلى الحزب الاشتراكي الثوري الروسي ..

وإزاء هذا الانقسام تمكن الأمير فرنتزوف داشكوف الحاكم الروسي العام الجديد لاقليم القوقاز الذي كان يعطف على الأرمن من إقناع السلطات الروسية القيصرية برد أملاك الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية إليها في شهر آب عام ١٩٠٥ .. ولكنه لم يستطع أن يحول دون إلقائها القبض على ألفين من الأرمن ، وخاصة من جناحي حزب الطاشناق بتهمة تدبير مؤامرة ضد الدولة الروسية في شهر كانون أول ١٩٠٨ ، وقدم مائة وستة وأربعين منهم على رأسهم هامو أوهانجانيان من زعماء هذا الحزب إلى المحاكمة فقضى في يوم ١٢ نيسان عام ١٩١٢ بمعاقبة اثنين وخمسين منهم بعقوبات مختلفة بلغ أقصاها السجن المؤبد .. ومع ذلك ظل هذا الحاكم الجديد يخاطب السلطات بشأن الأرمن قائلاً : أنهم أثبتوا في غالبيتهم ولاءهم للدولة القيصرية الروسية كما أنهم سلاح في يدها ضد الدولة العثمانية ، حتى استطاع أن يقنعها بذلك ، فسعت إلى تنفيذ الإصلاحات وفق معاهدة برلين السابقة الذكر ، ثم وفق اتفاقية ٨ شباط لعام ١٩١٤ ، التي سبقت قيام الحرب العالمية الأولى .

وقد لقيت هذه الحرب حين اندلاعها ، المعارضة من العرب والأرمن في الدولة

العثمانيـة ، حيث استقال من حكومتها ، الوزير العربي سـليمان البستاني ، والوزير الأرمني « أسكـين » ، احتجاجاً على إعلانها ، كذلك لم يرتح لها الزعماء الأرمن العثمانيون عند مفاتحة السلطات العثمانية لهم في إعلانها خلال مؤتمر حزب الطاشناق المنعقد بأرضروم في شهر آب ١٩١٤ .

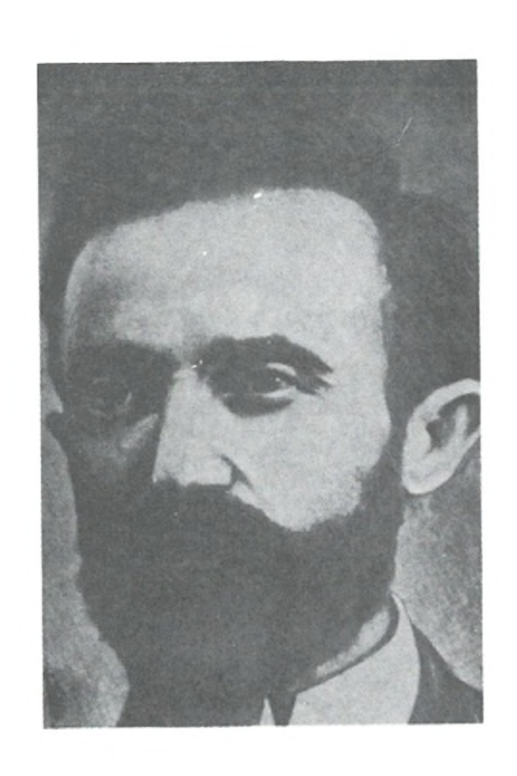
وبما أن الدولة العثمانيـة ، لم تخف أطماعها في أقاليم ما وراء القوقاز والقرم وآسيا الوسطى ، وهي الأطماع القائمة على نزعة قومية مزيفة ، وأوهام الثالوث أنور وطلعت وجمال باشا الساعي إلى المجد . أعلنت في ٣١ تشرين الأول لعام ١٩١٤ أن تلك الأقاليم هي هدف دخولها الحرب . ولما كانت جبهة القوقاز واحدة من جبهات الحرب العالمية الأولى ، وجبهة قتـال رئيسيـة بالنسبـة للدولة العثمانية ، فالحديث سيقتصر عليها ، لأنها شهدت الحرب الثالثة عشرة والأخيرة بين هذه الدولة وروسيا القيصرية ، ودارت على كل أراضي أرمينية ، فخربتها وشكلت مقدمة للمذابح الأرمنية الكبرى .

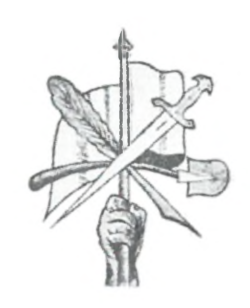
امتدت جبهة القوقاز على طول أربعمائة كيلومتر ، من البحر الأسود في الشمال ، إلى الجنوب الشرقي من جبل أرارات ، وكان القتال عليها قاسياً وشـاقاً ، كون الأراضي جبلية ، وقد حشدت فيها الدولة العثمانية جيشها الثالث المؤلف من مائة ألف جندي ، بقيـادة حسن عزت باشـا ، ووضع لها أنور باشـا وزير الحرب خطة طموحة للهجوم والتوسع ، ولم تشمل هذه القوات جنوداً مقاتلين من الأرمن ، إلا في البداية ، إذ سرعان ما نزع سـلاحهم وعهد إليهم بالخدمة في كتائب العمل . أما روسيا فقد حشدت عدداً مماثلاً ، وضمت كتـائب المتطوعين من الأرمن الروس ، التي كان على رأسهـا القـادة ، انترانيك أوزانيـان ، درو كانايان ، أرمن بصـدرمجيان ، أفشـاريان ، هوسيب أرغوتيان ، وبقيت هذه الكتائب تشارك في الحرب ، حتى حلتها القيادة الروسية العامة في ١٦ أيار ١٩١٦ ، خشية استفحال أمرها بعد أن نالت شهرة قتالية واسعة .

ونتيجة لتقدم القوات الروسية وتفوقها ، اضطر أنور باشا وزير الحرب إلى تولي قيادة القوات العثمانية على جبهة القوقاز في ٢١ كانون الأول ١٩١٤ ، وبعد هجمات متبادلة بين الطرفين ، عاد أنور باشا إلى عاصمته في ٧ كانون الثاني ١٩١٥ ، بعد أن كاد يقع في الأسر ، ولم ينقذه منه إلا بعض المجندين الأرمن . وبهذه العودة ، حلت الهزيمة بالقوات

العثمانية ، وتركت شعوراً بالغاً بالإحباط ورفعت معنويات الروس وحلفائهم من الأرمن ، حيث أبعدوا الخطر عن اقليم القوقاز .

وفي عام ١٩١٦ ، شنت القوات الروسية ، هجوماً واسعاً في وسط جبهة القوقاز ، فاستولت على مساحات واسعة من الأناضول ، شملت العديد من المدن العثمانية ، حتى بدا الانتصار النهائي على الدولة العثمانية وشيكاً ، لكنه لم يحصل ، فقد هزمت القوات الروسية على الجبهة الشرقية ــ الأوروبية من جهة ، وقامت في روسيا الثورة الأولى ، وهي ثورة شباط لعام ١٩١٧ ، التي أدت إلى خلع القيصر ، وقيام حكومة مؤقتة ، وبذلك توقفت العمليات الحربية الروسية ، حتى قيام ثورة أكتوبر في نفس العام ، التي أسفرت عن عزل الحكومة المؤقتة ، وتشكيل حكومة جديدة ، أصدرت مرسوماً للسلام ، مهد للهدنة فالصلح ، الأمر الذي جاء بمثابة إنقاذ مؤقت للدولة العثمانية من هزيمة تامة على كل جبهات القتال .

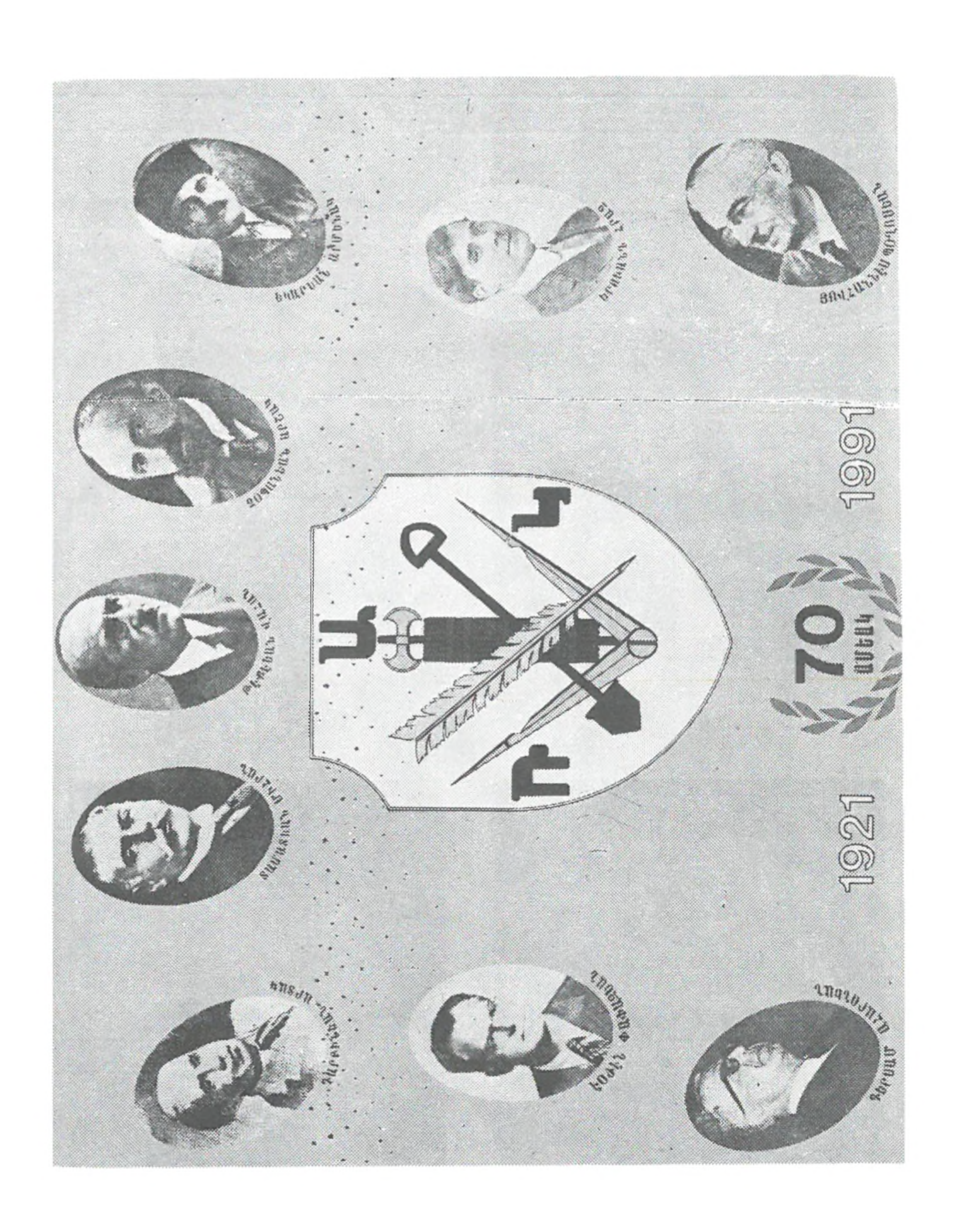




مؤسسو حزب الطاشناق وشعار الحزب



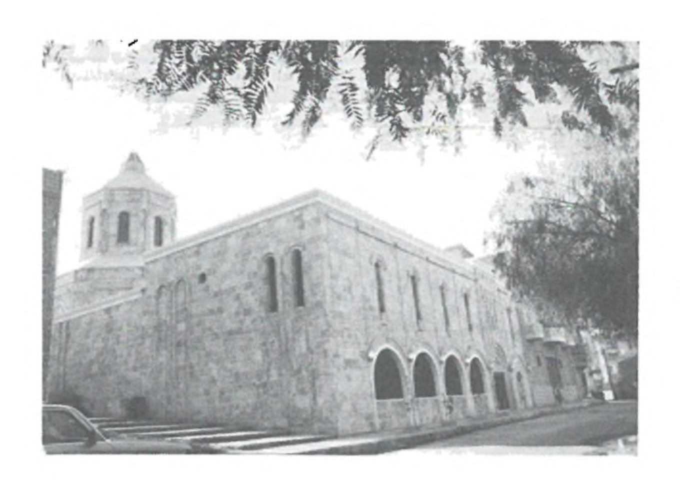




مؤسسو حزب الرامغافار وشعار الحزب



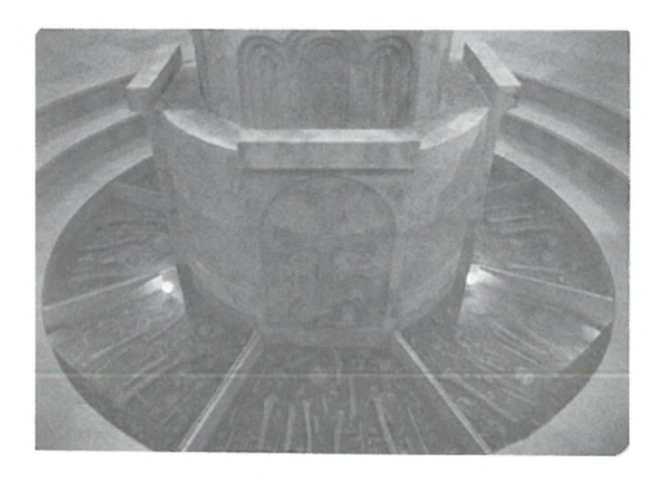
مؤسسو حزب الهنشاق وشعار الحزب



كنيسة الشهداء في دير الزور



جدار الأخوة العربية ــ الأرمنية



عظام الشهداء

الفصل الخامس عشر

المذابح الكبرى

وصفت المذابح الأرمنية الكبرى في الدولة العثمانية بعيد وقوعها بأنها « أسود صفحة في تاريخ القرن العشرين » ..

ورغم مرور عشرات السنين على هذه المذابح ، لا تزال وقائعها حية في ذاكرة الشعب الأرمني .. لأنه لا يعقل أن ينسى وحشيتها ونتائجها التي أدت إلى إبادة مليون ونصف المليون من أبنائه ... وهو ثلث مجموع عدده القليل آنذاك .

وجرت هذه المذابح في عام ١٩١٥ ، في الدولة العثمانية ، أثناء الحرب العالمية الأولى على أوسع نطاق ، واستبشعها كل من كتب عليها ، وشجبها الجميع بما تستحقه من شجب ، فيما عدا مدبريها وشركائهم طبعاً ..

لكن هذه المذابح حقيقة مرة ، تجمعت فيها أركان جناية دولية خطيرة ، لم يكن القانون الدولي العام قد ألفها عندئذ ، ولا أسماها بعد ، ثم ألفها قبيل الحرب العالمية الثانية ، وفي خلالها ، وأسماها باسم جديد ، هو « الجينوسيد » أي جناية الإبادة الجماعية غير

الإنســانية لجنس أو لشعب ، الذي صار مصطلحاً قانونياً .. وقد صاغ هذا المصطلح الفقيه الأمريكي روفائيل لمكين .. في أربعينيات القرن الحالي .. واعتبر المذابح الأرمنية .. أول « جينوسيد » في التـاريخ الحديث ، لأنها فاقت كثـيراً « البوجروم » وهو ما كانت تسمى به المذابح غير الشــاملة المدبرة ضد الأقليات التي كانت تجري في القرن التاسع عشر .. ويدخل في عدادها المذابح الأرمنية في الدولة العثمانية في عهد سلطانها عبد الحميد الثاني ، وخاصة في المدة من عام ١٨٩٤ حتى عام ١٨٩٦ . وقد أدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، بموجب قرارها الصادر في يوم ٩ كانون الأول عام ١٩٤٨ « الجينوسيد » بعد تعريفه بما تقدم ، واعتبرته جريمة دولية ..

ومن المؤلم حقـاً ، وصف هذا « الجينوسيد » الذي نحن بصـدده .. كذلك من الصعب متابعة أحداثه التي ما هي إلا سلسلة جرائم مدبرة متشابهة ، لأنها جرت أساساً في أقاليم نائية من الدولة العثمانية في زمن الحرب ، وأحيطت بالسرية والكتمان ، بعيداً عن رقابة الضمـير العـالمي ، فلم يتسـرب من أخبارها إلا قليل القليل ، ولعل ما خفي منها كان أسـوأها ، وخاصــة أنها أجهزت أحيـاناً على مجتمعات بأسرها ، فلم يبقَ منها من يروي أخبارها ..

وقد أقر هذه السياسة كبار حكام الأقاليم العثمانية ، ثم السلطان العثماني ذاته ، لأنها تخدم أغراضهم ، بل أنهم تلقفوها وجعلوها سياسة عامة للدولة العثمانية ، ووسعوا قاعدتها حتى حولوها من اعتداءات إلى « جينوسيد » . ورغم تعاون الأرمن العثمانيين مع الحركات المعارضــة لحكم السلطان عبد الحميد الثاني .. خارج الدولة العثمانية ، وترحيب هؤلاء الأرمن بالانقلاب العثماني الذي أطاح به .. وتعاونهم مع الحكام الجدد للدولة العثمانية من حزب الاتحاد والترقي ..

رغم ذلك ، فإن الحكام الجدد عادوا إلى الشك في إخلاص الأرمن ، خاصة بعد أن أبدوا معارضتهم للحرب العالمية الأولى ، الأمر الذي أدى إلى اتهامهم بالخيانة .

وفضلاً عن ذلك .. فإن سياسة الحكام الجدد للدولة العثمانية قامت على عدم الثقة بكـل الشعوب غير التركية التي تقطن هذه الدولة ، وذلك لتعصبهم لتركيتهم والنظرية الطورانية ، وسياسة التتريك .. وحصر حكـم الدولة في الأتراك وحدهم . والذي كان من

أهم مظاهره قرار مؤتمر حزبهم ــ وهو حزب الاتحاد والترقي المنعقد في سالونيك عام ١٩١٠ ــ القاضي بحظر الأحزاب السياسية غير التركية ، والذي كان مقصوداً به في المقام الأول العرب والأرمن ، كما أن هذا المؤتمر اتخذ قراراً سرياً بوجوب إبادة الأرمن في الدولة العثمانية ، وكان هذا القرار هو أول خطوة في الطريق إلى المذابح الأرمنية الكبرى . التي وقعت أولاها في بلدة أرمية الإيرانية في أول زمن احتلال القوات العثمانية لها ، والذي دام منذ ٢ كانون ثاني حتى ٢٤ أيار عام ١٩١٥ ، ونظمها وقارفها جودت بك الحاكم العسكري لولاية « وان » الأرمنية العثمانية ، لدى مشاركته في الحملة العثمانية على شمال غرب إيران التي أدت إلى هذا الاحتلال .. وقد راح ضحيتها زهاء الألف ، رجالاً ، ونساء ، وأطفالاً ..

وتكمن الأسباب الحقيقية للمذابح الأرمنية في أن زمرة حكام الدولة العثمانية من حزب الاتحاد والترقي ، وعلى رأسهم الثالوث أنور باشا ، وجمال باشا ، وطلعت باشا ، وجدوا الفرصة مواتية للقضاء على المسألة الأرمنية بالقضاء على الأرمن العثمانيين أنفسهم .. ولتبرير تنفيذ هذه السياسة ، اتهم هؤلاء الحكام ، الأرمن ، بأنهم خانوا الدولة العثمانية ، وعصوها ، وثاروا عليها . وقد جاء هذا الاتهام في القرار الذي اتخذ في أوائل شهر شباط عام ١٩١٥ في الاجتماع السري لكبار المسؤولين العثمانيين برئاسة طلعت باشا ، وبحضور أنور باشا ، وبهاء الدين شاكر ، وأحمد آغا ، وغيرهم .. وقد استند هذا القرار الذي صدر بالإجماع إلى ذلك الاتهام فيما انتهى إليه من وجوب إبادة الأرمن في الدولة العثمانية ، كما استند إلى ذات الاتهام أيضاً مرسوم الحكومة العثمانية الصادر في ٨ نيسان عام ١٩١٥ بشأن ترحيل الأرمن من بلادهم ، والذي ترجم إلى العربية نقلاً عن كتاب القصارى في نكبات النصارى للقس إسحق أرملة ، على الشكل التالي :

(بما أن الأرمن يأتون أموراً تخالف السنن ، ويغتنمون كل الفرص لإزعاج الحكومة ، ويخزنون أسلحة وقنابل ومواد متفجرة ، ليسعروا نيران الثورة داخل البلاد . وبما أنهم يفتكون بالمسلمين ويعضدون روسيا .. فاستدراكاً لمشاغبتهم .. تقرر أن يساقوا جميعاً إلى ولايتي الموصل وسورية ، ولواء دير الزور ، على أن تكون أعراضهم وأنفسهم وأموالهم في

أمان من اعتداء المعتدين ، وتسلط المجرمين ، وقد أصدرنا الأوامر بإسكانهم في تلك البلاد ، ريثما تضع الحرب أوزارها) .

لكن هذه المزاعم كانت غير صحيحة ، لأن السلاح كان محرماً على الأرمن .. كذلك لم يقتنع الضمير العالمي سواء في دول الحلفاء ، أو في الدول المحايدة وقد حاول هنري موغنثاو السفير الأمريكي في القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية عبثاً التدخل بصفة رسمية لوقف المذابح ومنع ترحيل الأرمن العثمانيين من العاصمة .. ولكنه لم يحتج على القيام بها .. وكان ذلك بحجة أنها لا تمس المصالح الأمريكية .

كما أثير أمر هذه المذابح في البرلمان الألماني ، وفي الصحف الألمانية ، واستنكرها المستشرقان الألمانيان العارفان بأرمينية ، ماركوات ، ولبسيوس ، وسألت صحيفة ألمانيا ، طلعت باشا وزير الداخلية العثماني سؤالاً كان يطرح نفسه على الجميع ، وهو أنه لو فرض أن الاتهامات الموجهة إلى بعض الأرمن العثمانيين صحيحة ، فهل تبرر إبادة الأرمن العثمانيين بأكملهم .. فرد بقوله « إنه يستحيل التمييز بين البريء والمذنب من الأرمن ، لأن من يكون بريئاً اليوم يحتمل أن يصير مذنباً غداً » . وهذا تبرير لا يقبله ، ولا تقره إلا سياسة صاحبه المبنية على التعصب التي يعتنقها ، وينفذها ، خاصة وأنه وقد صرح أيضاً أن الدولة العثمانية لا تتسع لكي يعيش فيها الأتراك والأرمن معاً ، وأن الأرمن استنزفوا أموال الترك ، أي أنه يحسدهم على نجاحاتهم الاقتصادية ، بل وقد بلغت حماقته وصفاقته درجة أن طالب السفير الأمريكي لدى الدولة العثمانية بأن تدفع شركات التأمين الأمريكية للحكومة العثمانية ــ بصفتها وارثة لرعاياها الأرمن الذين أبادتهم ــ المبالغ التي كانوا قد أمنوا بها على حياتهم لدى هذه الشركات ..

وبدأت الحكومة العثمانية تكشر عن أنيابها للأرمن العثمانيين عقب رفضهم في اجتماع أرضروم المنعقد في شهر آب عام ١٩١٤ إثارة الأرمن الروس ضد روسيا ، فألغت في الشهر التالي عقدي عمل المفتشين العامين الأجنبيين النرويجي والهولندي لإقليمي شرق الأناضول ، اللذين عقدتهما معهما في يوم ٢٣ أيار عام ١٩١٤ ، تطبيقاً لاتفاقية الإصلاحات الأرمنية التي أبرمتها مع روسيا في يوم ٨ شباط عام ١٩١٤ .. واستدعت

أولهما بعد أيام من استلامه عمله في « وان » وأما الثاني فلم يكن قد استلمه بعد ، وأعلنت عن تأجيل تنفيذ هذه الاتفاقية .. ثم وضعت خطة تنفيذ مرسوم الترحيل كما يلي :

أولاً : القبض على زعماء الأرمن وكبار مفكريهم في القسطنطينية ، وإبعادهم عنها في يوم ٢٤ نيسان عام ١٩١٥ ــ حتى يصير الشعب الأرمني جسداً بلا رأس ، وبالفعل تم القبض على مائتين وأربع وخمسين منهم .. ثم زادوا بعدئذٍ إلى قرابة الستمائة ، ورحلوا ، وأعدم دون محاكمة غالبهم بعدئذ ــ .

ثانيـاً : نزع السـلاح من الأرمن جميعاً ، وإرهابهم ، حتى يصيروا عاجزين عن مقاومة عملية ترحيلهم التي قصد بها إخلاء بلادهم منهم ، وإبادتهم نهائياً .. فهي لم تقرر أن يتم هذا الترحيل بصفة إنسانية ، ولا أن يكون نقلهم نقلاً موقوتاً بانتهاء الحرب العالمية الأولى على نحو ما تضمنه مرسومها المذكور .

ثالثاً : يتم إجراء الترحيل ذاته بالقوة والوحشية ، حتى يعرضهم للقتل وللموت جوعاً وتعباً حال البدء فيه ، اعتماداً على عصابات المجرمين وينفذ في المدة من ٨ نيسان حتى ٦ تشرين ثاني ، طبقـاً لجدول زمني يتم بموجبه إخلاء قليقية في شهري نيسـان وأيار عام ١٩١٥ ، وبعدئذ ولايات أرضروم ، وطرابيزون ، ووان ، وبدليس ، وخربوط ، وسيواس ، في شرق الأناضول في شهري حزيران وتموز عام ، ثم أقاليم غرب الأناضول ، وولايتي الرها ثم مدينة أدرنة في شهر تشرين أول ، ثم مدينتي إزمير والقسطنطينة في شهر تشرين ثاني .

وأكدت وحشية معاملة الأرمن لدى ترحيلهم ، والغرض الحقيقي منه .. ما صرح به بعض الموظفين العثمانيين عندئذ ، ثم التعليمات السرية التي أصدرها طلعت باشا وزير الداخلية العثمانية تنفيذاً لمرسوم ترحيلهم المشار إليه ، والتي عثر على بعض منها بعد انتهاء الحرب العـالميـة الأولى ، ومنها تعليماته المؤرخة في يوم ٩ أيلول عام ١٩١٥ لوالي حلب المتضمنة : أن الحكومة العثمانية قررت إلغاء حق الأرمن في الحياة ، وفي العمل ، والقضاء عليهم بتهجيرهم دون مراعاة أي اعتبار ، ثم تعليماته المؤرخة في يوم ١٥ أيلول عام ١٩١٥ إلى والي حلب أيضاً ، المتضمنة تأكيد تعليماته السابقة ، وأن على موظفي الحكومة تنفيذها دون شفقة حتى بالنساء والأطفال ، وإلا تعرضوا للعزل ..

واستولت الحكومة العثمانية على أملاك الأرمن العثمانيين بموجب القانون الذي أصدرته في يوم ١٦ أيار عام ١٩١٥ المتضمن أنها صارت بعد ترحيلهم من المتروكات ولا مالك لها .. ثم ألغت كل التزاماتها نحوهم ، فعدلت الفرمان المؤرخ في ٣٠ آذار عام ١٨٦٣ بنظام ملة الأرمن الأرثوذكس .. بالمرسوم المؤرخ في ١١ آب عام ١٩١٥ الذي ألغى المجلس الملي بحجة أن أعضائه المنتخبين والقسس ، قد انضموا إلى الأحزاب الثورية الأرمنية ، أو وقعوا تحت نفوذها ، كما قرر هذا المرسوم الأخير قطع كل العلاقات بين جاثليق الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية المقيم بمقره باتشمياتزين في أرمينيا الروسية ، وهو رئيسها الأعلى ، وبين بطريرك الأرمن الأرثوذكس العثمانيين في القسطنطينية ، ونقل مقر هذا الأخير ، وكان عندئذ زافين أغيايان إلى القدس ، ثم نفيه إلى بغداد ..

كذلك ألغت الحكومة العثمانية معاهدتي باريس وبرلين الدوليتين المبرمتين يومي ٣٠ آذار عام ١٨٥٦ و١٣ تموز عام ١٨٧٨ ، الأمر الذي يعني إلغاء كل ما له صلة بالإصلاحات ..

أما المذابح الأرمنية ذاتها فإن وصفها قد اعتمد على شهود عيان من الأرمن الفارين ، ومن رعايا الدول المحايدة مثل سويسرا ، وأمريكا .. ومن رعايا ألمانيا ، حليفة الدولة العثمانية ، ومن رعايا الدولة العثمانية ذاتها .. وفيما يلي عرض لهذه المذابح :

ــ ففي منطقة « زيتون » بولاية مرعش باقليم قليقية الأرمني العثماني الذي يسكنه كثير من الأرمن ، والواقع في جنوب الأناضول ، وحسب رواية القس الأمريكي (ديكران أندرسيان) راعي كنيسة الأرمن البروتستانت في زيتون وهي رقم « ١٢٢ » في مجموعة برايس ، كانت الحالة متوترة في المنطقة عند نشوب الحرب بسبب عدم إقبال الأرمن على التجنيد ، وفرار بعضهم منه إلى الجبال وقتالهم مطارديهم من الجنود فضربت السلطات العثمانية أهاليهم للإرشاد عنهم ، ثم حشدت خمسة آلاف جندي عثماني ، وأرسلتهم إلى زيتون للقبض على الفارين ... وتوسط القس الأرمني شرجيان ، والراهب الأرمني اسحق .. وغيرهما لتسليم الفارين إلى السلطات العثمانية لتجنب تدمير بلدة زيتون ، والتنكيل بأهلها ، حتى جمعوهم في الدير وأخبروا السلطات بذلك ، فهاجم جنودها الدير

يوم ٧ نيسان عام ١٩١٥ بقيادة الضابط العثماني خورشيد ، ولكنهم لقوا مقاومة شديدة ، وقتل منهم قرابة المائة ، ولهذا أحرقوا الدير بمن فيه .

وبعدئذ ومنذ اليوم التالي ورغم عدم اشتراك أهل زيتون في هذا القتال أبعدت السلطات العثمانية من البلدة إلى المنفى خمسين أسرة أرمينية ثم ستين أسرة أخرى . ثم حي إثر حي .. ثم الباقين من الأرمن دفعة واحدة .

وكانت جملة الأرمن المنفيين ثمانية آلاف أرمني .. وحطمت السلطات العثمانية كنائسهم ، وأزالت نقوشها ، وغيرت اسم البلدة إلى « السليمانية » ولم يبقَ في زيتون أحد من الأرمن .. إلا القس راوي هذه الشهادة والذي غادرها بعدئذ ..

وتكمل هذه الرواية ، رواية شاهد آخر من بلدة بوزانتي في هذا الاقليم ، لم يذكر اسمه ، وهي رقم ١٢٤ في مجموعة برايس .. وجاء فيها : إن آخر قافلة من الأرمن غادرت زيتون يوم ١٣ أيار عام ١٩١٥ ، وأن الأرمن المبعدين أرغموا على ترك ممتلكاتهم بمساكنهم ، وأنه حل محلهم فيها أتراك من تراقية ، وأن الأرمن المبعدين رحلوا إلى بلدة قره بندار الموحشة بولاية قونية سيراً على الأقدام ، وأن حالتهم كانت سيئة جداً ، وكانوا حفاة عراة .. جياعاً .. يستجدون الخبز ، وتفتك بهم الأمراض ..

كما يكمل هذه الرواية رواية شاهد أجنبي ، لم يذكر اسمه أيضاً مقيم في قونية ، ومؤرخة في ١٧ تموز عام ١٩١٥ وهي رقم « ١٢٥ » في مجموعة برايس : إن السلطات العثمانية أسكنت الأرمن المبعدين في اسطبلات الجمال ، بعد أن خلت منها بسبب نقل المعدات الحربية ، وكانت تعطى لكل منهم مائة وخمسون درهماً من الدقيق يومياً ثم أنقصته إلى مائة ، ثم لم تعطهم شيئاً بعد أربعة أسابيع ، وتركتهم يبحثون عن أعمال للاقتيات منها .. فلم يجدوا ، وكانوا يبحثون عن الجذور والأعشاب لأكلها ..

وفي مدينة أضنة باقليم قليقية الأرمني العثماني أيضاً ، وحسب روايتي شاهدين أجنبيين مقيمين في بلدة بوازنتي ، لم يذكر اسميهما ، وهما رقم ١٢٣ ورقم ١٢٩ في مجموعة برايس ، كانت السلطات العثمانية في الأربعة أشهر الأولى من عام ١٩١٥ ، وخاصة في شهر نيسان ، تشنق من أن لآخر في ميادين أضنة بعض الأرمن من بلدة دورت يول

الأرمنيـة الواقعـة على خليج الاسكندرية على البحر المتوسط بتهمـة أنهم كانوا يتبـادلون الإشارات مع أساطيل الحلفاء البريطانيين والفرنسيين ، التي كانت تمخر في هذا البحر ، لكن هذه التهمـة كانت باطلة لأن الحلفاء أنزلوا قواتهم في خليج الدردنيل للوصول إلى القسطنطينة القريبة منه .

وفي مدينة وان (وهي من الولايات الأرمنية العثمانية الستة في شرق الأناضول) التي كانت تحوي ١٨٥ ألف من الأرمن ، وهم الغالبية المطلقة لسكان الولاية البالغ عددهم ٣٥٠ ألفاً ، وحسب رواية الآنسة جريس كناب الأمريكية المقيمة في هذه المدينة ، وهي رقم ١٥ في مجموعة برايس ، فإن عدد سكان هذه المدينة كان خمسين ألفاً وثلاثة أخماسهم من الأرمن .. وكانوا يشعرون بقوتهم ، وكانت حياتهم مزدهرة وكانوا يفخرون بمدينتهم التي أسموها مدينـة (الكروم) ومدينة (الحدائق) . وكانت تنشط بينهم الأحزاب الأرمنية ، ويتزعمهـم نائبهم في البرلمان العثماني أرشـاك فراميان ، وزميلاه نيكوغوز أشخان ، وآرام مانوكيان ، وكانت في المدينة إرسـالية أمريكية ، ومعسكرات للقوات المسلحة العثمانية ، وكان حاكمها العسكري جودت بك (مقترف المذابح الأرمنية في بلدة أرمية الإيرانية) صهراً لأنور باشا ، وقد بدأت الأحداث فيها بطلب هذا الحاكم من الأرمن ثلاثة آلاف شـاب لتجنيدهم ، ثم حصول مصـادمات بين الترك والأرمن في منطقة شـازاخ التابعة لها ... ثم ما وقع في يوم ١٦ نيسان عام ١٩١٥ ، وهو اغتيال الزعيم أشخان الذي بعثه الوالي للمصالحة بين المتصادمين ، ثم بقبض الوالي على النائب أرشاك فراميان ، وإرساله إلى العاصمة ، ثم بفشل وساطة الطبيب الأمريكي أوشر لدى الوالي لتخفيض عدد المطلوب تجنيدهم إلى اربعمائة شاب ، ثم بمحاولة جرت في يوم ٢٠ نيسان عام ١٩١٥ خارج المدينة من جنود من الأتراك لاغتصـاب بعض النسوة الأرمنيات وقتلهم أرمنيين حاولا منعهم من ذلك .. ونتيجة ما سبق بدأت القوات المسلحة العثمانية تطلق النار على الأرمن طوال ذلك اليوم .. وقد تجمع الأرمن بقيـادة آرام مانوكيان في حي واحد ، وهو حيهم المسمى « بالحي المسور » وأحكموا تحصينه وظلوا يقاومون بأسلحتهم القليلة البالغة ثلاثمئة بندقية ، وبالذخائر التي كانوا يصنعونها محلياً هجمات القوات المسلحة العثمانية عليهم ، والتي كانت تستعمل المدفعية ، وصدوها كلها .. بل واستطاعوا في وقت ما الاستيلاء على

أحد المعسكرين العثمانيـين . وصمدوا حتى دخلت القوات الروسيـة ، وقوات المتطوعين الأرمن الملحقة بها ، بقيادة الجنرال الروسي نقولاييف التي أرسلت لنجدتهم ، مدينة وان في يوم ١٩ أيار عام ١٩١٥ ، وانسحبت منهـا القوات والإدارة العثمانية ، وبقي فيها بعض الأتراك الذين لجأوا إلى الإرســاليـة الأمريكيـة ، وأقام الروس إدارة جديدة ، وعينوا آرام مانوكيـان حاكماً للأقاليم التي احتـلوها ، ثم ترك الأرمن العثمانيون سكـان مدينة « وان » مدينتهـم في المدة من ٣٠ تموز حتى ٣ آب عام ١٩١٥ حين أخلتها القوات الروسية ، واستولت عليها القوات العثمانية حتى يوم ١٧ آب ١٩١٥ حيث استردتها القوات الروسية .

وفي هذه المدة قتلت القوات العثمانية كل من عجز عن تركها من الأرمن العثمانيين ، وأحرقت منازلهم .. وتركز الشاهدة الآنسة جريس كناب على مسألة هامة تنقض رواية الحكومة العثمانية المتضمنة أن إجراءاتها ضد الأرمن وتذبيحهم لهم .. كانت رداً على ثورتهم في « وان » إذ تؤكد أن الأرمن العثمانيين لم يبدأوا ثورة في هذه المدينة ، بل أنهم دافعوا فيها عن أنفسهم ، وتحصنوا بحيهم فيها عندما هاجمتهم القوات المسلحة العثمانية ..

وكان عدد القتلى في ولايات مرعش ، وأضنة ، ووان الأرمنية العثمانية غير كبير ، لأن ترحيل الأرمن العثمانيين من الولايتين الأولى والثانية تم قبل أن تختمر وتتبلور تماماً فكرة قتلهم في الطريق .. فمات من مات منهم في القتال ، أو ذهب ضحية الجوع والتعب ، والمرض ..

ولأن الأرمن العثمانيين في الولاية الثالثة ، قاوموا القوات المسلحة العثمانية بنجاح ، ثم هاجروا في غالبهـم منها مع القوات الروسية إلى أرمينية الشرقية الروسية ، عندما غادرتها وانسحبت منها ..

أما في الولايات الأرمنية العثمانية الأخرى التي سيرد ذكرها فيما بعد فقد بوشر القتل على نطاق واسع انتقاماً مما حدث في ولاية « وان » وهو نجاح الأرمن في المقاومة .

ففي مدينة بدليس ، وموش ، وقراهما ، ومنطقة جبل صاسون في ولاية بدليس التي كانت تحوي ١٨٠ ألفاً من الأرمن .. وقعت المذابح باعتبارها الانتقام المباشر لجودت بك الحاكم العسكري لوان .. بعد انهزامه فيها وهربه إلى ولاية بدليس .. ففي أواخر أيار عام

١٩١٥ غادر جودت بك وان منهزماً نحو الجنوب الغربي على رأس قوة عثمانية مسلحة قوامها ثمانية آلاف جندي أسميت لما قارفته « طوابير القصابين أو الجزازين » ودخل بلدة سعرت جنوبي مدينة بدليس ، وقتل غالبية سكانها من الأرمن والمسيحيين عموماً ، وعلى رأسهم مطرانها الأرمني يغيشية ومطرانها الكلداني المؤرخ المعروف أدي شير اللذين أحرقهما .. ثم توجه إلى مدينة بدليس وحاصرها في يوم ٢٥ حزيران ١٩١٥ ، واقتاد كل الرجال ، وانتقى منهم الحرفيين المهرة ، وأرسلهم للخدمة في الجبهة ، وقتل باقيهم ودفنهم في قبور جماعية أمرهم بحفرها قبل قتلهم .

ثم انتقى بعض النساء والأطفال منهم ووزعهم على جنوده ، وألقى بمن لا ينفع منهم في نهر دجلة ، بعد ترحيلهم نحوه جنوباً .. فماتوا غرقاً ، وبذلك أجهز على خمسة عشر ألف أرمني في بدليس وحدها ..

وقبل هذه المذبحة كانت بعض القبائل الجبلية قد تقدمت بأمر السلطات العثمانية من موطنها في ولاية دياربكر نحو الشمال الشرقي إلى موش ومنطقة جبل صاسون ، وقضت في طريقها على الأرمن الساكنين في قضائي سليفان ، (ميافارقين) . وشرميك ، والذين كان عددهم أصلاً ١٥ ألفاً ، ثم تضاعف بمن لجأ إليهم من قضاء موش ، ثم حاصرت هذه القبائل جبل صاسون ، في حين حاصرت قوة عثمانية مسلحة مدينة موش ..

ولم تستطع هذه القبائل ولا تلك القوة العثمانية الاستيلاء على جبل صاسون ولا على مدينة موش ــ حتى انضمت إليها قوة عثمانية كبيرة قوامها عشرة آلاف جندي بقيادة كاظم قره بكير بك ، قدمت من ولاية أرضروم في الشمال . وفي يوم ١٠ تموز عام ١٩١٥ هاجمت القوات العثمانية المشتركة مدينة موش وضربتها بالمدافع ، واستمر الأرمن المدافعون عنها بقيادة قائدهم جوتايان في المقاومة بداخلها ، في الكنائس ، والمنازل ، لمدة أربعة أيام حتى قتلوا جميعاً .. ثم جمع المهاجمون النساء ، والأطفال ، ووضعوهم في عشش خشبية وأحرقوهم .. وهكذا فعلوا أيضاً بسكان القرى التابعة لمدينة موش ، ثم تفرغت كل القوات العثمانية ، والقبائل لجبل ، صاسون ، وهاجمته وضربته بالمدافع في أواخر شهر تموز ١٩١٥ ، ودافع عنه الأرمن دفاعاً مستميتاً بقيادة قائدهم جوريون وغيره .. حتى قتلوا جميعاً ، وانتحرت نساؤهم حتى لا تقعن في الأسر ..

وفي مدينـة أرضروم ومنطقتها بولاية أرضروم ، التي كانت تضم ٢١٥ ألف من الأرمن من مجموع سكانها البالغ عددهم ٦٣٠ ألفاً ، والواقعة شمالي ولاية بدليس ، وحسب رواية المبشر الأمريكي القس روبرت ستابلتون المقيم في أرضروم ، وهي رقم ٥٣ في مجموعة برايس ، فإنه في يوم ١٩ أيار عام ١٩١٥ وقعت مذبحة في بلدة خنوص الواقعة بين مدينتي أرضروم وموش للأرمن راح ضحيتها كثير منهم ، ضمنهم بعض تلاميذ مدرسة هذا الشاهد الذين كانوا في رحلة مدرسية في هذه البلدة .

وفي شهر حزيران عام ١٩١٥ صدر الأمر لقرابة ١٥ ألف أرمني من سكان مائة قرية في ولاية أرضروم بالرحيل عنها في خلال ساعتين تحت الحراسة إلى أرزنجان غرباً .. ولكن لم يصل إليها منهم إلا قليل القليل .. إذ قتلهم وسلب أموالهم حراسهم .. وقد حوكم أحد هؤلاء ، فقال : إنه أمر بما فعله ، وقدم أمراً مكتوباً يؤيد قوله .. ثم وصلت إلى الوالي تحسين بك الأوامر بوجوب قتل الأرمن كلهم فأذعن لها .. وأصدر في يوم ٩ حزيران عام ١٩١٥ أمراً بوجوب مغادرة كل الأرمن مدينـة أرضروم ، فغادرتها في يوم ١٦ حزيران ١٩١٥ الدفعة الأولى منهم والمكونة من خمسين أسرة إلى ديار بكر جنوباً .. ولكنها أبيدت بين كيفي وبالو في الطريق إليها .. ولم يصل منها إلى خربوط إلا رجل واحد وأربعون امرأة .. وفي يوم ١٩ حزيران عام ١٩١٥ غادرت أرضروم دفعة ثانية مكونة من خمسمائة أسرة إلى أذربيجان ، ثم إلى سيواس غرباً ، وفي الطريق إلى كمخ قتل كل الرجال ، وقد ذكرت شهادات أخرى أن ذلك تم بإلقائهم من الربى العالية المعروفة ببوغاز كمخ المطلة على نهر الفرات الأعلى إلى مجرى هذا النهر كما تم اختطاف النسوة وأرسلن إلى الموصل ، والرقة ، وحلب ، وعين تاب ..

وفي يوم ٢٨ حزيران ١٩١٥ غادرت أرضروم دفعة ثالثة ضمنها مطرانها الأرمني الأرثوذكسي ، فلم يعرف مصيرها ، وقيل إن المطران المذكور قتل في أذربيجان ، ولم يبقَ في مدينـة أرضروم من الأرمن إلى القليل من الكاثوليك الذين صدر أمر بترحيلهم إلى الموصل .. ولم يعلموا بما بيت لهم ، وهو إغراقهم في نهر دجلة عند نقلهم في تشرين الثاني عام ١٩١٥ ، وبقيت بأرضروم عشرون أسرة من الحرفيين المهرة للحاجة إليهم ، ولكنهم

رحلوا أيضاً إلى أذربيجان في أوائل شباط عام ١٩١٦ ، لما اقترب الروس من أرضروم التي استولوا عليها فعلاً في يوم ١٦ شباط ١٩١٦ .. لكنهم قتلوا في الطريق ..

وحسب رواية الكاتب والصحفي الأرمني الروسي ب . كونونيانتز الذي زار أرضروم بعد احتلال القوات الروسية لها في اليوم المذكور ــ وهي رقم ٥٥ بمجموعة برايس ــ فقد عقد في يوم ١٨ نيسان ١٩١٥ بمدينة أرضروم اجتماع كبير بناء على تعليمات الحكومة العثمانية جرى فيه التحريض على الفتك بالأرمن لكونهم المسؤولين عن الهزائم التي لحقت بالقوات العثمانية ، وأنه اغتيل فيها بعض زعمائهم ، ومنهم أخو نائب أرضروم أرمن غارو بصدرمجيان .. لإلتحاق هذا النائب بالقوات المسلحة ، وقيادته مساعداً كتيبة من المتطوعين الأرمن الروس الملحقين بها .. وكذلك كان من ضحايا المذابح في هذه الولاية « أنانيا هازاربديان » مطران بابيورت الأرمني .. الذي شنق دون محاكمة ..

وفي ولاية معمورة العزيز ، أو خربوط ، التي كانت تضم ١٦٨ ألفاً من الأرمن من مجموع سكانها البالغ عددهم ٤٥٠ ألفاً ، والواقعة جنوب غربي ولاية أرضوم ، فإنه حسب رواية ممرضة دانمركية كانت في بعثة الصليب الأحمر الألماني في خربوط وهي رقم ٦٤ في مجموعة برايس ، فإنه في شهر أيار عام ١٩١٥ .. أمر الوالي العثماني بالقبض على الشبان الأرمن اللائقين للتجنيد ، والبالغ مجموعهم أربعمائة ، وطلب من أعيان الأرمن وقسسهم أن يسلموا أسلحتهم لضمان حمايته لهم ، فجموعها وسلموها إليه .. فصوروها وأرسل صورها إلى العاصمة القسطنطينية مدعياً أنها الدليل على اعتزام الأرمن القيام بثورة ، وذلك لكي يحصل على أمر من الحكومة بمعاقبتهم .. ولما وصل إليه الأمر جمع الشبان الأرمن المقبوض عليهم وأرسلهم إلى خارج المدينة ، حيث قتلوا .. ثم أمر بجمع من تبقى من الأرمن بها وترحيلهم في خلال ساعات .. وحسب الرواية المكملة .. وهي رواية أجنبي لم يذكر اسمه مقيم في خربوط . وهي رقم ٦٦ في مجموعة برايس ، فإن هؤلاء بلغ عددهم ثلاثة آلاف غالبيتهم من النساء والأطفال ، وقد غادروا خربوط سيراً على الأقدام نحو الجنوب الغربي إلى ملطية ، الرها (أورفا) ثم إلى حلب في يوم أول حزيران عام ١٩١٥ ، وكانت تحرسهم قوة قوامها سبعين شرطياً .. وظلوا سائرين معرضين لقتلهم ولسلبهم وخطفهم من القبائل ومن حراسهم .. حتى وصلوا بعد خمسة وعشرين يوماً إلى ملطية

حيث انضمت اليهم دفعة من الارمن المرحلين من سيواس ، وتوقات بولاية سيواس .. فبلغ عددهم ١٨ ألفاً .. وظلوا معرضين لما سبق أن تعرضوا له فضلاً عن الجوع والعري والمرض ... وكان المرضى منهم يتركون في الطريق أو يحرقون .. حتى وصل منهم في اليوم السبعين إلى حلب مائة وخمسون امرأة وطفل فقط .. ضمنهم خمسة وثلاثون من القافلة الأولى .. وكان من هؤلاء الضحايا مطران خربوط الأرمني يساك درخوربنيان الذي قتل غدراً بعد ترحيله عنها ..

وفي ولاية طرابيزون والتي كانت تضم أقلية من الأرمن عددها ٥٣ ألفاً ...

فإنه حسب رواية شاهد أجنبي ــ لم يذكر اسمه ــ مقيم في طرابيزون ، وهي رقم ٧٢ في مجموعة برايس .. ألصقت في ٢٦ حزيران عام ١٩١٥ في الشوارع إعلانات عن وجوب ترحيل كل الأرمن من طرابيزون .. وفي يوم أول تموز ١٩١٥ .. بدأ القبض عليهم من منازلهم البالغة جملتها ألف ، وأرسلوا جنوباً إلى داخل الأناضول براً .. كما أن بعضهم حمل في قوارب صغيرة لإرسالهم غرباً إلى ميناء صمسون بحراً .. فغرقت بها هذه القوارب .. ولعل هذا ما كان مقصوداً .. وفي قرية طوز القريبة من طرابيزون .. قتل بعض الأرمن غدراً ، ومنهم بوغوص ماريمان من أعيانها ووالده وخمسة وأربعون من الرجال والنساء بعد اغتصابهن .. وحسب رواية شاهد اغريقي من بلدة كيرسون المجاورة ، والتي تكمل الرواية السابقة وهي رقم ٧٥ في مجموعة برايس .. فإن الأرمن جمعوا من هذه القرية .. وأرسل ثلاثمائة وخمسون من الرجال في قافلة إلى داخل الأناضول .. ولكنهم قتلوا جميعاً غدراً في اليوم التالي .. أما النساء فقد حبسن ثم طردن من القرية ، وأما الأطفال فقد وزعوا على الأسر التركية ، وأن الأرمن من سكان بلدة شابين قره حصار القريبة أيضاً لما علموا بما حدث في قرية طوز تنبهوا لما يبيت لهم ، فغادروا قريتهم ، ومارسوا خارجها حرب عصابات ضد السلطات العثمانية ..

وفي مدينة سيواس ، التي كانت تضم ١٩٥ ألفاً من الأرمن .. من مجموع سكانها البالغ ٥٠٧ آلاف ، والواقعة غرب ولاية أرضروم . وحسب رواية شاهد أجنبي مقيم في سيواس ، وهي رقم ٧٧ في مجموعة برايس ، فإنه عندما غادرها في يوم ١٣ تموز ١٩١٥ كان قد زج في السجون قرابة ألف وخمسمائة من الأرمن ، وقتل بعضهم ، ولكن لم تحدث

مذبحة عامة في هذه المدينـة ، إنما رحل عنهـا ثلثا سكانها من الأرمن ، وأنهم تعرضوا في طريقهم إلى المنفى لخطر الموت جوعاً ..

وحسب رواية الأرمني مراد السيواسي ، من قرية جاودون في هذه الولاية .. وهي رقم ٨١ بمجموعة برايس .. فإنه تم القبض على كل المعتقلين بتهمة باطلة .. هي : أنهم دسوا السم في الخبز الذي يخبزونه للقوات المسلحة العثمانية .. كما أنه حسب رواية أخرى لهذا الشـاهد .. وهي رقم ٨٢ في مجموعة برايس .. فإن كل أسـرة شـاهينيان الأرمنية قتلت .. وهي تقاوم السلطات العثمانية عند محاولتها القبض عليها في سيواس .. وأن هذه السلطات دبرت اغتيال « أوضاباشيان » المطران الأرمني الأرثوذكسي لهذه المدينة في أواخر شهر كانون ثاني عام ١٩١٥ .. أي قبيل بدء المذابح .. وفي ولاية ديار بكر . التي كانت تضم ١٠٥ آلاف من الأرمن .. و ٦٠ ألفاً من السريان ، والكلدانيين ، من مجموع سكانها البـالغ عددهم ٢٩٦ ألف ، والواقعـة جنوبي ولاية بدليس ، فإنه حسب رواية الكاتب العربي « فايز أسعد الغصـين » في كتابه « أرمينية الشهيدة » والذي كان معتقلاً بديار بكـر ، ثم أطـلق سـراحـه ، فإن الوالي رشيد بك ، أمر بالقبض على أعيـان الأرمن بها وسجنهـم ، لأن عامتهم كانوا لا يقبلون على الخدمة العسكرية ، ويهربون منها ،ويكونون العصابات .

وأن عدد المقبـوض عـليهـم بـلغ سبعمـائـة ضـمنهـم بعض القسس ، ومنهـم « هومـاندريـاس » المطـران الأرمني الكـاثوليكي ، « ومكـردتش » نائب المطران الأرمني الأرثوذكسي .. وقد فرحوا لما أخبرهم الوالي أنه صدر أمر بترحيلهم إلى الموصل عبر نهر دجلة إذ لم يعلموا بما بيت لهم ، وهو إغراقهم به .. عند نقلهم في قوارب صغيرة على دفعات .. كان آخرها في شهر تشرين ثاني عام ١٩١٥ .. ويؤكد هذا الكاتب أن ترحيل الأرمن عموماً ، كان بقصد تقتيلهم في الطريق ، وأن القبائل كانت تقوم بذلك بتحريض من السـلطات العثمانية ، وأن أموالهم كانت تسـلب ، وأن نسـاءهم كن يغتصبن حتى موتهن .. كما كن تخطفن وتباع الواحدة منهن (بنعجة واحدة) .. وتجبرن مقابل إطلاق سراحهن على الزواج من الأتراك ، أو الأكراد ، بعد إسلامهن ، وتخليهن عن أطفالهن ..

ويؤكد هذا الكـاتب بصفته مسـلماً .. أن الإسـلام بريء من هذه الجرائم التي

كانت ترتكب بتحريض من حاكم الدولة العثمانية .. خلافاً لتعاليم الإسلام ، وأنه لهذا ألف كتابه لشجب هذه الجرائم وإدانتها ..

وفي ولاية « ديار بكر » شملت المذابح السريان والكلدان .. لاتهام الدولة العثمانية لهم أيضاً بخيانتها .. وقد ألف القس السرياني الكاثوليكي « اسحق أرملة » العثماني الجنسية ، الذي كان مقيماً في ماردين .. من أعمال هذه الولاية ، عن هذه المذابح كتابه « القصارى في نكبات النصارى » المطبوع باللغة العربية في بيروت عام ١٩٢٠ ، وفيه أفاض في وصفها في مدينتي ماردين ، وديار بكر . وفي مدينة الرها ، أو أورفا بولايتها وهي ليست من الولايات الأرمنية العثمانية الستة بشرق الأناضول .. وكذلك في مدينتي دير الزور ، ورأس العين . وأبان أنها شملت رجال الدين المسيحيين من جميع طوائفهم ، وفي مقدمتهم الأرمن .. باعتقالهم وسجنهم ، وقتلهم وتخريب كنائسهم .. وكان من ضحاياها المطران الأرمني الكاثوليكي « أغناطيوس مالويان » من ماردين .. كما أنه في مدينة الرها ،وحسب رواية الأرمني توماس مكردتشيان ، وهي برقم ١٣٤ في مجموعة برايس .. جرت المذابح على ثلاث دفعات في المدة من ١٩ آب حتى أول تشرين أول عام ١٩١٥ .. وراح ضحيتها كل الأرمن فيها ، والذين بلغ عددهم قرابة ٢٨ ألفاً .. إذ رفضوا الانصياع لأوامر ترحيلهم ، وتحصنوا بحيهم ، فهاجمتهم القوات العثمانية بقيادة فخري باشا .. وضربتهم بالمدافع ...

وشملت المذابح ، الأرمن بولاية حلب العربية ، التي كان يوجد كثير منهم فيها ، في قضائي أنطاكية ، والاسكندرونة .. ولكنهم قاوموا أمر ترحيلهم منها الذي أعلن في يوم ١٣ تموز عام ١٩١٥ ، واعتصموا بجبل موسى القريب من ساحل البحر المتوسط .. وقاوموا بقيادة المجاهد عيسى يعقوبيان كل هجمات القوات العثمانية ، وأرسلوا في طلب النجدة من الحلفاء ، فأتى إليهم أسطول فرنسي في يوم ٢ أيلول عام ١٩١٥ ، أي في اليوم الخامس والثلاثين من بدء الحصار ، ونقل منهم ٤٢٠٠ فرد ضمنهم ٩١٥ رجلاً فقط إلى بورسعيد في مصر ، حيث وضعوا في معسكر للاجئين ..

وجرى ترحيل الأرمن من ولاية أدرنة بأوروبا ، ومن ولاية أنقرة ، وسنجق قيصرية التابع لها في وسط الأناضول دون أن تسجل اعتداءات عليهم أثناء ترحيلهم ، ولعل ذلك

راجع إلى أنهم رحلوا بالسكة الحديدية الممتدة داخل هذه الولايات ، ولعدم وجود من يعترض طريقهم بها ..

ولكن هذا لم يعنِ نجاتهم ، لأنهم تعرضوا للاعتداءات بعد وصولهم إلى شرق الأناضول ، شأن غيرهم إذ ساروا على أقدامهم إلى وجهاتهم النهائية .. وكذلك لم يعن الوصول إليها بالنسبة للجميع النجاة ، لأنهم وضعوا في معسكرات للاعتقال في العراء .. كان أهمها في دير الزور ، ومسكنة ، وقتلهم حراسهم جوعاً وضرباً بالرصاص .. وفي العاصمة القسطنطينية التي كان يسكنها مائة وخمسون ألف أرمني ، شنق عشرون منهم علناً بتهمة الخيانة ، في يوم أول حزيران عام ١٩١٥ ولكن لم تجر مذابح لهم لوقوعها تحت نظر العالم ، ولقيام الأرمن بها بأعمال هامة للدولة العثمانية ، لا يمكن أن يحل غيرهم محلهم فيها ..

ولهذا اقتصر الأمر فيها على تسجيل كل الأرمن المقيمين بها ، ومراقبتهم ، ومنعهم من التراسل مع الخارج ، والسفر إليه ثم القبض على زعمائهم ، وإبعادهم عنها ــ منذ يوم ٢٤ نيسان عام ١٩١٥ ــ ليلقوا حتفهم غيلة خارجها .. وكان من هؤلاء الزعيم الطاشناقي خشادور مالوميان ، حليف حزبي تركيا الفتاة ، والعثمانيين الأحرار ، الذي شاركهما في النضال خارج الدولة العثمانية لإسقاط السلطان عبد الحميد الثاني ، ثم قام بالدعاية خارجها أيضاً لإنقلاب عام ١٩٠٨ بعد إسقاطه ، وكذلك صديق حكام الدولة العثمانية الجدد من حزب تركيا الفتاة ، وجماعة الاتحاد والترقي ، وكذلك فيلسوفهم « ديكران كليكيان » ، ثم النائب ونقيب المحامين العثمانيين « كريكوروزو هراب » الذي صالحهم مع الأرمن إثر مذابح عام ١٩٠٩ ، والنائب « أرشاك فراميان » والنائب « هوفانس فارتكيس » ثم الشاعران أطوم بارجانيان المعروف (بسيامانطو) ، ودانيال فاروجان ، اللذان كتبا عن نضال الشعب الأرمني ، ثم المجاهد « هامبرتسوم بوياجيان » من أبطال الدفاع عن جبل صاسون في عام ١٨٩٤ وغيرهم .. ولم يصب الأرمن في إزمير ضرر ، لأن غالبية سكانها من الإغريق الذين حموهم .. ولكن دمر وأحرق الحي الأرمني بها في عام ١٩٢٢ إثر استرداد الأتراك لها من الإغريق .

وهاجر باقي الأرمن العثمانيين الذين لم يتأثروا بصفة مباشرة بالمذابح الأرمنية إلى

أرمينية الروسية ، وإلى سورية ولبنان اللتين انفصلتا عن الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى ، وإلى سائر بلاد العالم ، ولم يستطع غالبهم العودة إلى بلادهم أرمينية الغربية العثمانية بعد هذه الحرب .. مفضلين على ذلك أسوأ الظروف التي مروا بها في البداية ، فخلت منها تقريباً أرمينية الغربية العثمانية .. وذلك لعدم تكفير السلطات العثمانية ، ومن بعدها السلطات التركية عن هذه المذابح ، بل وعدم ترحيبها بعودتهم وتمسكها بالإجراءات القانونية التي اتخذتها بحقهم ، وخاصة بشأن أملاكهم ، والتي سبق ذكرها في ولاياتهم السابقة في شرق الأناضول .. وفي إقليم قليقية على وجه الخصوص ، بل ولفتك الدهماء ببعض من عادوا فعلاً إلى هذه الولايات وذلك الاقليم ..

ومن الأعمال غير الإنسانية التي قارفتها السلطات العثمانية ضد الأرمن ، إلحاق أطفالهم بملاجئ الأيتام ، وتغيير أسمائهم ، ومحاولة طمس ماضيهم ، لكي ينشأوا أتراكاً .. وقد اقتضى الأمر بعد عقد هدنة مودروس وخروج الدولة العثمانية من الحرب في عام ١٩١٨ ، واحتلال الحلفاء لبعض أطرافها أن يكونوا لجاناً ، وخاصة في العاصمة القسطنطينية لفرز الأرمن من أطفال هذه الملاجئ ..

وتقع مسؤولية المذابح الأرمنية لعام ١٩١٥ أولاً على مرتكبيها حكام الدولة العثمانية ، وأولهم طلعت باشا وزير داخليتها ، ثم رئيس وزرائها وزميله أنور باشا ، وجمال باشا ، ثم على شركائهم حكام ألمانيا وممثليهم في الدولة العثمانية ، وعلى رأسهم السفير الألماني فانجنهايم ، والجنرال الألماني ليمان فون ساندرز مفتش عام الجيش العثماني ، الذي كان بوسعهم منع هؤلاء من مقارفة هذه المذابح ، ولكنهم لم يفعلوا ، ويبدوا أنهم كانوا يحرضون على مقارفتها ويعلمونهم كيف يقارفونها .

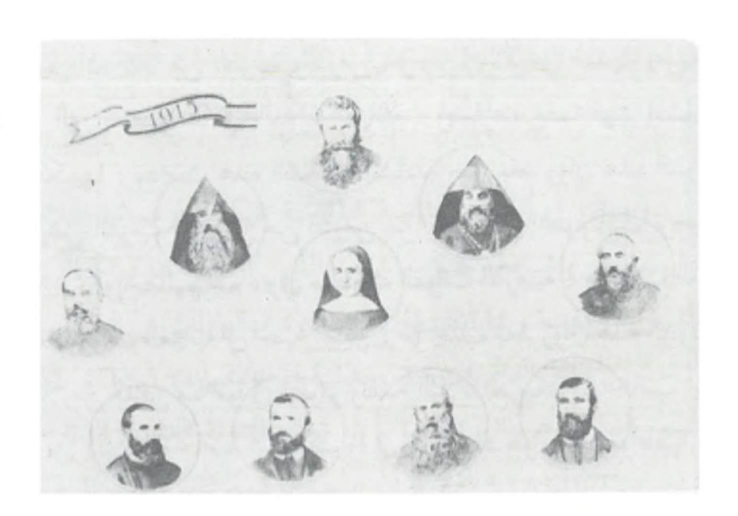
فقد كان الموظفون العثمانيون يرددون أنهم إنما قاموا بالمذابح « لأن هذه هي تعليمات الألمان » . وبعد الانتهاء من الحرب العالمية الأولى ، اعترف الداماد فريد باشا رئيس وزراء الدولة العثمانية في خطابه يوم ١٧ حزيران عام ١٩١٩ أمام المجلس الأعلى للحلفاء ، المنعقد أثناء مؤتمر الصلح في باريس (أن العالم المتمدن قد أثرت فيه هذه المذابح التي ارتكبها الأتراك أثناء الحرب العالمية الأولى ، وأن كل ما يسعى إليه هو تخفيف وقعها على الضمير

العالمي) أي أن الدولة العثمانية تعترف بمقارفتها للمذابح الأرمنية لسنة ١٩١٥ ، ولا تجد لها تبريراً ، وإنما تلتمس معاملتها بالرأفة عند مجازاتها عنها ..

وجرت في الدولة العثمانية محاكمة غيابية لزعمائها الثلاث السابقين (طلعت باشا ــ أنور باشا ــ جمال باشا) الذين ارتكبوا هذه الجرائم غير الإنسانية ، وزجوا بدولتهم في الحرب ، مما أدى إلى هزيمتها وتمزقها وذلك في العاصمة القسطنطينية منذ يوم ٢٦ تشرين الثاني عام ١٩١٨ وانتهت في ٥ تموز ١٩١٩ ، بالحكم عليهم بالإعدام ، ولكنهم كانوا قد هربوا إلى ألمانيا ، إثر توقيع الدولة العثمانية لهدنة مودروس مع الحلفاء في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ ، كما أن هذه المحاكمة كانت صورية لم يقصد بها إلا اكتساب عطف الحلفاء ، ولهذا أصدرت الجمعيات الثورية السرية الأرمنية حكمها بإعدامهم وشركائهم ، وكلفت فدائييها بتنفيذ هذا الحكم .. فنفذ أولاً بقتل طلعت باشا في برلين يوم ٥ آذار عام ١٩٢١ ، حيث اغتاله الفدائي صوغومون تهلريان ، ومن بعده تم قتل محمد سعيد حليم رئيس الوزراء العثماني ، حيث اغتاله الفدائي أرشاميز شيراكيان في روما يوم ٦ كانون الأول عام ١٩٢١ . وبعدهما قتل جمال باشا في تفليس يوم ٢١ تموز ١٩٢٢ ، وقد اغتاله الفدائيان بدروس تربوغوصيان وارداشيس كيفوركيان ، وكذلك قتل بهاء الدين شاكر ، الذي اغتاله الفدائيان آرام بارجيان وأرشافير شيراكيان في برلين يوم ٧ نيسان ١٩٢٢ ، وأما أنور باشا ، فقد قتل في بلدة بلجوان قرب دوشنبه عاصمة جمهورية طادجيكستان الاشتراكية السوفييتية الحالية بآسيا الوسطى في يوم ٤ آب عام ١٩٢٢ ، على يد غريغور صاروخانيان ، وهاجوب ملكوميان .. وكان هذا هو القصاص الموافق العادل من هؤلاء لارتكابهم في الحرب العالمية الأولى المذابح الأرمنية لعام ١٩١٥ ، بل ومذابح زعماء الثورة العربية الذين أعدمهم شنقاً جمال باشا .. حال قيادته الجيش العثماني الرابع في الشـام ، وولايته له في عام ١٩١٦ . ولقد أقرت ذلك محكمة جنايات برلين الألمانية .. فقضت ببراءة أول هؤلاء الفدائيين ، بعدما وزنت الأدلة التي قدمها إليها عن دوافعه لاغتياله طلعت باشا جلاد الأرمن ، وخاصة شهادة الجنرال الألماني ليمان فون ساندرز مفتش عام الجيش العثماني سابقاً ، والمستشرق الألماني لبسيوس الذي أدان المذابح الأرمنية إبان وقوعها .

ويجدر بالتسجيل أن كلاً من العرب والأرمن ، وجد في الآخر صديقاً طبيعياً ، نتيجة للمحن والمذابح التي تعرضوا لها في الدولة العثمانية ، وصارت مصالحهم المشتركة تقتضي تخلصهم من حكمها . ودامت هذه الصداقة المتبادلة حتى بعد زوال هذه الدولة ، وقد تجلت قبله في تخليص العرب لكثيرين من الأرمن من مصيرهم المحتوم أثناء ترحيلهم خلال مذابح عام ١٩١٥ ، وإخفائهم لهم ، وفي مشاركة القوات الأرمنية ، والقوات العربية لقوات الحلفاء في مقاتلة القوات العثمانية في جبهة الشام ، كما تجلت بعد زوال هذه الدولة في حسن معاملة العرب للأرمن الذين ساهموا في تطوير وتقدم البلاد العربية ، إلى جانب أبنائها العرب وتعاونهم معهم في ذلك ، وخاصة أنهم اعتبروا في غالب الأحوال من مواطنيها دون حاجة لكسب جنسياتها ، باعتبار أن الجميع العرب ، والأرمن ، كانوا يرزحون تحت الاحتلال العثماني ، وهنا نورد ما كتبه الأدباء الأرمن عن موقف العرب المشرف ، حيث أجمعوا على القول « إن المروءة تقضي بأن نسجل للعرب عامة وللسوريين خاصة ، ما أظهروه من شهامة وعطف أيام محنتنا ، فقد آووا في بيوتهم الكثير من اليتامى والمشردين ، وأقدم العرب السوريون على هذا العمل الإنساني بدافع من ضمائرهم رغم فداحة المسؤولية التي عرضوا أنفسهم إليها .

— رجال الدين



— سياسيون

قافلة من الشهداء البررة

— كتاب وشعراء





بدروس دير بوغوصيان وستيبان زاغيكيان
... قتلا جمال باشا في تفليس



ميســاك تورلاكيان قتل سفاح أرمن باكو
« جيفانشاهير يهبوت خان » عام ١٩٢١



صوغمون تهلريان قاتل طلعت باشا



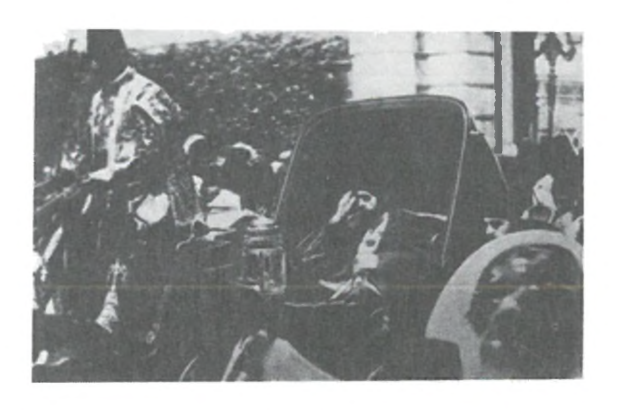
يتيمات أرمنيات في بور سعيد عام ١٩١٦



قتل جماعي



تجويع حتى الموت



السلطان الأحمر

الفصل السّادس عشر

الاستقلال والمعاصرة

ساءت الأحوال في الدولة القيصرية نتيجة ظلم القياصرة ، والبؤس والدمار الذي خلفته الحرب العالمية الأولى ، فازداد السخط الشعبي ، ونمت الحركات الثورية ، بشكل لم يسبق له مثيل ، مما أدى في نهاية المطاف إلى قيام ثورتي شباط ، ثم أكتوبر عام ١٩١٧ ، لتدكا الدولة القيصرية ، وترسخا سلطة الشعب .

وقد شهد اقليم القوقاز ، إثر نجاح الثورة الأولى ، مظاهرات شعبية مؤيدة لها ، وخاصة في مدينة باكو التي كانت تضم أكبر تجمع عمالي برئاسة ستيبان شاهوميان ، كما تزعم انسطاس ميكويان عمال بلدة اتشمياتزين ، وعينت الحكومة المؤقتة التي قامت نتيجة ثورة شباط ، لجنة خاصة لهذا الإقليم من خمسة أعضاء بينهم ، ميكائيل بابازيان ، كما عينت مفوضية عامة لإدارة الأراضي الأرمنية العثمانية التي كانت القوات الروسية قد احتلتها إبان الحرب العالمية ، واحتل منصب نائب المفوضية ، السياسي الطاشناقي هاغوب زافريان .

لكن قصور هذه الحكومة المؤقتة وعجزها عن تلبية المطالب الشعبية ، وعدم إجرائها

أي تعديل على الجهاز الإداري القيصري في اقليم القوقاز ، ثم عدم قدرتها على حل المسألة القومية . كل ذلك ، أدى إلى بروز نزاع كبير بين مختلف الأحزاب السياسية ، حيث أعلن البلاشفة بزعامة شاهوميان ، أنهم ضد هذه الحكومة ، بينما أعلن كل من حزب الطاشناق في أرمينية ، والمنشفي في جورجيا والمساواة في أذربيجان عدم تأييدهم للثورة .

وفي أيار ١٩١٧ ، انعقد في يريفان أول مؤتمر للأرمن الغربيين من الأحزاب التقليدية وانتخب لجنة تنفيذية برئاسة فاهان بابازريان ، اهتمت بإعادة المهاجرين إلى أرمينية العثمانية ، كذلك انعقد المؤتمر الأرمني الوطني الأول في مدينة تفليس من ١١ إلى ٢٥ تشرين أول ، وشارك فيه ١٨٨ مندوباً من حزبي الطاشناق والرمغافار ، وانتخب لجنة تنفيذية من ١٥ عضواً برئاسة أفيديس أهارونيان ، ومن أعضائها آرام مانوكيان وميكائيل بابازريان . لكن المؤتمر لم يصل إلى قرارات محددة ، فرد عليه البلاشفة بمؤتمر عقد في تفليس أيضاً وانتخب لجنة اقليمية من أعضائها شاهوميان الذي ترأس أول حكومة محلية في القوقاز سيطرت على جزء منه وأعلنت ولاءها للحكومة السوفييتية الجديدة التي قامت برئاسة لينين بعد ثورة أكتوبر .

أما الأحزاب الأخرى ، فقد تمكنت من السيطرة على باقي اقليم القوقاز وشكلت حكومة في ١٥ تشرين الثاني من أحد عشر وزيراً بينهم ثلاثة من الأرمن هم ، هامو أوهانجانيان ، غازار ترغازاريان ، خشادور كارشيكيان .

وهنا ، نعود إلى ثورة أكتوبر ، حيث كان من أول أعمال حكومتها على الصعيد الخارجي ، هو إصدار مرسوم السلام المؤرخ في ٨ تشرين الثاني ، وهو المرسوم الذي أدى إلى ما يلي :

- الاتفاق في ٥ كانون الأول ، على وقف القتال والعمليات الحربية على جبهات الحرب العالمية الأولى .
- في ١٥ منه ، وقعت الهدنة بين الحكومة السوفييتية والدول المتحاربة .
- في ١٨ منه ، عقدت هدنة خاصة بجبهة القوقاز ، هي هدنة أرزنجان .
- في ٢٢ منه ، بدأت مفاوضات الصلح ، وانتهت في ٣ آذار ١٩١٨ بتوقيع معاهدة

« برست لتوفسك » ، بين الحكومة السوفييتية من جهة ، وألمانيا والنمسا والدولة العثمانية من جهة .

إلا أن هذه المعاهدة ، لم تقم على المبادئ التي أقرها مرسوم السلام الآنف الذكر ، بل تضمنت تنازلات كبيرة من جانب الحكومة السوفييتية التي اضطرت إلى إقرارها ، كي تلتقط أنفاسها في الداخل . وقد تضمنت المادة الرابعة من المعاهدة ، التزام الحكومة السوفييتية الفوري بإخلاء مناطق شرق الأناضول العثمانية ــ وأرمينية الغربيةمنها ــ والالتزام برد أقاليم قارس ، أولطي ، قاغزمان ، ارتفين ، اردهان ، باطوم ، وهي جزء من أرمينية الشرقية وجورجيا إلى الدولة العثمانية التي كانت قد تنازلت عنها لروسيا القيصرية .

وحال إبرام المعاهدة ، انتهزت القوات العثمانية تفوقها عدداً وعدة على القوات الأرمنية والكرجية المواجهة لها في جبهة القوقاز ، وشنت هجوماً انتهى في مرحلته الأولى بتاريخ ١٩ نيسان ١٩١٨ ، إلى استرداد أرمينية الغربية ، ومساحات أخرى من القوقاز .

وفي ٢٢ نيسان ، أعلنت حكومة القوقاز ، انفصالها رسمياً عن الدولة الروسية ، وأنها باتت دولة مستقلة تحت اسم « جمهورية ما وراء القوقاز الديمقراطية الفيدرالية » . وقد قررت هذه الحكومة وقف الحرب ضد الدولة العثمانية ، والعودة إلى مفاوضات الصلح . لكن رئيس الحكومة الكرجي ، أمر الجنرال الأرمني توماس نزار بيبكيان القائد العام للقوات الأرمنية ، والقائد الروسي ديف ، قائد حامية قارس ، بتسليمها إلى القوات العثمانية دون قتال ، وهذا ما حصل بالفعل رغم استعداد القوات الأرمنية للقتال ، وقد أثار التخلي عن فارس ضجة كبرى في صفوف الأرمن الطاشناق في حكومة جمهورية ما وراء القوقاز ، وعرضوا أن يتولى رئاسة الحكومة الأرمني الطاشناقي هوفانس كاشازنوني بدلاً من رئيسها الكرجي ، إلا أن الكرج تغلبوا عليهم ، وأعيد تشكيل الحكومة من ١٣ وزيراً ، بينهم أربعة أرمن هم هوفانس كاشازنوني ، اسكندر خادسيان ، اقيديس اسحقيان ، ارمياسيس إززنكيان ، وكلهم من حزب الطاشناق ما عدا آخرهم فكان اشتراكياً ديمقراطياً .

ونتيجة استحكام الخلاف في صفوف هذه الحكومة ، أعلنت في ٢٦ أيار ١٩١٨ ، حل نفسها ، وبالتالي حل جمهورية ما وراء القوقاز ، الأمر الذي ساء الأرمن لأنه

جردهم من شركائهم ، فقرروا من خلال مجلسهم الوطني الذي كان يمثلهم في برلمان تلك الجمهورية ، وجوب إعلان استقلال أرمينية وذلك بتاريخ ٢٨ أيار ١٩١٨ . لكن قيام جمهورية أرمينية المستقلة لم يعلن إلا في ٣٠ أيار ١٩١٨ ، عبر بيان أصدره المجلس الوطني ، والذي أعلن فيه توليه السلطة العليا في أرمينية ، وتعيين حكومة مؤقتة تسير شؤونها . وفي ٩ حزيران شكلت الحكومة برئاسة الأرمني الطاشناقي هوفانس كاشازنوني ، التي اعتبرت أول حكومة للدولة الأرمنية المستقلة في التاريخ الحديث ، وهي الحكومة التي أكدت فيما بعد أن يوم ٢٨ أيار ، هو عيد استقلال أرمينية .

وفي هذه الأثناء ، واصلت القوات العثمانية على نحو ما كان متوقعاً ، الزحف إلى قلب أرمينية لاحتلالها والنفاذ منها إلى أذربيجان وإيران ، وقد وقعت عدة معارك بين هذه القوات والقوات الأرمنية التي حققت انتصارات باسلة ، وخاصة في معركة سردار آباد ، التي باتت محط اعتزاز الشعب الأرمني ، ورمز نضاله من أجل البقاء في العصر الحديث ، فأقام في عام ١٩٦٨ نصباً تذكارياً صممه المهندس د . إسرائيليان ، تخليداً لها .

وقد انتهت تلك المعارك التي قادها كل من الجنرال توماس نزار بيبيكيان ، والجنرال موسس سلكيان ، والعقيد دانييل بيروميان ، والجنرال درو كانيان ، والجنرال أنترانيك أوزانيان انتهت إلى إبرام معاهدة صلح باطوم بين حكومة جمهورية أرمينية الطاشناقية وألمانيا والدولة العثمانية في ٤ حزيران ١٩١٨ ، وقد استجابت الحكومة الأرمنية في هذه المعاهدة إلى مطالب الدولة العثمانية التي أيدتها ألمانيا . ولئن كسبت جزء لها على الانتصارات الأخيرة لقواتها تنازلاً عثمانياً طفيفاً وهو أن تضم إلى أراضيها حوالي ٦٠٠ كم² على مقربة من جبل أراكاس ، لكنها فقدت مدينة اسكندربول ، وصارت مساحة أرمينية قرابة ١٠ آلاف كم² وأطلق عليها اسم جمهورية يريفان الأرمنية ، كما قبلت أن تمر القوات العثمانية في أراضيها ، وأن يقتصر جيشها على ١٠ آلاف جندي .

بعد ذلك زحفت القوات العثمانية باتجاه « باكو » عبر جمهورية يريفان ، لكن القوات البريطانية على جبهة العراق ، حاولت وقف هذا الزحف ، فتمكنت من احتلال العاصمة الأذربيجانية بقوة قوامها حوالي ألفي جندي ، دون قتال نتيجة وجود حكومة الزعيم الأرمني رستم زوريان الطاشناقية التي حلت محل الحكومة السوفييتية المحلية في ٣١

تموز ، والتيت كان يترأسها شاهوميان . لكن القوة البريطانية سرعان ما انسحبت من باكو ، وهكذا تمكنت هذه القوات العثمانية من دخول باكو في ١٥ أيلول ، واستولت عليها ونفذت فيها مذبحة للأرمن راح ضحيتها خمسة عشر ألف منهم . وما يجدر ذكره أنه لدى انسحاب القوات البريطانية من « باكو » ، أمرت بإرسال زعمائها وحكومتها وعلى رأسهم شاهوميان إلى ميناء كرسانوفودسك ، ومن هناك اقتيدوا إلى داخل صحراء قره قوم وقتلوا غدراً على يد حكومة ما وراء بحر قزوين المعادية لثورة أكتوبر ، وقد خلد الأرمن ذكرى شهيدهم شاهوميان بنصب تذكاري في يريفان يعتبر واحداً من معالمها الهامة .

أما الحكومة الأرمنية التي كان قد شكلها كاشازنوني في حزيران ، فقد عقدت في الأول من آب ، برلمانها الأول المسمى « الخرهوت » والذي تألف من ٤٠ نائباً . ولجأت إلى روسيا السوفييتية والحكومة العثمانية في آن واحد ، وأرسلت لهما وفوداً ، لإقناعهما بأنه من صالحهما أن تكون أرمينية قوية ومستقلة . وباشر هذه المهمة على التوالي كل من هاغوب زافاريان ، وهامو أوهانجيان ، واسكندر خادسيان ، ولكن دون جدوى . كذلك لم تستطع حكومة أرمينية الالتجاء إلى دول الحلفاء لضمان استقلالها ، رغم إطلاق زعمائها وأولهم كليمنصو رئيس وزراء فرنسا ، ولويد جورج رئيس وزراء بريطانيا ، ثم الرئيس الأمريكي ولسن ، تصريحات متعاطفة مع أرمينية ووجوب استقلالها ، وذلك لعدم وجود اتصال مباشر بينها وبين هذه الدول .

وعقب سقوط باكو ومنطقتها ، بيد القوات العثمانية ، أصبح كل اقليم ما وراء القوقاز تقريباً في قبضة ألمانيا والدولة العثمانية . لكن هذه السيطرة لم تدم طويلاً ، لأن الهزيمة حلت بهذه الدولة على يد الحلفاء ، بعد الضربة القاضية التي أنزلتها بها القوات البريطانية والفرنسية على جبهة الشام ، بقيادة الجنرال اللنبي ، وكانت تضم قوات الثورة العربية ، وقوات من المتطوعين الأرمن ، الذين أجلوا بوجه خاص عن اقليم قليقية ، وقد نال هؤلاء المتطوعون الثناء لبسالتهم في معركة عرعرة قرب حيفا ، والتي دارت في ٢١ أيلول .

وإثر هذه الهزيمة ، اضطرت الدولة العثمانية إلى التوقيع على هدنة مودروس مع دول الحلفاء في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ ، كذلك اضطرت ألمانيا إثر هزيمتها في غرب أوروبا إلى التوقيع على هدنة كومبين ، وقد تضمنت الهدنتان ، وجوب انسحاب الدولتين من

إقليم ما وراء القوقاز ، وفيما سحبت ألمانيا قواتها من جورجيا دون أية مشـاكل ، راحت الدولة العثمانية ، تنفذ سياسة المراوغة حيناً ، وإثارة القلاقل طوراً ، والتفاوض حيناً آخر ، وذلك بهدف تحقيق أكبر قدر من المكاسب على الأرض .

وقد استمرت هذه السياسة ، دون أن تلقى مقاومة من دول الحلفاء ، وفي مرحلة ساءت فيها الأحوال المادية لإرمينية ، لأنها وجدت نفسها شبه معزولة عن العالم ، إضافة إلى إستيعـابها قرابة نصف مليون لاجئ انضموا إلى سكـانها البالغ عددهم ثلاثة أرباع المـليون نسمة ، فوق مسـاحة صغيرة من الأراضي التي حولتها الحروب خراباً . ولذلك استغاثت بكل دول العالم على لسـان حاكم يريفان آرام مانوكيان ، فأعانتها هذه الدول وعصبة الأمم بكل ما احتاجته من مساعدات إنسانية عن طريق الاتحاد الخيري الأرمني العام .

بعد ذلك استطاعت جمهورية يريفان أن تضم بعض الأراضي من أرمينية الشرقية ، فحملت من جديد اسم جمهورية أرمينية ، ولكنها لم تتمكن من ضم أي جزء من أراضي أرمينيـة الغربيـة ، ورغم ذلك ، أعلن نائب رئيس وزرائها اسكندر خادسيـان بيان قيام جمهورية أرمينيـة الموحدة المتضمن ضم أرمينية الغربية ، وذلك تنفيذاً لقرار مؤتمر الأرمن الغربيين الثاني ، الذي انعقد في يريفان من ٦ إلى ١٣ شباط ، وكذلك تنفيذاً لقرار البرلمان الصادر في ٢٧ نيسان ، إلا أن هذه القرارات بقيت نظرية ولم تر طريقها إلى التنفيذ . وفي شهر حزيران أسفرت الانتخـابات العـامة عن فوز سـاحق لحزب الطـاشنـاق فاحتفظ بالسـلطة ، وشكل حكومة برئاسة اسكندر خارستان في شهر آب ، ثم خلفتها حكومة جديدة في أيار ١٩٢٠ برئاسة هامو اوهانجانيان .

أما على الصعيد الخارجي ، فقد سعت أرمينية للحصول على تأييد رسمي من دول الحلفـاء للاعتراف باستقلالها وضمها الأراضي الغربية بعد فصـلها عن الدولة العثمانية ، وذلك بالاعتماد على المبدأ الثاني عشر من مبادئ الرئيس الأمريكي ولسن الخاص بحق تقرير المصير .

وحين افتتح مؤتمر باريس في ٢٨ كانون الثـاني ١٩١٩ للصـلح وبحث شروط المعاهدات مع الدول الأعداء وهي ألمانيا والنمسا والدولة العثمانية وبلغاريا ، كان واضحاً منذ

البداية أن هذا المؤتمر ، لن يتبع إلا قرارات المجلس الأعلى للحلفاء ، بعيدا عن روسيا التي خرجت من صفها نتيجة إبرامها معاهدة « برست لتوفسك » .

وإلى هذا المؤتمر ، أرسلت أرمينية ، وفداً برئاسة أفيديس أهارونيان لعرض المطالب الأرمنية على الحلفاء والتداول معهم . ووصل الوفد إلى باريس في الرابع من شباط ، إلا أن المشاركين بالمؤتمر لم يقبلوا جلوس الوفد الأرمني معهم ، بذريعة أن أرمينية لم تكن من الدول التي أعلنت الحرب على دول الأعداء أو قطعت علاقاتها معها ، رغم أنهم قبلوا مشاركة دول لم تنطبق عليها هذه الشروط مثل بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وبلاد الحجاز .

كذلك ، وصل إلى باريس وفد أرمني آخر برئاسة بوغوص نوبار باشا ممثلاً للأرمن العثمانيين والمغتربين ، باسم الوفد الوطني الأرمني ، وقد ظهر تباين بين آراء الوفدين ، إذ كان بوغوص باشا محافظاً وغير حزبي ، ويطالب بإقامة دولة أرمنية كبرى ، ولا يعترف بتمثيل جمهورية يريفان التي يسيطر عليها حزب الطاشناق لجميع الأرمن ، ولكن وفد هذه الجمهورية كان يمتاز بأنه يمثل دولة قائمة ولها كيانها . ورغم الخلاف في الآراء ، استصوب الوفدان عدم إعلانه ، وآثرا الاتفاق على مطلب تأسيس دولة أرمنية كبرى ، والتقدم إلى مؤتمر باريس بوفد متكامل انضم إليه فيما بعد الفقيه والوزير الأرمني العثماني السابق ، جبرائيل نورادونجيان ، بصفة مستشار قانوني ، والأستاذ بكلية « روبرت » الأمريكية بالقسطنطينية درهاغوبيان بصفة خبير .

وفي الثاني عشر من شباط تقدم الوفدان بمذكرة مشتركة ، تضمنت الاعتراف بدولة أرمينية ، وأن تضم أقاليم ناخشيفان وصورمالو ولوري وأخالكاكي ، وجنوب غرب ولاية اليزافتبول أي اقليمي زنجزور وقره باخ وولاية وأقاليم قارس وأولطي وقاغزمان وأردهان ، والولايات الأرمنية العثمانية الستة بشرق الأناضول وهي وان وبدلس ودياربكر وخربوط وسيواس وأرضروم ، وكذلك ولاية طرابيزون وسناجق منطقة قليقية الأربع وهي مرعش وخوزان وجبل بركات وأضنة .

وقد أوردت المذكرة الحجج والبراهين التي استندت إليها هذه المطالب ، وقوامها أن الأراضي المذكورة ، هي بلاد الأرمن التي سكنوها منذ قديم الزمان وشكلوا غالبية سكانها ،

وأن حملات الإبادة التي تعرضوا لها لا تنال من حقهم ، ويجب سماع صوت كل الأرمن الأحياء منهم والأموات كما ورد في المذكرة التي تضمنت في ختامها المطالبة بوضع أرمينية تحت وصاية الحلفاء أو عصبة الأمم لمدة لا تقل عن عشرين عاماً .

وفي ٢٦ شباط شرح رئيسا الوفدين أهارونيان وبوغوص باشا مضمون المذكرة لمجلس الحلفاء ، كما قابلا بخصوصها الرئيس الأمريكي ولسن فأكد تأييده لهما . وفي مظاهرة لتأييد هذه المطالب ومناقشة مستقبل أرمينية ، عقد بوغوص باشا في باريس في المدة من ٢٤ شباط إلى ٢٢ نيسان ، المؤتمر الوطني الأرمني الذي اكتسب طابعاً دولياً ، حيث شارك فيه ، ٣٨ عضواً من أقطاب الأرمن ومفكريهم في كل أنحاء العالم ، ومن المشاركين : ارفند اغاثونيان عن الأرمن الأمريكيين ، وبطريرك القسطنطينية السابق يفيشه طوريان ، والوزيران العثمانيان السابقان ، جبرائيل نوار دونجيان وغريغور ستيبانيان ، والسفير الإيراني السابق لدى بريطانيا هوفانس خان مسيحيان ، والأدباء أرشاك تشوبانيان ، وليفون شانط ، وفاهيان تيكيان ، وحضره بصفة مراقبين ، افيديس أهارونيان ، وهامو أوهانجانيان . وقد طالب هذا المؤتمر بأن يسند الحلفاء إلى أمريكا الانتداب على أرمينية لإدارتها ، كما تقدم إلى مؤتمر باريس بمذكرة إضافية تضمنت التعويضات التي يجب دفعها لأرمينية تعويضاً عن خسائرها .

أما الرد الرسمي للحكومة العثمانية ، فقد جاء بمذكرة تقدمت بها إلى ممثلي بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في القسطنطينية ، معارضة هذه المطالب ، بحجة أن الأرمن لم يكونوا سوى أقلية نسبتها ٢٠٪ في الأراضي العثمانية ، كما وصفت المذابح الكبرى لعام ١٩١٥ والتي راح ضحيتها مليون ونصف المليون شهيد بأنها مجرد حوادث يؤسف لها . واقترحت لتسوية هذه المطالب حلين ، هما ، أما ترك الأراضي المطالب بها تحت سيادة الدولة العثمانية مع تقرير حق اللاجئين الأرمن بالعودة إليها ، وأما توسيع حدود أرمينية القائمة وقتئذ إلى الحد اللازم لاستيعاب اللاجئين الأرمن الموجودين بإقليم القوقاز وسورية بعد إحصاء عددهم من قبل لجنة دولية .

لكن سرعان ما تصلب موقف الحكومة العثمانية بشأن المطالب الأرمنية ، حيث سمح مؤتمر باريس لرئيس هذه الحكومة ، بالحديث أمامه دون غيره من مندوبي دول

الأعداء الأخرى ، فألقى خطاباً متشدداً ، وأتبعه بمذكرة لم يشر فيها إلى أي تنازل اقليمي أو عودة اللاجئين الأرمن إلى أراضي الدولة العثمانية .

وفي ٢٩ حزيران ، انتهت المرحلة الأولى من مفاوضات مؤتمر باريس بتوقيع دول الحلفاء على معاهدة فرساي للصلح مع ألمانيا ، دون توقيع معاهدة مماثلة مع الدولة العثمانية ، وكانت العقبة التي حالت وإبرام هذه المعاهدة ، هي عدم الاتفاق على مستقبل أرمينية بين دول الحلفاء الكبرى ، وعدم قبول واحدة منها الندب لإدارتها لما يرتب ذلك من التزامات مادية وسياسية ، فقد تنصلت بريطانيا من الانتداب منذ بداية المؤتمر ، وعرضته على إيطاليا فرفضته بدورها .

وأخيراً ، وفي ١٤ أيار ، قرر أعضاء المجلس الأعلى للحلفاء وضمنهم الرئيس الأمريكي ولسن أن يعهد بالانتداب إلى أمريكا ، شريطة موافقة مجلس الشيوخ ، وبناء عليه ، أوقف مجلس الحلفاء توقيع معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية حتى تقرير مسألة الانتداب ، وحين تبين أن القرار الأمريكي قد يتأخر ، تم إبرام معاهدة « سان جرمان » مع النمسا في ١٠ أيلول ، ومعاهدة « نويللي » مع بلغاريا في ٢٧ تشرين الثاني .

بعد ذلك ، عاد مجلس الحلفاء إلى الاهتمام بمسألة الصلح مع الدولة العثمانية ، فاعترف رسمياً بجمهوريات ما وراء القوقاز الثلاثة ، أرمينية ، أذربيجان ، جورجيا ، في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٠ ، وأقرت أمريكا هذا الاعتراف بالنسبة لأرمينية ، في ٢٣ نيسان ، ثم عرضت مسألة الانتداب على عصبة الأمم في ١٢ آذار ، بمناسبة إقرار تأسس أرمينية وانضمامها لعضويتها ، لكن عصبة الأمم رفضت الندب لعدم توافر إمكاناته لديها ، فعرض على أمريكا ثانية ، وأعلن الرئيس ولسن قبوله في ٢٤ أيار ، بعد أن تلقى تقريرين عن أحوال أرمينية أعدهما الجنرال جيمس هاربورد وبعثة شارل كرلين ووليم كنج ، لكن مجلس الشيوخ رفض قبول الندب في أول حزيران ، إيثاراً لسياسة العزلة ، وتمشياً مع قراره القاضي بعدم التصديق على معاهدة فرساي والاكتفاء باعتبار الحرب بين أمريكا وألمانيا منتهية .

ولدى استئناف مفاوضات الصلح مع الدولة العثمانية ، تم إعداد معاهدة « سيفر » التي وقعها ممثلو الحلفاء ومن بينهم افيديس اهارونيان نيابة عن جمهورية أرمينية التي اعتبروها

أخيراً منهم ، كما وقعها ممثل الدولة العثمانية وذلك في ٢٠ آب . وقد تضمنت هذه المعاهدة تنازل العثمانيين عن كل البلاد العربية التي كانوا يحكمونها في آسيا ، كما نصت المادة ٨٨ من هذه المعاهدة على اعتراف الدولة العثمانية رسمياً بأن أرمينية دولة حرة مستقلة ، كذلك نصت المادة ٩٠ على أن أرمينية ودول الحلفاء والدولة العثمانية عينت الرئيس الأمريكي ولسن محكماً لرسم الحدود بين أرمينية والدولة العثمانية في ولايات وان وبدليس وطرابيزيون وأرضروم ، وتركت المادة ٩٢ لجمهورية أرمينية رسم حدودها مع جمهوريتي أذربيجان وجورجيا . كما أنه في نفس يوم توقيع المعاهدة المذكورة ، عقدت جمهورية أرمينية مع جمهورية روسيا ، اتفاقية تفليس التي تضمنت وعد الأخيرة بالاعتراف بها رسمياً ووقف القتال بين قواتهما الذي كان بسبب دخول القوات الروسية إلى إقليم قره باخ وزنجزور وناخشيغان ، وبمعاهدة « سيفر » واتفاقية « تفليس » بلغت جمهورية أرمينية ذروة النجاح السياسي .

وفي ٢٢ تشرين الأول ١٩٢٠ ، أتم الرئيس الأمريكي مهمته ، وأصدر قراره الذي أعطى بموجبه أرمينية مساحة من الأرض في شمال شرق الأناضول تبلغ مائة ألف كم٢ ، شملت معظم الولايات الثلاثة ، وان ، بدليس ، وأرضروم ، وذلك استناداً إلى أن أغلبية مطلقة من الأرمن كانت تسكنها قبل الحرب العالمية الأولى ، كما شملت هذه المساحة ، جزءاً من ولاية طرابيزون ، كي تطل أرمينية على البحر الأسود . غير أن هذا القرار لم ينفذ لأن الأراضي المذكورة لم تكن تحت سيطرة دول الحلفاء ولا تحت سيطرة الدولة العثمانية ، بل كانت خاضعة لسيطرة الحركة الوطنية التركية الكمالية بزعامة مصطفى كمال باشا ، وهي الحركة التي تمكنت فيما بعد من القضاء على السلطنة العثمانية ، وأقامت الدولة التركية الحديثة ، وأبرمت في ٢٤ تموز ١٩٢٣ مع دول الحلفاء معاهدة « لوزان » التي حلت محل معاهدة « سيفر » ، والتي أقرت بالتنازل عن البلاد العربية ، ولم تتضمن أية مادة أو إشارة إلى أرمينية .

غير أن دول الحلفاء شجعت أرمينية الطاشناقية ، معنوياً وليس مادياً ، على مهاجمة أملاك حكومة تركيا الوطنية في الشرق ، لتأخذ منها بالقوة ، الأراضي الأرمنية الخاضعة لسيطرتها ، فشن الأرمن حرب عصابات على طول هذه الحدود . لكن القوات التركية

المتفوقة عدة وعدداً ، قامت في ٢٨ أيلول بهجوم عام على أراضي جمهورية أرمينية ، فاحتلت عدة مناطق وأقامت بها مذابح جديدة ، مما اضطر الحكومة الأرمنية إلى طلب عقد الصلح ، وإثر استقالة هذه الحكومة ، شكل سيمون فراطسيان حكومة في جديدة في ٢٣ تشرين الثاني ، وبدأت مفاوضات الصلح في ٢٩ منه وتم إبرامه وكذلك إبرام معاهدة اسكندربول وهي المعاهدة التي لم تنشر ولم يصدق عليها . وبعد استفتاء أجرته السلطات التركية استناداً إلى المعاهدة المذكورة ، وهو استفتاء تحكمت به وفق إرادتها أصبحت الحدود الأرمنية التركية تقريباً على ما هي عليه حالياً .

وفي ٢٩ تشرين ثاني عام ١٩٢٠ تمكن الحزب الشيوعي الأرمني من إسقاط الحكومة الطاشناقية ، واستولى على السلطة في جمهورية أرمينية ، وأعلنها جمهورية إشتراكية سوفييتية ، وقد اعتبر هذا اليوم عيداً للاستقلال الوطني .. وكان أول رئيس للحكومة السوفييتية هو سركيس كاسيان .

وفي ٤ كانون أول عام ١٩٢٠ أنذرت الحكومة الروسية السوفييتية الحكومة التركية الوطنية بوقف زحف قواتها على أرمينية ، وفي ذات اليوم دخل الجيش الأحمر السوفييتي الحادي عشر إلى يريفان عاصمتها ، لتقديم المساعدة إلى حكومتها الجديدة ، ولحماية أرمينية من الزحف التركي عليها .. وذلك بناء على طلبها ، إذ كانت الحرب التركية الأرمنية لم تزل ناشبة عند قيام هذه الحكومة الجديدة ، وكانت القوات التركية الوطنية تسيطر على بعض أراضي جمهورية أرمينية رغم إبرام ممثلي حكومة أرمنية الطاشناقية بعد سقوطها ، مع ممثلي الحكومة التركية الوطنية ، معاهدة للصلح في يوم ٢ كانون أول عام ١٩٢٠ ، في اسكندربول ..

وفي ١٨ شباط عام ١٩٢١ قام الطاشناقيون بانقلاب مضاد واستولوا مؤقتاً على العاصمة يريغان ، وأقاموا بها حكومة طاشناقية جديدة برئاسة سيمون فراطسيان ، حاولت عبثاً الحصول على مساعدة دول الحلفاء بواسطة مندوبيها أفيديس أهارونيان ، وبوغوص نوبار باشا . إلى مؤتمر هذه الدول المنعقد في لندن في المدة من ٢١ شباط إلى ١٢ آذار عام ١٩٢١ .. ولكن قوات حكومة أرمينية السوفييتية بمساعدة قوات الجيش الأحمر السوفييتي الحادي عشري عشر ، تمكنت من قمع حركتهم ، واستردت منهم العاصمة يريغان في ٢

نيســان عام ١٩٢١ ، حيث نصبت حكومة أرمنيــة سوفييتية جديدة برئاســة اسكندر ميـاسينكيـان .. فصــارت جمهوريات ما وراء القوقاز الثـلاثة .. أذربيجان ، جورجيا ، أرمينية ، كلها جمهوريات اشتراكية سوفييتية .. وفر الطاشناقيون إلى منطقة زنجزور الجبلية في جنوب شرق أرمينية ، حيث حاولوا إقامة جمهورية لرناهايستان .. غير أنه تم القضاء عليها في تموز عام ١٩٢١ ، فهربت فلولهم إلى إيران ..

وفي هذه الأثناء تفاوضت الحكومة الروسية السوفييتية مع الحكومة التركية الوطنية الكمالية ، وأبرمت معها في موسكو يوم ١٦ آذار عام ١٩٢١ معاهدة للصداقة والتعاون تضمنت تعديل الحدود التي رسمتها معاهدتا باطوم ، واسكندربول .. وكان أهم ما تناولته إعطاء اقليم باطوم إلى جورجيا ، وإعطاء اقليم اسكندربول إلى أرمينية ، أي أن التعديل كان لصالح جورجياوأرمينية ، كما تضمنت اعتراف تركيا الوطنية بإقامة السلطة السوفييتية في اقليم ناخشيفـان ، وسيـادة أذربيجان عليه .. وبناء على ذلك انسحبت القوات التركية الوطنيـة من باطوم في ١٨ آذار عام ١٩٢١ . ثم من اسكندربول في ٢٢ نيســان عام ١٩٢١ .

وبعدئذ أقرت ما تضمنتـه معـاهدة موسكو مضمون معـاهدة قارس ، ودعمت جمهـورية أرمينيــة الاشــتراكيـة السـوفييتيـة علاقاتها مع جمهوريتي أذربيجـان وجورجيـا الاشــتراكيتين السوفييتيتين .. بأن عقدت معهما في تفليس في ١٢ آذار عام ١٩٢٢ معاهدة ، تكون منها « اتحاد ما وراء القوقاز » الذي تحول في ١٣ كانون أول إلى « جمهورية ما وراء القوقاز الاشــتراكيـة الفدراليـة السوفييتية » . وفي ٣٠ كانون أول عقدت هذه الجمهورية والجمهوريات الاشــتراكيـة السـوفييتية الثلاثة الأخرى القائمة عندئذ ، وهي جمهورية روسيا الاشتراكية الفدرالية السوفييتية ، وجمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفييتية ، وجمهورية روسيـا البيضـاء ، الاشـتراكية السوفييتية معاهدة ، تم بموجبها تأسيس الاتحاد السوفييتي أي « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية » الذي ضمها على قدم المساواة بينها .. وفي ٥ كانون أول عام ١٩٣٦ ، وعند العمل بالدستور السوفييتي الثالث ، حلت جمهورية ما وراء القوقاز الاشتراكية السوفييتية إلى الجمهوريات الثلاث المكونة لها ، وهي : جورجيـا ، أذربيجـان ، وأرمينيـة . ودخلت هذه الجمهوريات الثـلاث رأســاً بصفتهـا

جمهوريات اشتراكية سوفييتية اتحادية في قوام الاتحاد السوفييتي .. ولم يزل هذا هو وضعها الآن حتى بعد العمل منذ يوم ١٧ تشرين أول عام ١٩٧٧ بالدستور السوفييتي الرابع الحالي ..

وتحسنت علاقات جمهورية أرمينيا الاشتراكية السوفييتية مع تركيا وفق معاهدة قارس ومع إيران وفق معاهدة موسكو التي أبرمت في ٢١ شباط ١٩٢١ ، والتي بموجبها تخلت روسيا السوفييتية عن كل أطماع وامتيازات روسيا القيصرية في إيران .

وفي ٢٣ كانون الثاني ١٩٣٢ ، أبرمت تركيا مع إيران اتفاقية تنازلت بموجبها الأخيرة عن لسان من الأرض يحوي جبل أرارات الصغير ، فصار هو وجبل أرارات الكبير ، وهما رمز أرمينية كائنين ضمن الأراضي التركية ، كما وصلت الحدود التركية شرقاً إلى حدود جمهورية ناخشيغان ذات الحكم الذاتي .

وبذلك أصبحت أرمينية قاصرة على أراضيها الحالية ، حسب تحديدها بمعاهدة قارس المبرمة مع تركيا في ١٣ تشرين الأول ١٩٢١ ، وبموجب معاهدة موسكو المبرمة في ٢٦ شباط ١٩٢١ مع إيران ، وبموجب معاهدة دخولها في اتحاد ما وراء القوقاز المؤرخة في ١٢ آذار ١٩٢٢ المبرمة في تفليس مع جورجيا وأذربيجان . وتبلغ مساحة هذه الأراضي قرابة ٣٠ ألف كم^2 فقط .

ثم أبرم الاتحاد السوفييتي باعتباره ممثلاً لأرمينية معاهدة باريس لعدم الاعتداء مع تركيا في ١٧ كانون الأول ١٩٢٥ ، وقد انتهت هذه المعاهدة في عام ١٩٤٥ .

ومنذ عام ١٩٢١ لم تقع حروب أو اضطرابات ، أو منازعات اقليمية تعطل التطور السلمي لجمهورية أرمينية الاشتراكية السوفييتية طوال عشرين عاماً حتى يوم ٢٢ حزيران عام ١٩٤١ ، حين هاجمت ألمانيا الفاشية الاتحاد السوفييتي .

ولم تصل القوات الألمانية إلى حدود أرمينية الاشتراكية السوفييتية في هجومها المذكور ، ولا في هجومها عليه الذي عاودته في صيف عام ١٩٤٢ ، ورغم أنها في هجومها الثاني تغلغلت في اقليم القوقاز .. غير أنها لم تستطع عبور سلسلة جبال القوقاز الكبرى إلى ما ورائها .. وقد اشترك الأرمن بكل حماس في هذه الحرب الوطنية الكبرى

دفاعاً عن وطنهم حتى نهايتها المظفرة في ٨ أيار عام ١٩٤٥ .. ولم تجد ألمانيا الفاشية من يؤيدها من الأرمن ، سواء في الاتحاد السوفييتي ، أو في بلدان أوروبا التي احتلتها . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، أثار الاتحاد السوفييتي مسألة مراجعة معاهدتي موسكو وقارس بين جمهوريات روسيا وأرمينية وجورجيا وأذربيجان الاشتراكية السوفييتية ، وبين تركيا ، خاصة فيما يتعلق بأقاليم قارس ، وأولطي ، وقاغزمان ، وصورمالو ، وأردهان ، وأرتفين الأرمنية والكرجية التي كانت من أملاك روسيا القيصرية قبل الحرب العالمية الأولى .. وكان بدء إثارة الاتحاد السوفييتي لهذه المسألة في مؤتمر القمة في بوتسدام بألمانيا المنعقد في المدة من ١٧ تموز عام ١٩٤٥ إلى ٢ آب عام ١٩٤٥ بين ستالين وترومان ، وتشرشل ..

وقد طالب الاتحاد السوفييتي بهذه الأقاليم ، وأيد هذه المطالبة كيفورك السادس جاثليق الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية باتشمياتزين ، والأرمن في كل مكان .. حتى المقيمين منهم في أمريكا ، وشنت للدعاية لهذه المطالبة حملة في الصحف السوفييتية وخاصة الأرمنية والكرجية .. كما شنت حملة مضادة لها في الصحف التركية ..

وأخيراً سويت هذه المسألة بالمذكرة السوفييتية لتركيا المؤرخة في ٣٠ أيار عام ١٩٥٣ التي ذكر فيها الاتحاد السوفييتي أن جمهوريتي أرمينية وجورجيا قد فضلتا التخلي عن مطالبهما الاقليمية هذه ، حفاظاً على إقامة علاقات حسن الجوار مع تركيا .. كما أنه تمت في يوم ٣٠ تموز عام ١٩٥٣ تسوية مطالبة تركيا بإعطائها نصيب من مياه سد أغذير الذي بنته جمهورية أرمينية الاشتراكية السوفييتية على نهر الرس على حدودها مع تركيا في عام ١٩٢٧ ، لري بعض أراضيها وبعض الأراضي التركية ..

وأما التطور الداخلي لجمهورية أرمينية الاشتراكية السوفييتية فقد شمل جميع المجالات الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ..

ففي المجالين الاقتصادي والاجتماعي ، تم القضاء على التخلف المتمثل في الفقر والجهل ، وإصلاح التخريب الذي أحدثته الحروب المستمرة ، والنهوض بهذه البلاد وتصنيعها ، وتطويرها .. وذلك بإقامة العديد من المصانع على أحدث طراز وبزيادة رقعة الأراضي الزراعية ، وتوسيع شبكة ريها ، وتحسين وسائل الزراعة بضم مجهودات الفلاحين

الفردية ، وباستعمال الآلات الحديثة ، وكل ذلك حتى يزيد الإنتاج الصناعي الزراعي ، ويرتفع المستوى المادي للشعب ، وفي نفس الوقت بتثقيفه وتعليمه لكي يتمكن من تسيير الأجهزة الحديثة لهذا الإنتاج ، وليرتفع مستواه الفكري أيضاً فيستطيع أن يلحق بالشعوب المتقدمة ويسايرها ويسهم في الإنتاج الفكري العلمي والأدبي العالمي ، ويفيد منه ..

وقد بدأ تطوير الزراعة بتأميم الأراضي وجعلها ملكاً للدولة ، وتوزيع الزراعية منها على الفلاحين لزراعتها ، حيث تم توزيع مليون ونصف هكتار في خلال ثلاثة أعوام .. وأمدت الحكومة الفلاحين بالقروض والخبرات والأدوات والأسمدة .. ومنذ عام ١٩٣٠ بدأ تنظيم المزارع الجماعية التعاونية الكبيرة ، والمزارع الحكومية لتنظيم الإنتاج الزراعي ، ولاستعمال الآلات والوسائل الحديثة فيه ...

كما جرى تطوير الإنتاج الزراعي بإقامة السدود على الأنهار ، ومنها سد أغدير على نهر الرس في عام ١٩٢٧ ، وشق القنوات للاستعانة بمياه الأنهار ، ومياه بحيرة سيفان العذبة في ري الأراضي الزراعية وإصلاح الأراضي البور القابلة للزراعة ، حتى أصبحت جميعها مستصلحة واستثمرت وهي تمثل ١٤٪ من مساحة الجمهورية ، بزيادة هذا الإنتاج وتحسين نوعيته باستعمال الأساليب العلمية الحديثة ..

وتم إنتاج أصناف جديدة محسنة من المحاصيل الزراعية ، وتخصصت في زراعة القطن ، والفواكه ، والكروم ، والخضر ، والدخان ، وفي تربية الماشية والدواجن ، ودود القز ، وفي صناعة كل ما يصنع من هذه المحاصيل الزراعية والحيوانية مثل الأقمشة القطنية والحريرية ، والصوفية ، وغزلها ، والخمور ، والأطعمة المحفوظة ، ومنتجات الجلود ، وظهر فيها ريف جديد يقيم فلاحوه في بيوت عصرية ، ويستعملون ما يزيد على ١٥٠ ألف محراث آلي ، وألفي آلة للحصاد ، وخمسة عشر ألف سيارة نقل .. وتضم أرمينية اليوم أكثر من ألف قناة للري ..

وبدأ تطوير الصناعة في أرمينية منذ عام ١٩٢١ ، وقد وصل مستوى الإنتاج الصناعي فيها في عام ١٩٢٨ إلى مستواه قبل الحرب العالمية الأولى ، ثم وصل عام ١٩٤٠ إلى تسعة أضعاف ذلك ، وخلال الحرب العالمية الثانية أنشئت صناعات جديدة في أرمينية

ولبعدها عن جبهة القتال ، فصارت منذ ذلك الحين بلاداً صناعية تقدمت إلى الأمام حتى زاد في عام ١٩٧٥ مستوى إنتاجها الصناعي ٢٥٠ ضعفاً عما كان عليه عام ١٩١٣ .

وتخصصت في صناعات المعادن الخفيفة ، والصناعات الكيماوية ، والصناعات الكهربائية ، والصناعات الدقيقة ، لأن صناعة المعادن الخفيفة تعتمد على المواد الأولية ، مثل النحاس ، والألمنيوم ، والذهب ، والفضة ، والتي يجري البحث والتنقيب عنها بكل نشاط في مناجمها ، وأهم مصانع هذه الصناعة مجمع رازدان الكبير .. كذلك تعتمد الصناعات الكيماوية على المعادن النادرة والطاقة الكهربائية المتوافرة ، ومن هذه الصناعات .. المطاط الصناعي .. والحرير الصناعي .. وصناعة توليد الكهرباء ، وأهمها مجموعة توليدها الستة التي افتتحت على نهر رزدان الذي ينبع من بحيرة سيفان معتمدة على مساقط مياهه ويبلغ إنتاجها ٨٠٠ ألف كيلووات / ساعة ، ثم محطة توليد الطاقة الذرية الجديدة البالغ إنتاجها مثل ذلك .. كما يجري توليد واستخدام الطاقة الشمسية ، لأن أرمينية هي بلاد الشمس الساطعة ، والسماء الصافية ..

أما الصناعات الدقيقة ومنها صناعة الساعات فتعتمد على مهارة الأرمن أنفسهم ، وكذلك تنتشر في أرمينية الصناعات الثقيلة كصناعة السيارات والأجهزة الكهربائية والالكترونية ، والصناعات الخفيفة أيضاً ، مثل صناعة الأقمشة والسجاد (ومنه أصناف تقليدية مشهورة مثل الكازاك) ، ومن أكبر مراكز هذه الصناعات الدقيقة ، والثقيلة ، والخفيفة (يريفان) العاصمة .. وتصدر الآن أرمينية منتجاتها إلى سائر الاتحاد السوفييتي .. وكذلك إلى بلدان كثيرة في العالم حاملة عبارة « صنع في أرمينية » ..

وتضم البلاد حالياً أكثر من ٧٠٠ مؤسسة صناعية ..

ومن المشروعات التي نفذت وتنفذ فيها توسيع وتجديد المدن ، وبناء مدن جديدة ، مع المحافظة على الطابع الأرمني الخاص الذي تستعمل فيه الأحجار الملونة التي تستخرج من الجبال ، مثل الطوف ، والبازلت ، والجرانيت .. وقد جملت وجددت العاصمة « يريفان » طبقاً لخطة وضعها المهندس الأرمني اسكندر طمانيان نائب رئيس أكاديمية الفنون الروسية السوفييتية عام ١٩٢٤ .. حتى صارت واجهتها على العالم ، وضمت مطاراً

دولياً حديثاً .. كذلك فتح خط المترو الممتد تحت الأرض فيها في ٢٩ تشرين ثاني عام ١٩٨٠ .. ومن المدن الجديدة التي بنيت (أبوفيان ــ شارنتس) المنسوبتان للكاتبين الأرمنيين المعروفين أبوفيان وشارنتس ولوسفان أي مدينة النور ، في شمال يريفان .

وفي مجالات التعليم والثقافة ، والعلم ، والأدب ، والفن ، والموسيقى ، تمكنت جمهورية أرمينية الاشتراكية من محو الأمية في عام ١٩٣٩ .

وأنشئت فيها جامعات ومدارس جديدة ذات برامج حديثة ، وغني عن البيان أن التعليم فيها وفي جميع مراحله مجاني وإلزامي طوال مدة عشر سنوات دراسية ، وقد تأسست في أرمينية في ١٧ كانون أول ١٩٢٠ جامعة يريفان الشعبية التي أعيدت تسميتها بجامعة الدولة في عام ١٩٢١ ، وهي أول مؤسسة عالية غير دينية .. وقد بلغت مستوى عال جداً الآن . وتضم خمس عشرة كلية لمختلف التخصصات التي تمثل العلوم الطبيعية ، والاجتماعية ، والأدبية ، والطب ، بالإضافة إلى ثلاث كليات خاصة إحداها لإعداد الطلبة الأجانب ، وبعضهم دائماً من العرب ، للدراسة فيها .. وبجانب الجامعة ، توجد المعاهد الفنية العالية .. وقد ركزت بعض هذه الكليات والمعاهد على دراسة اللغة الأرمنية وأدبها ، وتاريخ أرمينية وحضارتها وثقافتها ، ونشر كتب التراث الأرمني القديمة ودراستها .. فصارت يريغان هي المركز الرئيسي لذلك في كل العالم ..

كما ركز على الاستشراق بما فيه دراسة الشؤون العربية البعض الآخر من هذه الكليات والمعاهد العالية .. وقسم من الأكاديمية العلمية الأرمنية .. وقد بدأت في عام ١٩٣٥ بصفتها فرعاً للأكاديمية العلمية للاتحاد السوفييتي ثم استقلت عنها في عام ١٩٤٣ . ومن مطبوعاتها الهامة « تاريخ الشعب الأرمني » لمجموعة من المؤرخين الأرمن في ثمانية أجزاء ، وهو أوسع وأكبر مؤلف في بابه ، وبدأ طبعه في يريفان عام ١٩٥١ .. كما توجد في أرمينية دور للنشر أهمها « دار نشر هايستان » التي تنشر الكتب ، والتي بلغ مؤخراً مجموع ما ينشر من نسخها عشرة ملايين سنوياً .. كما بلغ مؤخراً مجموع ما ينشر من نسخ الصحف والمجلات والنشرات ٣٦٠ مليون نسخة سنوياً ، وهي باللغتين الأرمنية والروسية وغيرهما .. كما أن هذه الدار بدأت تصدر تباعاً « دائرة المعارف الأرمنية » باللغة الأرمنية ، فظهرت بعض مجلداتها ، ولكنها لم تكتمل بعد .. وكذلك تأسس في أرمينية الكثير من

المكتبات العامة ، وقصور الثقافة ، وقد بلغ عددها ١٣٢٢ وجملة رصيد كتبها ١٢ مليون كتاب ..

وظهر في أرمينية كثير من المثقفين الأرمن في مختلف التخصصات بعضهم من خريجي الجامعة والمعاهد العالية .. فسدوا حاجات بلادهم ، ونال بعضهم شهرة عالمية ، ومن هؤلاء العلماء الفلكي (فكتور هامبارتسوميان) رئيس الأكاديمية العلمية الأرمنية ، ومدير مرصد بيوار كان العالمي الذي أقيم في عام ١٩٤٦ ، والفيزيائي أرديم أليخانيان ، والرياضي سرجي مرجليان الذي حاز على الدكتوراه في سن العشرين .. ومن المهندسين المعماري اسكندر طامانيان مخطط ومجدد مدينة يريفان .. والمهندس المعماري مندويانتس مصمم قصر المؤتمرات بالكرملين في موسكو ، وقد تم بناؤه في عام ١٩٦١ .. ومصمم الطائرات من طراز مج وأرديم ميكوبان .. ومن الأطباء ليفون أوربلي مدير معهد بافلوف في موسكو .. ومن الأدباء الشاعر هوفانتس طومانيان شاعر أرمينية الوطني .. والشاعر أفيديك اسحقيان مؤلف القصيدة المعروفة عن شاعرنا وفيلسوفنا العربي أبي العلاء المعري التي ترجمت إلى كثير من اللغات ضمنها العربية . والشاعر المناضل يفيشيه شانتس ، والأديب مانوك أبفيان المتخصص في تاريخ الأدب الأرمني .. ومن المؤرخين هاجوب مانديان ، ومجردتش نرسيسان .. ومن الأثريين يوسف أوربلي المدير السابق لمتحف الأرميتاج العالمي في لينِنغراد .. ومن الفنانين الموسيقاران الأشهران اسكندر سبندياريان وآرام خاشادوريان ذو الشهرة العالمية ومؤلف العديد من الألحان ، والموسيقار ميخائيل تريان ، ومغنيات الأوبرا لوسين زخاريان ، وكوهير كاسباريان ، وتمارا بتروسيان ، والمخرج السينمائي هوموبك نزاريان ، والرسام مارتيروس ساريان مصمم شعار الجمهورية ، والرسام هاجوب كوجيان ، والمثّال ارفند كوشار صانع تمثال البطل الشعبي داود الصاسوني ، والمثّال أردو كوشار شاكاجيان ضانع نصب هيروشيما الضخم ..

ونسبة من يدرسون بالمعاهد العالية في أرمينية عالية جداً ، وكذلك تبلغ نسبة الأطباء ثمانية وثلاثون لكل عشرة آلاف ، وهي أعلى نسب في العالم .. وكذلك يعمل أكثر من ١٧ ألف عالم بنجاح في معاهد الأبحاث والمختبرات ، ومؤسسات التعليم العالي ..

وفي مجال السياحة أصبحت أرمينية مركزاً من مراكزها العالمية .. فهي تحوي مطاراً دولياً جرى تجديده في عاصمتها يريفان ..

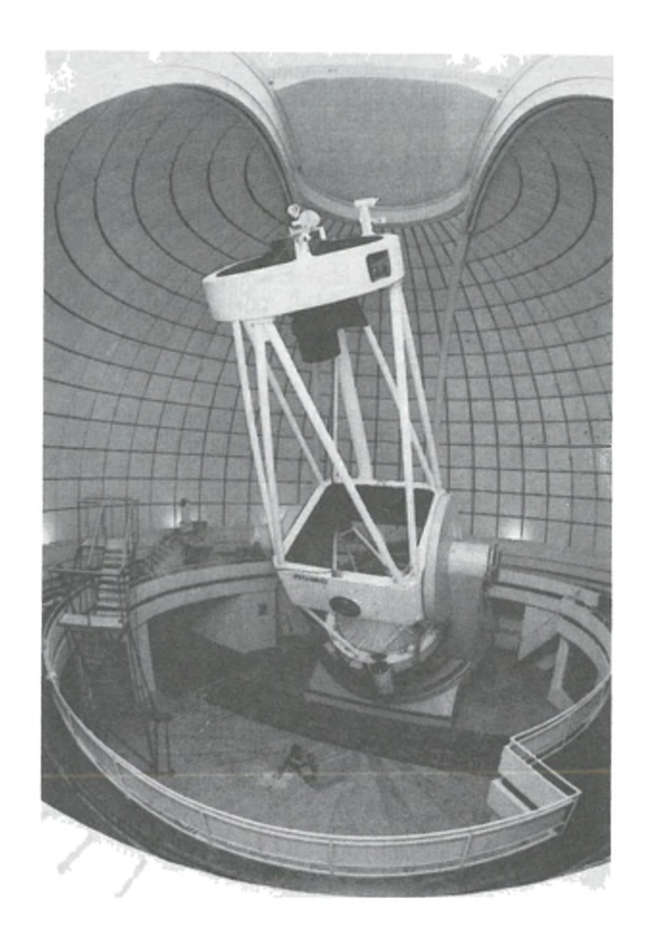
كما أنها تعتبر متحفاً حياً مكشوفاً يعج بالآثار الأرمنية القديمة في كارني وفي اتشمياتزين وفي غيرهما .. وتملأ مدنها وأريافها الفنادق والمنتجعات السياحية ، ويفد إليها السائحون وخاصة من الأرمن المغتربين الذين يحجون إليها لمشاهدة هذه الآثار ، ومناظرها الجبلية الجميلة ولؤلؤتها أو زمردتها الزرقاء بحيرة سيفان .. وعاصمتها يريفان التي أعيد تخطيطها وتحوي المتاحف التاريخية والفنية ، ومكتبة ماتداران التي تضم كنوز المخطوطات الأرمنية القديمة ، وتحمل اسم القديس مسروب مشطوطس ، والمكتبة العامة التي تحمل اسم اسكندر مياسينيكان ، والمسرح الذي يحمل اسم جبرائيل صندوقيان ، ودار الأوبرا التي تحمل اسم الموسيقار سبندياريان ، والميادين والحدائق العامة والبحيرات الصناعية ، والنصب التذكارية الضخمة ، وهي نصب ذكرى الشهداء الأرمن في مذابح عام ١٩١٥ ، ونصب أرمينية الأم .. وتماثيل مشاهير الأرمن وبيوتهم ومعرض الإنجازات الاقتصادية ..

وأخيراً إن هذا التقدم الجبار في كل المجالات حققه شعب أرمينية في فترة قصيرة ، لا بل بسرعة خيالية ، وذلك بفضل موهبته ونبوغه ، وعبقريته .. فاستحق كل تقدير ..

وفي مستهل عهد الرئيس غورباتشوف الذي أطلق الغلاسنوست أو البيروسترويكا ، اتخذ برلمان أرمينية في الثالث والعشرين من آب عام ١٩٩٠ ، قرار استقلال الجمهورية عن الاتحاد السوفييتي ، معلناً بذلك ، بداية مسيرة جديدة نحو الحرية .



مطار ومرصد يريفان





مدينة الشباب



جامعة يريفان

الفصل السّابع عشر

أرْمَنْ الشَّـــتَاتْ

كادت مسألة الهجرة والتهجير ، أن تلازم الشعب الأرمني ، على مدى تاريخه المليء بالمـآسي والنكبـات ، وإذا كان التهجير ينجم عن أسباب قسرية ، كالحروب والغزوات وحملات الترحيل والإبادة الجماعية ، فالهجرة التي باتت مألوفة لدى الأرمن ، تتأتى عن الظلم والفقر وسوء الأحوال المعيشية ، وكل ما ذكر ، ينسحب على هذا الشعب الذي لم يعرف طعم الاستقرار ، ورغد الحياة ، إلا بعد الربع الأول من هذا القرن .

ونتيجـة للهجرة والتهجير ، يعيش الآن في مختلف أنحاء العالم ، أكثر من مليوني أرمني ، يعرفون بالسيبورك ، أو الدياسبورا ، أو الشتات . وهذا الرقم التقديري ، لا يشمل بطبيعة الحال ، الأرمن المقيمين في جمهورية أرمينية ، وسائر جمهوريات الاتحاد السوفييتي .

ومن المعروف ، أن هجرة الأرمن الكـبرى ، حدثت عقب مذابح ١٩١٥ ، عن طريق البر والبحر ، إلى كل من سورية ولبنان ، وبحكم موقعها الجغرافي ، ومنهما إلى عدد من الدول العربية الأخرى ، ومن هذه الدول حدثت فيما بعد هجرات أخرى ، إلى أوروبة والأمريكتين ، وأسـترالية ، وبعض الدول الأفريقية ، وقد اكتسب المهاجرون الأرمن إلى

الدول العربية ، جنسية هذه الدول ، بموجب معاهدة لوزان ، فأصبحوا في عداد مواطنيها ، وعرفوا بسلوكهم الصالح ، وأصابوا نجاحات كبيرة في مختلف مناحي الحياة ، وحافظوا على لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، بما لا يتعارض والقوانين ، ونظراً لتضامنهم مع الوطن الأم ، وبقائهم على الاتصال الدائم معه ، عاد إلى أرض الوطن منذ أواخر الأربعينيات قرابة الربع مليون أرمني من مختلف أنحاء العالم .

وقبل الحديث عن الهجرة المعاصرة ، تجدر الإشارة إلى الهجرات القديمة لكل من سورية ولبنان ، والتي تعود إلى العهود الغابرة من التاريخ ، وسنبدأ بسورية التي شهدت أول نزوح للأرمن إلى أنطاكية وأورفة ، عام ٥٣٩ ، بسبب الهزيمة التي مني بها الروم على يد الفرس ، وبين أعوام ٧١٧ إلى ٧٢٨ ، حدثت هجرة ثانية ، جراء استيلاء الفرس على أرمينية ، وذلك في عهد البطريرك أوهانس الملقب بالفيلسوف ، وحدثت هجرة ثالثة بين أعوام ٩٣٧ إلى ٩٩٢★ ، وجاءت الهجرة الرابعة في العام ١٠٦٤ بعد سقوط العاصمة « آني » بيد السلاجقة ، وفي عام ١٨٩٥ هاجر عدد كبير من الأرمن إثر المذابح التي تعرضوات لها في الدولة العثمانية .

أما الهجرة الكبرى ، فقد بدأت كما نوهنا ، في العام ١٩١٥ ، مع وصول قوافل المهاجرين إلى دير الزور والقامشلي ورأس العين والحسكة وحمص ودمشق ، وفي عام ١٩٣٩ ، حدثت آخر موجة للهجرة ، حين توافد إلى سورية ولبنان ، حوالي خمسة عشر ألف أرمني من لواء اسكندرون ، إثر تنازل فرنسا عنه إلى تركيا .

وبحكم قرب حلب من الحدود التركية ، فقد تمركز فيها العدد الأكبر من الأرمن ، وتوزعوا على عدد من أحيائها ، إضافة إلى حي السليمانية المرتبط بهم ، وكذلك حي الميدان . أما في دمشق فقد أقاموا بادئ الأمر ، ما يشبه المعسكرات في القدم وباب شرقي والزبلطاني التي عرفت « بالكامب » ، ثم توزعوا بعد تحسن أحوالهم المادية على أحياء دمشق المعروفة مثل القصاع ، والقصور ، والمزرعة ، والصالحية ، والشعلان .

استقبال الرئيس حافظ الأسد في مطار يريفان



زيارة الرئيس الأسد إلى مصنع الإلكترونيات



الرئيس الأسد لدى زيارته متحف المخطوطات القديمة

أما من الناحية الاجتماعية ، فقد انخرط الأرمن في الحياة العامة ، بسرعة كبيرة ، نتيجة تعاطف شعب سورية معهم ، ورعايته وتقديم المساعدة لهم ، فأقاموا العديد من الصناعات المختلفة ، بين متوسطة ودقيقة ، مثل صناعة النسيج ، والميكانيك ، وهياكل السيارات ، والآلات الزراعية ، والبرادات والمفروشات المعدنية ، وفي مجال الصناعات الدقيقة ، اشتهروا بحرفة ، الذهب والمجوهرات ، والعدسات الطبية والنظارات ، والخياطة والجلديات ، وعلى الرغم من اضطرارهم بادئ الأمر إلى الانصراف إلى العمل ، بهدف تأمين قوتهم اليومي وتحسين أحوالهم المتردية ، فقد أشادوا المدارس ، والمطابع والنوادي والكنائس والجمعيات الخيرية والصحية والثقافية ، وأصدروا الصحف والمجلات مثل : سورية ، الشروق من الشمال « هوسيس أيك » ، الفرات « يبرد » ، نائيري ، إلى الوطن « تيبي يركيد » .

وفي مجال العلم طرق الأرمن ميدانه بكل همة ونشاط ، إذ قلما نجد اليوم أمياً واحداً ، في الأجيال الجديدة ، وفي إحصائيات جديدة ، تجاوز عدد الأطباء الأرمن في سورية المائة ، كما تجاوز عدد الصيادلة الخمسين . أما الاختصاصات الأخرى كالهندسة على مختلف فروعها ، فهم بالمئات ، كذلك ، بلغ عدد المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية في مختلف أنحاء سورية حوالي ستين مدرسة ، وتجاوز عدد الجمعيات الاجتماعية العشرين جمعية ، وبلغ عدد النوادي حوالي العشرة .

وهكذا ، نجد أن الأرمن كانوا وما زالوا ، مثال المواطن الصالح ، في بلد قدم لهم كل الرعاية ، فحفظوا العرفان ، وبادلوا الجميل بالمثل ، وجسدوا الوفاء بأسمى معانيه وصوره .

وحين الحديث عن هذه الصور ، والعلاقات الحميمة بين الأرمن والعرب ، عامة ، وسورية خاصة ، لا بد من التطرف باعتزاز ، إلى الزيارة التاريخية التي قام بها السيد الرئيس حافظ الأسد ، رئيس الجمهورية العربية السورية ، إلى جمهورية أرمينية ، ظهر يوم الأربعاء الواقع في ١٧ تشرين الأول من عام ١٩٧٩ ، بعد أن اختتم زيارة ودية إلى موسكو .

وقد قوبلت زيارة السيد الرئيس إلى يريفان ، بحفاوة بالغة ، وجرى لسيادته استقبال رسمي وشعبي حافل ، حيث كان على رأس مستقبليه القيادة الحزبية والسياسية في أرمينية ،

كما قدمت لسيادته مجموعة من الأطفال باقات الورد ، ثم قدمت له مجموعة من الفتيات الأرمنيات الخبز والملح ، تعبيراً عن مشاعر الود والحب والصداقة ، وهذا تقليد يخص به الأرمن كبار الزوار .

وبعد وصول السيد الرئيس إلى يريفان ، عقد جلسة مباحثات مع قادة جمهورية أرمينية ، حيث ألقى السيد ديمرتشيان سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي آنذاك ، كلمة رحب فيها بالسيد الرئيس حافظ الأسد ترحيباً حاراً ، وردّ السيد الرئيس بكلمة شكر فيها قادة الجمهورية على حفاوتهم . وخلال مأدبة العشاء التي أقيمت على شرف سيادة الرئيس ، ألقى سيادته كلمة نقتطف منها ما يلي :

« نحن سعداء بزيارتنا الأولى لجمهورية أرمينية الاشتراكية السوفييتية .. ولا شك أنها مصادفة جميلة أن يكون وصولنا إلى يريفان عاصمة جمهوريتكم ، بنفس اليوم الذي تحتفلون فيه بمرور ٢٧٦١ عاماً ، على تأسس هذه المدينة الجميلة ، والتي تعتبر كما عرفت اليوم ، واحدة من عشر مدن في العالم ، تحمل شهادة ميلاد تشير إلى تاريخ تأسيسها .

إن ما شاهدناه اليوم في متحف المخطوطات القديمة في مدينة يريفان لدليل على الاتصال التاريخي والحضاري والتبادل العلمي والثقافي بين شعبنا وشعبكم ، وأن لدينا فكرة واضحة عن تطوركم ونضالكم عبر التاريخ ، ولا شك في أنكم من خلال ذلك كله تستحقون التقدير والاحترام .

لقد كان شعبكم دائماً يتميز بالحيوية والنشاط والجهد ، من أجل بناء أفضل ، سواء كان ذلك خلال وطنكم أم خارجه ، ويسرني أن يكون كثيرون من أبناء هذه الجمهورية قد أمضوا فترة من الزمن في سورية عندما عادوا إلى هنا ، تركوا وراءهم سمعة جيدة ، وكانوا مخلصين في جهدهم ، وأوفياء في علاقاتهم ، وتجدر الإشارة إلى أنه من بين الروابط العديدة القائمة بيننا ، فإن الروابط العائلية قائمة بين الكثير من العائلات في سورية ، وأرمينية ، وهي تشكل رابطة إنسانية هامة .

ويسعدني أن أشير إلى أن المواطنين في بلادنا من الأرمن السوريين ، يساهمون

بشكل جيد وبحماسة ، في بناء البلاد ، ويشتركون مع سائر أبناء الشعب ، في الدفاع الشجاع عن حريتها وحدودها » .

وخلال هذه الزيارة ، قام السيد الرئيس حافظ الأسد ، بزيارة معهد الأبحاث الالكترونية في يريفان ، وسجل في ختام الزيارة كلمة أشاد فيها بما شاهده من إنتاج يوفر الكثير من جهود الإنسان في مختلف مجالات الحياة ويساعده على المزيد من التقدم نتيجة جهود الباحثين والعلماء . كما زار السيد الرئيس متحف المخطوطات القديمة ، الذي يحتوي على العديد من الكتب والمخطوطات التي تدل على تطور تاريخ الشعب الأرمني ، ومن بينها كتب علمية تدل على اتصال تاريخي وحضاري بين الشعبين الأرمني والعربي ، وعلى التبادل الثقافي والعلمي بينهما .

وقبيل مغادرته يريفان في اليوم الثاني من الزيارة ، قام السيد الرئيس حافظ الأسد بزيارة مصنع المحركات الكهربائية ، واطلع على آلية العمل والمنتجات وأثنى على جهود العمال الذين استقبلوه بحرارة ، وفي ختام زيارته التاريخية إلى جمهورية أرمينية ، قام السيد الرئيس بجولة عامة إلى مدينة يريفان الجميلة ، لمشاهدة أهم معالمها .

وهكذا ، كانت زيارة السيد الرئيس حافظ الأسد إلى أرمينية ، تتويجاً لعلاقات الصداقة المتينة ، والنضال المشترك ، بين شعبين يتطلعان على الدوام إلى المستقبل الأفضل .

أما بالنسبة للهجرة إلى لبنان ، فهي موغلة في القدم ، حيث تعود إلى عهد الملك ديكران الثاني الذي وصل بفتوحاته إلى فينيقيا نفسها ، لكن بعض المؤرخين يعتبر أن الهجرة الفعلية بدأت إلى لبنان في العام ١٢٦٦ ، حين غزا المماليك كيليكيا ، وأمروا بترحيل عشرة آلاف أرمني إلى مصر ، عبر سواحل أنطاكية ولبنان وفلسطين ، وقد تمكن عدد كبير منهم من الهرب واللجوء إلى جبال زغرتا واهدن في لبنان ، وفي عام ١٧٠٠ ، قدمت مجموعة من الرهبان الأرمن الكاثوليك إلى لبنان وأقامت فيه ، ونتيجة المذابح الحميدية ، لجأ المئات من الأرمن إلى لبنان في عام ١٨٩٥ ، ثم تصاعدت عمليات الهجرة في عام ١٩٠٩ ، عن طريق البحر ، وفي عام ١٩١٥ وقعت الهجرة الكبرى حيث لجأ

حوالي ربع مليون أرمني إلى لبنان ، ثم أعقبتها هجرة جديدة في عام ١٩٣٩ ، حينما هاجر عشرة آلاف أرمني إلى بلدة عنجر بمؤازرة من عصبة الأمم .

ونقلاً عن كتاب القس الأرمني اللبناني حنا أحمريان ، من هم الأرمن ، نورد أنه إثر وقوع لبنان تحت سيطرة الحلفاء في عام ١٩١٨ ، شكلت فيه « لجنة الاتحاد الوطني الأرمني » من مختلف الطوائف وحزبي الطاشناق والهنشاق برئاسة الدكتور ملكونيان ، وكان هدفها تحويل اللاجئين الأرمن من البلاد العربية إلى لبنان ، واستقبال الدفعات المتعاقبة منهم ، وكذلك تقديم المساعدة للمتطوعين الأرمن ، الذين كانوا يقاتلون القوات العثمانية في إقليم قليقية ولواء اسكندرون العربي السوري ، وخاصة في مناطق « دورت يول » وجبل موسى وكساب والتي كان يقودها النائب الأرمني السابق في البرلمان العثماني « در كالوستيان » .

وبعد أن رفض المفوض السامي الجنرال الفرنسي « غورو » السماح للأرمن بالتوجه إلى تلك المناطق ، وأصر على بقاء البقية الباقية من الأرمن في تركيا ، عاد وسمح لهم بالتوجه إلى سورية ولبنان ، حيث وصلوا بأعداد كبيرة وحالة مزرية عام ١٩٢٢ ، واستمرت مساعي اللجنة لدى كل من المفوضين العامين لسورية ولبنان ، جورج بيكو وجوفنيل ، لتجميع الأرمن في لبنان ، فأسفرت عن وصول الآلاف منهم في العام ١٩٢٥ .

وكما كان شأنهم في سورية ، كان شأنهم في لبنان ، حيث انخرطوا في الحياة العامة ، وأشادوا النوادي والمدارس والكنائس والجمعيات المختلفة . وانتشروا في مختلف أرجاء لبنان بدءاً من بيروت التي تضم حياً خاصاً بهم هو برج حمود ، والدورة ، وحتى انطلياس وجونية وغزير وجبيل وطرابلس وزغرتا واهدن وبكفيا وزحلة ورياق وعاليه وسوق الغرب وعنجر وصيدا وصور .

واشتهر الأرمن في الميادين الصناعية ومنها صناعة الجلود ، والاسفنج الاصطناعي ، والأدوات المنزلية ، والصياغة والميكانيك وكذلك انصرفوا إلى ميادين العلم فبلغوا أعلى مراتبه لا سيما في مضمار الطب والمحاماة والهندسة ، كما واقتحم عدد من رجالات الأرمن حلبة السياسة فتبوأ بعضهم مناصب النواب والوزراء منذ ما قبل الاستقلال وحتى الآن .

أما في مجالات الأدب والفن والصحافة ، فقد برز العديد من الأدباء والشعراء الذين تناولوا المسألة الأرمنية من كل جوانبها ، كما ظهرت العديد من الصحف والمجلات والدوريات ، ومنها صحيفة « أزتاك » التي يصدرها حزب الطاشناق ، وصحيفة « أرارات » التي يصدرها حزب الهنشاق وصحيفة « زارتونك » التي يصدرها حزب الرافغافار ، وصحيفة « ايك » المستقلة . ويبلغ عدد المدارس الأرمنية في لبنان حول سبعين مدرسة ، وعدد النوادي سبعة ، وعدد الفرق الفنية المتخصصة بالمسرح والرقص الشعبي والباليه أربع ، كذلك اشتهر من الفنانين على الصعيد العالمي ، كل من بول غيراغوسيان الملقب بيكاسو الشرق ، وجورج غوفرجنيان ، وقد دخلت لوحاتهما العديد من المتاحف في مختلف عواصم العالم ، وأقاما معارض فنية في معظم هذه العواصم .

وحين اشتعلت الحرب الأهلية في لبنان عام ١٩٧٥ ، اتخذ الأرمن موقف الحياد الإيجابي ، ورغم ذلك تعرضوا للاعتداء على يد القوى الانعزالية وأصيبوا بالخسائر البشرية والمادية ، حيث حاولت هذه الأطراف جرهم إلى صفوفها ، ولكنهم تغلبوا على هذه المحاولات ، وحافظوا على موقفهم المحايد ، إلا أن المئات منهم هاجروا إلى أمريكا وكندا نتيجة هذه الحرب .

أما الأرمن في فلسطين ، فهم قلة ولا يتجاوز عددهم الثلاثة آلاف ، رغم أن مدينة القدس تضم دير ماريعقوب ، وهو مقر بطريركية القدس الأرمنية الأرثوذكسية الذي أنشئ منذ عام ٦٣٧ في عهد الفتوحات العربية ، ويلحق بهذا الدير متحف مشهور بالمخطوطات ، وكاتدرائية أثرية ، وفي العراق استقر بضعة آلاف من الأرمن ، في بغداد والبصرة وكركوك ، ولهم مدارس وكنائس ويعملون في التجارة والصناعة .

أما بالنسبة لمصر ، فهناك جالية أرمنية تبلغ حوالي سبعة آلاف ، وهي قديمة العهد ، حيث هاجر الأرمن بكثرة إلى مصر في عهد الفاطميين ، وعلى رأسهم الوزير بدر الجمالي ، وعملوا بالتجارة والبناء ، حيث أشادوا بعض أبواب القاهرة مثل باب زويلة وباب الفتوح .

ويوجد في مصر ثلاث مدارس للأرمن وعدة نوادي ، وصحيفتان هما الشمس

(أريف) وباعث الأمل « هوسـايير » ، كما تأسس في القاهرة « الاتحاد الخيري الأرمني العام » في عام ١٩٠٦ ، ثم انتقل مقره إلى أمريكا .

وإلى إيران تم تهجير خمسين ألف أرمني في أوائل القرن السابع عشر في عهد الشاه عباس الأول الذي منحهم امتيازات خاصة كي يساهموا في تطوير بلاده . فأسسوا حي « غولفا » الجديدة التابعة لأصفهان وصاروا من أبرز صانعي السجاد العجمي ، ويعيش الأرمن الإيرانيون وعددهم حوالي المائة ألف في طهران وتبريز والأهواز وعبادان ، وبلدة خوي قرب أراميا ، ومن أبرز الأرمن الإيرانيين ، الصناعي الكبير ورجل البر ، كالوست كلبيكيان (١٨٦٩ ــ ١٩٥٥) ، الذي سـاهـم في انتشـار وتطوير صناعة استخراج وتكرير النفط في إيران والعراق ، وكان مستشاراً للحكومة الإيرانية ، واكتسب شهرة عالمية فائقة . وقد أوصى بثروته البالغة ملايين الدولارات آنذاك ، للنشاطات الحضارية والثقافية ، حيث تقوم المؤسسة المعروفة باسمه ومركزها في لشبونة بالبرتغال بهذه النشاطات عبر تقديم المساعدات للأرمن المحتاجين في كل أنحاء العالم .

أما في الهند التي ضمت في الماضي جالية أرمنية نشيطة ، فلم يبقَ إلا القليل منها في بومبـاي ومدراس ، كذلك تقيـم بعض الجاليـات الأرمنيـة في اليونان ورومانيا وبلغاريا . ويتوزع الآلاف من الأرمن في العديد من الدول الأوروبية وخاصـة في فرنسـا وإيطاليا وبريطـانيـا . ففي روما تأسست الكلية الأرمنية الكاثوليكية عام ١٨٨٣ ، وفي البندقية يوجد مقر الرهبنة المخيطارية الأرمنية التي تأسست عام ١٧٠٣ . وفي باريس توفي ودفن الملك ليغون السادس آخر ملوك مملكة أرمينية الصغرى عام ١٣٩٣ . وفي عام ١٦٧٢ أشاد الأرمني باسكال أول مقهى في مدينة ليون وعرف الفرنسيين بفضله شرب القهوة .

وفي أمريكا اللاتينية توجد جاليات أرمنية تعدادها أكثر من مائة ألف ، منتشرة في البرازيـل والأرجنتـين والأورغواي وفنزويلا وتشيلي . وتضم الولايات المتحدة وكندا أكبر جالية من الأرمن الشتات ، حيث يقارب عددها ستمائة ألف أرمني ، وهي قديمة العهد ، إذ ، تعود إلى الهجرة الجماعية التي حدثت إثر مذابح ١٩١٥ . ويتمركز أفراد هذه الجالية في المدن الكـبرى ، مثل نيويورك وبوسطن وشيكاغو وفيلادلفيا ، وسـان فرانسيسكو ،

والعـدد الأكبر في لوس أنجلوس ، ولها عشـرات الكنـائس والنوادي والمدارس التي تحفظ للأرمن عاداتهم وتقاليدهم وتراثهم . كذلك توجد جاليات حديثة في أستراليا .

وفي العديد من الدول الافريقية ، تتمركز جاليات أرمنية في المدن الكبرى ، وأهمها الجالية الأرمنية في أثيوبيا ، الذي يعود عهدها إلى القرن الخامس عشر ، حين استوطن عدد من الأرمن في أديس أبابا .

أما عدد الأرمن في العالم وتوزعهم فيه ، فهو غير معروف على وجه الدقة ، بسبب تعذر إجراء إحصـاء رسمي بهذا الخصـوص ، ونتيجة الانتقال من بلد إلى آخر ، خلال السنوات المـاضيـة . ومع ذلك ، فقد تم إجراء إحصـاء تقريبي في عام ١٩٧٧ ، يمكن الاستناد إليه ، بالإضافة إلى تقديرات المهتمين بهذا الشأن ، مما مكننا من وضع الجدول التالي :

ـ جمهورية أرمينية	٣٠٠٠٠٠٠
ـ جورجيا وأذربيجان	١٠٤٠٠٠٠
ـ باقي الجمهوريات السوفييتية	٧٠٠٠٠٠
ـ تركيا	١٠٠٠٠٠
ـ إيران	١٠٠٠٠٠
ـ الدول العربية	٥٠٠٠٠٠
ـ الدول الأوروبية	٦٠٠٠٠٠
ـ الولايات المتحدة وكندا	٦٠٠٠٠٠
ـ أمريكا اللاتينية	٧٠٠٠٠
ـ باقي دول العالم	١٤٠٠٠٠

وبذلك يكـون عدد مجمـوع الأرمن التقريبي في العـالم هو سـتـة ملايين وثمانمائة وخمسون ألف نسمة ، وقياسـاً إلى الإحصـاء الوارد في الموسوعة العلمية السوفييتية لعام ١٩٥٠ ، والذي بلغ عدد الأرمن بموجبـه ثلاثة ملايين وربع المـليون ، نجد أن الشعب

الأرمني ، حقق خلال أقل من نصف قرن زيادة تجاوزت الضعف ، وعلى هذا يتوقع وصول عدد الأرمن في العام ألفين إلى عشرة ملايين .

أخيراً .. ورغم كل معاناة هذا الشعب الحي ، فقد اتصف الأرمن بالصبر والمثابرة على العمـل بدأب ونشـاط ، كما اشتهروا بالكرم والمرح وحب الدعابة ، حتى إن معظم الفكاهات المنتشرة في الاتحاد السوفييتي تنسب إلى إذاعة يريفان الوهمية .



الصرح البطريركي في أنطلياس

الفصل الثامن عشر

القضية العادلة

يمكن القول ، أن عام ١٩٨٥ ، كان محطة هامة في تاريخ الشعب الأرمني ، لأنه عام دخول القضية الأرمنية ، إلى مسرح السياسة الدولية من أوسع أبوابه .

إذ بعد إنتظار دام أكثر من عشرين عام ، ناقشت الأمم المتحدة في جلستها الثامنة والثلاثين ، المنعقدة في جنيف ، خلال شهر آب من العام المذكور ، تقريراً أعدته لجنة إستدراك الإبادة والدفاع عن الأقليات ، التابعة للجنة حقوق الإنسان ، وقد جاء في الفقرة الرابعة والعشرين من هذا التقرير أنه « في عامي ١٩١٥ - ١٩١٦ ، إرتكبت مجزرة بحق الأرمن من قبل العثمانيين ، حيث تعرض أكثر من مليون أرمني للمذابح ، أو سيقوا إلى الموت ، وتستند الوقائع كما يقول التقرير ، إلى الأراشيف الأميريكية والألمانية والبريطانية ، بالإضافة إلى تقارير الدبلوماسيين الذين كانوا في الإمبراطورية العثمانية آنذاك » .

وقبل تسليط الأضواء على القضية الأرمنية العادلة ، تجدر الإشارة إلى أن ظهورها الفعلي على المسرح الدولي ، يعود إلى عام ١٩٦٥ ، حيث أحيا الأرمن في سائر أنحاء المعمورة ، الذكرى الخمسين لجريمة المذابح الكبرى ، وهي الذكرى التي يحتفل بها عادة في الرابع والعشرين من نيسان كل عام ، أما في الذكرى الخمسين ، فقد تحرك الشعب الأرمني في الوطن الأم والمهاجر ، لكسر الطوق المضروب على قضيته ، الأمر الذي أدى إلى وصول صوته ، إلى لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة .

وفي عام ١٩٦٧ ، قررت اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة حقوق الإنسان ، أن تدخل في برامج عملها ، دراسة مسألة تحديد الطريقة الأمثل ، لمنع جرائم إبادة الجنس البشري ومعاقبة مرتكبيها ، وفي عام ١٩٧١ ، طلبت اللجنة المركزية من اللجنة الفرعية ، البدء بوضع الدراسة المطلوبة ، وبناء على ذلك ، عينت اللجنة الفرعية من بين أعضائها مقرراً خاصاً ، هو ممثل جمهورية « رواندا » الدكتور « نيكوديم روها شيانكيكو » ، وطلبت منه إعداد تقرير تمهيدي . وفي عام ١٩٧٣ قدم « نيكوديم » تقريراً جاء فيه « ... وعندما نصل إلى عصرنا الحالي يمكن الإشارة إلى وجود وثائق وفيرة تتعلق بمجازر الأرمن التي إعتبرت أول جريمة إبادة للجنس البشري في القرن العشرين » .

وفي عام ١٩٧٤ ، أرسلت اللجنة الفرعية تقريرها إلى لجنة حقوق الإنسان المركزية ، وهنا طلب ممثل تركيا « م . اولطاي » الذي كان يتهرب بشكل دائم من جلسات اللجنة ، إلغاء الفقرة المذكورة من التقرير وإعادته ثانية إلى اللجنة الفرعية . وبعد أخذ ورد دام أربع سنوات ، وفي عام ١٩٧٨ ، تم حذف الفقرة المتعلقة بالمجازر من التقرير ، بسبب انحياز الدول الغربية إلى تركيا ، وبالفعل أعيد التقرير إلى اللجنة الفرعية ، وجرت مناقشات حامية حوله شارك فيها المندوب التركي ، الذي ادعى أن الوقائع المتعلقة بجرائم الإبادة هي « مشوهة » ، وتشكل « أعمالاً حربية » حسب زعمه ، وعلى الرغم من البراهين والأدلة التي قدمتها كل من الرابطة العالمية لحقوق الإنسان ، ولجنة حقوق الإنسان ، انتهت المناقشات دون التصويت على الفقرة المتعلقة بجرائم الإبادة .

وإثر مداخلة من ممثل النمسا « فليكس آرماكورا » ، ناقشت لجنة حقوق الإنسان موضوع الفقرة الآنفة الذكر ، في عام ١٩٧٩ ، ومما ورد في تلك المداخلة : « ... لا أريد الإعراب عن العداء تجاه تركيا ، بل أود أن أعرب عن حسن نيتي بصدد واقع تاريخي .. لقد كانت مجزرة ضخمة ، ولا أفهم ، باعتباري مندوباً لحكومتي ، وكذلك باعتباري حقوقياً ، كيف يشطب واقع تاريخي بمثل هذه الأهمية والضخامة » . ونتيجة للمداولات ، تم اعتماد الفقرة في الصيغة النهائية للتقرير .

وفي عام ١٩٨٣ ، عينت اللجنة الفرعية مقرراً جديداً ، هو البريطاني « بنجامين وايتكر » الذي اعتمد فقرة جرائم الإبادة بحق الأرمن ، وعبر المناقشات التي جرت في الأمم

المتحـدة عام ١٩٨٥ ، ظهر تحالف واضح غربي ــ صهيوني طوراني ، أدى إلى تعـليق الفقرة المذكورة حتى الآن . وهنا ، ننوه إلى أن المحكمة الدائمة للشعوب أصدرت في العام ١٩٨٤ مجموعة أحكام في جريمة إبادة الأرمن نوردها فيما يلي :

آ : « إن الامتناع عن تبني فقرة الجرائم ، من قبل الأمم المتحدة لا يؤدي إلى تهدئة النفوس ، إنما إلى إثارة ردود الفعل العنيفة » .

ب : إشارة إلى ميثاق الأمم المتحدة ، وخاصة الفقرات المتعلقة منه بجرائم الإبادة ، فإن الإبادة التي تعرض لها الشعب الأرمني سـواء بالمذابح أو التهجير ، تشكل جريمة لا تفتقر .

جـ : تعتبر حكومة تركيا الفتاة مسؤولة عن الإبادة ... وهذه المسؤولية المستمرة حتى الآن ، تحتم بالضرورة الاعتراف الرسمي بواقع الإبادة ، وما ترتب عليه من نتائج .

د : إن منظمــة الأمم المتحدة ، وكل فرد من أفرادها ، لديهم الحق بإعلان هذه الأحكام ، وإيصالها إلى الشعب الأرمني .

بعد هذا العرض عن القضية الأرمنية على الصعيد الدولي ، نعود إلى جذور هذه القضيــة العـادلة ، التي تنتظر الحل العادل ، شـأنها في ذلك ، شـأن القضية الفلسطينية العادلة . فكلا هاتين القضيتين ، تقومان على قاسم مشترك ، قوامه تهجير وطرد الشعب الأرمني والفلسطيني من ديارهما ، وهما القضيتان المتخلفتان إلى الآن ، عن انقراض الدولة العثمانية ، ولا بد لهما ، من حل دولي عادل .

إذ مما لا شك فيه أن التنافس بين الدول الكبرى والقوية على حد سواء ، ينعكس سلباً على الدول الصغيرة التي تود العيش بأمان وسلام . وكما مر معنا ، فإن موقع أرمينية جعلها محط أطماع جيرانها وغيرهم من الجهات الأربع ، فعاشت تاريخاً حافلاً بالمآسي والمحن . أما في العصر الحديث ، فقد تميز تاريخ الشعب الأرمني بمراحل هامة انعكست آثارها السلبية عليه حتى الآن ، مما ولد القضية الأرمنية التي تشكل موضع هذا الفصل .

ففي المرحلة الأولى ، وهي المرحلة الممتدة من اتفـاقيـة ســان ستيفانو إلى مؤتمر برلين ، اشتد التنافس بين بريطانيا وروسيا القيصرية التي كانت تؤيد الشعوب السلافية

ضد الاحتلال العثماني ، بينما كانت الحكومة البريطانية برئاسة « ديزرائيلي » اليهودي الأصل ، تقوم بحماية العثمانيين وسلاطينهم ، لكن الحرب الروسية ـ التركية التي قامت عام ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ ، أسفرت عن هزيمة الدولة العثمانية ، وعن توقيع اتفاقية « سان ستيفانو » في ١٩ شباط ١٨٧٨ ، وبموجب هذه الاتفاقية ، تحرر القسم الأكبر من دول البلقان ، وتمثل نصيب الأرمن في المادة ١٦ منها ، والتي تعهدت الدولة العثمانية بموجبها ، بتحقيق إصلاحات فورية في الولايات المأهولة بالأرمن . إلا أن هذه الإصلاحات بقيت ـ كما هو معروف ـ حبراً على ورق ، إذ سرعان ما تم نقض اتفاقية « سان ستيفانو » ، نتيجة مؤتمر برلين الذي انعقد في ١٣ حزيران ١٨٧٨ ، برئاسة بسمارك مستشار ألمانيا القيصرية ، والذي وقفت فيه جميع الدول ضد روسيا ، على أرضية الاتفاقات السرية مع السلطان عبد الحميد الثاني .

وقد أسفر مؤتمر برلين ، عن إعادة دول البلقان المحررة إلى الوصاية العثمانية ، وضم البوسنة والهرسك إلى النمسا ، وانسحاب جيوش روسيا من الولايات الأرمنية العثمانية ، وهكذا نرى أن مهادنة الدول الأجنبية للدولة العثمانية ، في مؤتمر برلين الذي كان مهندسه « ديزرائيلي » اليهودي ، انعكس سلباً على القضيتين الأرمنية والعربية معاً .

أما في المرحلة الثانية ، وهي مرحلة الحرب العالمية الأولى ، وما قبلها وبعدها ، فقد لعب التنافس الاستعماري ، دوراً مأساوياً ومشؤوماً في تاريخ القضية الأرمنية ، حيث كثرت الأطراف الاستعمارية ، وانتعشت الحركات العنصرية والتوسعية والاستيطانية كالطورانية والصهيونية .

ففي هذه المرحلة ، تم ارتكاب أبشع جرائم إبادة للجنس البشري ، بحق الشعب الأرمني ، ومسؤولية العثمانيين والحركة الصهيونية وألمانيا وبريطانيا ثابتة فيها .

وإذا كان صحيحاً أن المجلس الأعلى للحلفاء ، اعترف باستقلال أرمينية في عام ١٩٢٠ ، وهو العام الذي شهد توقيع معاهدة « سيفر » ، حيث كلف الرئيس الأمريكي « ولسن » برسم حدود أرمينية ، فالصحيح أيضاً ، أن أرمينية بقيت تحت سيطرة الحكم العثماني ، وبقي مصيرها عرضة للمصالح الاستعمارية ، التي استهدفت نهش الرجل المريض

والقضاء تماماً على الامبراطورية العثمانية . مع التأكيد على ربط النظام التركي الجديد بعجلة هذه المصالح وذلك ما حدث فعلاً . ونتيجة التنافس بين المصالح الأمريكية والبريطانية والفرنسية ، نجد أن الولايات المتحدة باعت القضية الأرمنية لقاء الامتياز المعروف باسم « تشستر أويل » الذي أعطاه مصطفى كمال ، لشركة الإنماء العثماني ـــ الأمريكي ، كما تخلت فرنسا عن الأرمن ، لقاء امتيازات اقتصادية وثقافية وانسحبت من كيليكيا ، وطعنت الأرمن واليونانيين في الظهر ، وتركتهم وحيدين عزلاً أمام الجيش التركي .

أما في المرحلة الثالثة ، وهي المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، فقد تميزت بإعلان الولايات المتحدة القائل بأن الحدود الدولية بين الاتحاد السوفييتي وتركيا ، هي الحدود الاستراتيجية لأمريكا ، وبذلك تم تكريس السيطرة التركية ، على أرمينية الغربية بكاملها ، بعد أن تم دفن القضية الأرمنية في مؤتمر لوزان ومعاهدته التي حلت محل معاهدة « سيفر » وذلك في عام ١٩٢٣ . لكن القضية الأرمنية تجددت على المستوى الدولي ، ولا زالت تتطلب الكثير من الجهد والدأب لتجد الحل العادل .

وفيما يتعلق بعمليات الإبادة العنصرية ، فإن المذابح التي ارتكبت بحق الشعب الأرمني ، والتي امتدت بين الأعوام ١٨٦١ إلى ١٩٢٣ ، فهي تشكل جريمة يعاقب عليها القانون الدولي الذي يعرف بمجموعة القواعد التي تحدد حقوق وواجبات الدول في علاقاتها المتبادلة ، ولعل أهم خطوة تتعلق بجرائم الإبادة العنصرية ، كانت إقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ التاسع من كانون الأول لعام ١٩٤٨ ، الميثاق القاضي باعتبار الإبادة العنصرية جريمة بموجب القانون الدولي ، وتخالف روح وغايات الأمم المتحدة ، وينبذها العالم المتمدن ، وقد جاء في المادة الأولى من هذا الميثاق :

● يؤكد الفرقاء المتعاقدون ، بأن الإبادة العنصرية تشكل جريمة بموجب القانون الدولي ، سواء ارتكبت هذه الجريمة في أيام السلم أو في الحرب ، ويتعهدون بمنع ارتكاب هذه الجريمة ومعاقبة مرتكبيها .

وجاء في المادة الثانية من الميثاق :

● في هذا الميثاق ، تعني كلمة إبادة عنصرية ، أي من الأفعال المبينة فيما يلي ،

عندما ترتكب بغية إفناء كلي أو جزئي ، مجموعة وطنية أو عنصرية أو جنسية أو دينية بصفتها هذه :

ــ قتل أعضاء المجموعة .

ــ التسبب في الضرر الجسماني أو العقلي الخطير لأفراد المجموعة .

ــ عندما تفرض عمداً على المجموعة شروط حياة ، قد ينتج عنها إتلاف جسدي كامل أو جزئي .

وجاء في المادة الثالثة من الميثاق :

● الأفعال الآتية تلزم معاقبتها :

ــ الإبادة العنصرية .

ــ التآمر على ارتكاب الإبادة العنصرية .

ــ التحريض المباشر والعام لارتكاب الإبادة العنصرية .

ــ محاولة ارتكاب الإبادة العنصرية .

ــ الاشتراك في الإبادة العنصرية .

ونصت المادة الرابعة على ما يلي :

ــ الأشخاص الذين يرتكبون الإبادة العنصرية ، أو أي من الأفعال الأخرى المدرجة في المادة ٣ ، تجب معاقبتهم سواء كانوا حكاماً دستوريين ، أو موظفين عامين ، أو أفراداً .

ومما لا شك فيه ، أن هذا الميثاق ، يتعلق مباشرة بمذابح الأرمن التي استخدمت فيها أبشع وسائل القتل والتعذيب ، وكتب عنها الكثير . وحول عمليات القتل نورد مقتطفات مما ورد في وصفها :

فقد جاء في كتاب « حياة على المتراس » : « جرت مذابح كيليكيا وأضنة في عام ١٩٠٩ ، وأسفرت عن تدمير مائتي قرية ، وذبح سكانها ، وصب البترول على منازل السكان وإضرام النيران فيها ، وفي الأحياء التي تم احتلالها ، قطع الأطفال إرباً إرباً ، وبترت أيدي وأصابع وآذان النساء من أجل سرقة الحلي منهن » ..

وجاء في شهادة ثانية ، أن أحد رجال الشرطة العثمانية ، واسمه عبد الله ، كان يتذرع بالبحث عن الفدائيين ، وكان ينتقل من قرية إلى أخرى مع رجاله ويقتحم بيوت الأرمن الخالية من رجالها ، وكان ذلك الوحش يعامل النساء أحط معاملة ، إذ كان يحمل معه قططاً مدربة يطلقها على النساء بعد انتزاع ثيابهن ، فتنهش أبدانهن العارية .

وعن مذابح قرية ضالفوريك قال شهود عيان : ما إن إحتل العثمانيون هذه القرية ، حتى أخذوا ينتقمون من أهلها بوحشية بالغة ، فكانوا يسبون النساء ، ويقطعون أثداءهن ، ويبقرون بطونهن ، ويجلسون الأطفال على السيوف ، ويقطعون أوصال المسنين ويمزقونها إرباً إرباً .

وكتب السفير الأمريكي في تركيا « هنري مورغنتاو » : « كان رجال الشرطة الأتراك ، يعرون النساء من ثيابهن ، ويضربهن ضرباً مبرحاً بسياط من أغصان الأشجار الخضراء ، أما الرجال فكانوا يضربون على أخمص القدمين حتى يصابوا بالإغماء ، كما كانت تقلع شعرات ذقونهن شعرة شعرة ، وكذلك تنزع أضافر الأيدي والأرجل ، ويوضع الحديد المحمي على صدورهم ، ويقطع اللحم من أجسادهم بكلابات حديدية محمية ، وبعدها يوضع الزيت المغلي على جراحهم » .

وكتب عن عمليات الترحيل : « كانت العادة المتبعة ، قبل بداية مسيرة القافلة ، فصل الرجال عن عائلاتهم ، وربط كل أربعة منهم ببعض ، ثم نقلهم إلى الضواحي لقتلهم بالرصاص .. وكانت كل الطرق الرئيسية مزدحمة بجماعات المهاجرين المساكين ، كانوا يعرجون داخل الوديان وخارجها ، ويتسلقون تقريباً كل الجبال والهضاب ، وكانوا يعرفون جيداً ، أن الطرقات كلها تؤدي حتماً إلى الموت .. والتهمة الوحيدة هي أنهم أرمن » .

ولو أردنا الإسهاب في وصف المذابح ، والطرق الوحشية التي استخدمت لتنفيذها ، لا تكفي مئات الصفحات لذلك . إنما أوردنا بعض الأمثلة التي تؤكد الجريمة بعناصرها الكاملة . وقبل الانتقال إلى الحديث عن دور الصهيونية في القضية الأرمنية . سنتطرق إلى الدور العثماني نفسه ، وذلك ، تصويباً للمغالطات التي لاحظنا وقوع بعض المؤرخين والسياسيين فيها إما عن جهل ، أو عن عمد .

ففي محاولة لطمس الحقائق ، والتهرب من مسؤولية المذابح ، يزعم الأتراك ، أنه لم يكن لدى أسلافهم ، خططاً مرسومة لتصفية الأرمن ، وطردهم من ديارهم . غير أن الوثائق التي تدحض تلك المزاعم أكثر من أن تحصى ، وفيما يلي بعضاً منها :

ما إن انفض مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ الذي أقر الإصلاحات الأرمنية ، حتى عبر كامل باشا رئيس الحكومة العثمانية عن سياسة الإبادة ، حين قال في نفس العام « إننا سنزيل الأمة الأرمنية ، وسنمحي أثرها ، ولا ينقصنا شيء لتحقيق ذلك ، ولدينا كل الأدوات جاهزة ، وسيكون انتصاراً سهلاً ضد شعب أعزل ، لا يملك سلاحاً ولا جيشاً ولا مركزاً ذا شأن ، وفي عام ١٨٨٤ ، أعلن الفاشي الكبير « كوتشوك سعيد باشا » الصدر الأعظم في عهد السلطان الأحمر « أن أنجع وسيلة لإنهاء القضية الأرمنية ، هي القضاء على الشعب الأرمني » .

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية ، هبت الرياح المناسبة لتنفيذ أكبر مجزرة إبادة في التاريخ ، وهنا ، نقتطف بعضاً من الحوار الذي دار في الجلسة السرية التي عقدتها جمعية الاتحاد والترقي برئاسة طلعت باشا ، والذي أخذناه عن كتاب الوجه الخفي للانقلاب التركي ، لمؤلفه « مولان زاده رفعت »★ ، وقد قدم المؤلف هذه الجلسة بقوله :

إن قتل الأرمن وتهجيرهم ، لهو أمر غاية في الوحشية ، وجريمة سياسية مروعة ، والواقع أن مداولات الجلسة السرية التي عقدت في المقر العام لجمعية الاتحاد والترقي ، أسفرت عن صدور قرار يقضي بذبح الأرمن وإبادتهم عن بكرة أبيهم ، وألا يبقى أحد منهم على وجه الأرض ، حتى ولا الأطفال الرضع .. وبما أني استقيت وقائع هذه الجلسة من أشخاص ذي ثقة ، فقد رأيت إيرادها بصورة محضر يتضمن تفاصيلها على لسان المجتمعين :

في بداية الجلسة أعطى طلعت الكلام إلى الدكتور ناظم الذي تحدث بإسهاب عن

أحداث مدينة « وان » هادفاً إلى جعلها ذريعة للإبادة ، حيث صور الثورة هناك ، على أنها تمرد وعصيان ، وبعد أن أنهى كلامه كان الحوار التالي :

طلعت : هؤلاء الثعابين رفعوا رؤوسهم من جديد ، ولا بد من التنكيل بهم تنكيلاً شديداً .

فارا كمال : القهر لهم ، « وان » لنا ، ولا يستطيع أحد أن يأخذها من أيدي الاتحاد والترقي المقدس .

الدكتور ناظم : الكلام وحده لا يفيد ، إن خطر الأرمن كالخراج في الجسم ، ومما لا شك فيه ، أن الخراج إذا لم يعالج بمشرط جراح ماهر ، يجتث جذوره ويطهر الجسم منه ، يكون خطره مميتاً . إننا في حالة حرب ، ولن تهيأ لنا ظروف سانحة أفضل من هذه الظروف التي تخولنا اجتثاث العنصر الأرمني من جذوره ، بحيث لا نبقي فرداً منهم على قيد الحياة في ممتلكاتنا .. علينا أن نمحي اسم الأرمن من الوجود ، وندرجه في طي النسيان ، ولن يعترضنا شيء ، لا تدخل الدول العظمى ، ولا ولولة وصراخ الصحف العالمية ، وحتى لو حدث ذلك ، تكون المسألة بمثابة أمر واقع وكفى ، لذلك أهيب بكم القيام بعملية إفناء .

الدكتور بهاء الدين شاكر : نحن الانقلابيين ، ومن موقع السلطة التي آلت إلى قبضتنا باسم الملة التركية ، يجب أن لا نسمح لغير البذور التركية أن تنمو في حقلنا ، ولهذا ، يجب أن نتصدى لبقايا الملل التي اندست من قديم في مجتمعنا ، كما تندس النباتات الطفيلية في الحقول .. علينا أن نقتلعها من جذورها ، وهي ، الروم والأرمن والعرب .. إلخ .

حسن فهمي : ما دام الأرمن قد خرجوا عن سلطة جمعية الاتحاد والترقي المقدسة ، فالواجب يقضي بإفنائهم عن بكرة أبيهم ، وأن لا يبقى أي فرد منهم على قيد الحياة ، وسأعرض عليكم الطريقة اللازمة لذلك ، إذ ، بما أن التعبئة العامة لا تزال سارية المفعول ، يوضع الشبان الأرمن ، الحاملين للسلاح ، في مقدمة الجيش التركي على طول الجبهة الروسية ، وبهذه الصورة ، يكونون بين نارين ، نار الروس من الأمام ، ونار الترك من

الخلف ، وبذلك يصــار إلى محوهم وإفنائهم ، أما الشيوخ والصبيان والنســاء ، فتعطى الأوامر لتصفيتهم ، ثم تمتلك أموالهم وأمتعتهم ، وتفترش بناتهم .

جاويد : إن هذه المطالعات كانت وافية لتنويرنا حول جوانب القضية .. وإن محو الأرمن من الوجود وإفناءهم ، مطلب ملي ـــ سياسي ـــ حيوي .

إلى هنا ينتهي الحوار الذي اقتطفناه من كتاب « مولان زاده » ، والذي اتخذ نتيجة له ، قرار الإبادة ، وبدأ تنفيذه في الخامس عشر من نيسان ١٩١٥ ، حين أبرق ثلاثي الإجرام إلى الحكـام والمدراء المحليين في آسيا الصغرى بما يلي : « إن الحكومة التي تمثل الشعب التركي ، وحزب الاتحاد والترقي ، قررت أن تضع حداً للقضية الأرمنية ، وذلك بواسطة إبادة هذا العنصر الموجود بين شعبنا ، ويمكن إجراء ذلك عن طريق جرهم إلى صحارى بلاد العرب ... إننا نحثكم على مساعدتنا في هذه المهمة بكل قواكم ، وكل من يحاول الدفاع عن أي أرمني ، يعتبر عدواً للدولة والدين وسيحاكم بصورة سرية » .

وجاء في مذكرات نعيم بك رئيس لجنة الأبعاد في حلب ، وهي المذكرات التي نشر فيها برقيات سرية من « طلعت باشا » إلى مرؤسيه : « ... أعلمناكم سابقاً أن الحكومة بناء على أمر صادر عن الجمعية ، قررت أن تدمر كل الأرمن الساكنين في تركيا تدميراً تاماً ... يجب أن نضع حداً لوجودهم ، مهما كانت الإجراءات المتخذة وحشية ... لا تلتفتوا إلى اعتبارات السن أو الجنس أو تأنيب الضمير » .

وجاء في برقية أخرى : « اجمعوا أولاد الأرمن ، ممن كانوا قد جمعوا مع بعضهم ، بأوامر وزارة الحربية ، وخذوهم إلى ناحية بحجة أن لجنة التهجير ستعتني بهم ، وذلك بقصد عدم إثارة الشبهـات . دمروهم وأخبرونا النتيجة » . وفي الحادي والثلاثين من آب عام ١٩١٥ ، أعلن « طلعت باشا » في مقابلة له مع الدبلوماسيين بكل وقاحة « لم تعد هناك مسألة أرمنية » .

واستكمالاً للإحاطة بالقضية العادلة من مكافة جوانبها ، سنورد ما قاله الطرف الثـالـث ، عن جرائم الإبـادة ، والمقصـود بـالطرف الثـالـث ، الشهـادات المستقـاة من الأجانب .

يقول أندره ماندلستام في كتابه « عصبة الأمم والدول الكبرى إزاء المشكلة لأرمنية »: « خلال ربيع عام ١٩١٥ وصيفه ، ثم بناء على أوامر صادرة عن حكومة الشبان الأتراك ، إلى قادة الجيش والسلطات المدنية في المقاطعات ، تم قتل قسم كبير من الأرمن القاطنين في ولايات تركيا الشرقية ، وهم في عقر دارهم ، فيما اقتيد آخرون باتجاه الجنوب ، وأبيدوا في طريقهم إلى المجهول ، ولم تقدم السلطات التركية على اتخاذ أي إجراء من شأنه تأمين سلامة قوافل المهجرين وتموينها بالمواد الغذائية ، وإنما بتدبير متعمد منها في معظم الأحوال ، حثت قطاع الطرق على الاعتداء عليهم وسلبهم ، كما أوعزت إلى رجال الأمن المكلفين بحماية قوافل المهجرين بإفنائهم عن بكرة أبيهم .

وعلى هذا النحو ، لقي آلاف المهجرين الذين أجهدهم الجوع والعطش والتعب مصرعهم ، وفي بعض الأحيان ، كان الجلادون يغرقون ضحاياهم في الأنهار ، أو يحرقونهم أحياء ، أو يجهزون عليهم بأساليب من التعذيب في غاية التفنن .

وجاء في كتاب ونستون تشرشل « الأزمة العالمية » المجلد الخامس : يبدو أن الوقت حان لإنصاف الأرمن وتمكينهم من العيش بسلام على أرض أجدادهم ، فالذين اضطهدوهم وظلموهم ، انهاروا بفعل الحرب أو الثورة ، أما الدول المنتصرة الكبرى ، فقد أصبحت حليفتهم ، وبالتالي ستضمن إنصافهم ، إذ من غير المعقول حقاً أن تعجز الدول الحليفة الخمس عن تنفيذ إرادتها ، ومع ذلك ، هذا ما حصل ، فما كاد المنتصرون يتداولون في مؤتمر باريس في القضية الأرمنية حتى انفرط عقدهم وسرحت جيوشهم ، ولم يعد لمقرراتهم من وزن ، أكثر مما تزن الكلمات الجوفاء .

● وكتب فريد جوف نانسن في كتابه « أرمينية والشرق الأدنى » تعقيباً على عدم تطبيق معاهدة « سيفر » :

« مما يؤسف له ، أن هذه الأراضي كان الأتراك لا يزالون يحتلونها ، فيما راحت الدول الكبرى تتقاعس عن تحديد الوسائل الكفيلة ليسترد الأرمن أراضيهم ، وأن يبسطوا سيادتهم عليها . ولم تقم الدول الكبرى بأي عمل من شأنه الوفاء بالالتزامات الجديدة التي اتخذتها على عاتقها ، وذلك بغية تمكين الأرمن من امتلاك الأراضي التي منحتهم إياها على

الورق . إن كل هذه العهود تعطي انطباعاً ، بأن مهزلة مشؤومة كان يتم تمثيلها ، كما لو أن الحكام في الدول الكبرى قد انطلقوا من المبدأ القائل بأن الوعود المقطوعة لشعب صغير ، يمكن نقضها في حال اصطدام عملية التنفيذ بعقبات خطيرة ، وحيال هذا الموقف اللامبالي والمثير للدهشة ، رفض مصطفى كمال الاعتراف بالمعاهدة التي كانت الحكومة التركية الشرعية وقعت عليها ، وبادر إلى شن هجوم على أرمينية ، وعندها تغاضت الدول الكبرى عما يجري ، وبينما سمحت بالأمس بإراقة دماء الأرمن من أجل قضية الحلفاء ، إذ بها اليوم تكافئهم بوثيقة لا قيمة لها على الإطلاق » .

أما المؤرخ والسياسي أرنولد توينبي ، فقد كتب يقول :

« في القرون القديمة ، لم نشهد عصراً ، كانت فيه إنسانية الجنس البشري معترفاً ومعمولاً بها كما هو الحال اليوم .. ومع ذلك فإن العصر الذي عشت فيه ، شهد مذاهب عنيفة تنكر بصورة ساخرة الصفة الإنسانية المشتركة بين أفراد الجنس البشري وتبرر الفظائع ، مما حملنا على نحت كلمة جديدة وهي « الإبادة العنصرية » وذلك لكي نتمكن من وصف نوع جديد من المذابح ».

ويضيف « توينبي » :

... وفي يوم معين ، قامت قوات الدرك التركية باحتلال الشوارع ، في المدن والقرى الأرمنية الرئيبسية ، ثم ساقت الآلاف من الأرمن إلى الخدمة العسكرية تحت طائلة التهديد بالإعدام ، في حال التخلف .

● وفي عام ١٨٩٢ ، كتب نائب القنصل البريطاني « ليكاردو بولو » : « ... أستطيع أن أؤكد لكم أن الأرمن في أضنة أبعد ما يكونون عن التفكير في تشكيل لجان ، أو أي نشاط سياسي آخر ، وفي عام ١٨٩٥ كتب الصحفي الايرلندي « اميل ديلون » : « لقد أصبح من الثابت أن مجزرة صاصون ، كانت من تدبير الباب العالي ، وقد أعدها بعناية ونفذها بقسوة » .

وكتب سفير روسيا في اسطنبول « زينو فييف » عام ١٩٠١ : « إن الحكومة التركية بفرضها ضرائب على الأرمن لا طاقة لهم بها ، تواصل في واقع الأمر ، المجازر بطريقة

خفية ، ويرمي الباب العالي من ورائها ، إما إلى التخلص من الأرمن ، وإما إلى وضعهم في حالة يصبحون فيها عبيداً خانعين ، ولهذا الغرض تتخذ إجراءات لإرغام الأرمن على الرحيل عن جبال صاصون ، وعلي أن أسجل ، أنه لم يحدث أي تحسن منذ تعرض الأرمن للتصفية الوحشية في الأعوام من ١٨٩٤ إلى ١٨٩٦ » .

● ومع الأخذ بعين الاعتبار تواطؤ الألمان مع العثمانيين ، بصدد المذابح ، فقد جاء في البرقية رقم ١١٦ ، التي وجهها قنصل ألمانيا في صمصون « كوكهوف » : أن هذه المجازر وعمليات التهجير ، ليست بأقل من تدمير شعب بكامله » . كذلك جاء في البرقية ١٢٠ ، والمرسلة من قنصل ألمانيا في حلب « روصلر » ، والمؤرخة في ٢٨ تموز ١٩١٥ : « إن حكومة الاتحاد والترقي مصممة على تدمير ـــ وتدمر ـــ القسم الأكبر من الشعب الأرمني بأساليب مستعارة من العصور القديمة .. وهي أساليب لا تليق بحكومة ترغب في أن تكون حليفة ألمانيا ... وإنها دون أدنى شك تريد الاستفادة من ظروف الحرب ، للتخلص من القضية الأرمنية » .

وفي برقية تحت رقم ٢٨٢ ، مؤرخة في ٣٠ حزيران ١٩١٦ ، يخاطب السفير الألماني « فولف مترنيخ » حكومته قائلاً : « إن جمعية الاتحاد والترقي ، تطلب من الحكومة بإلحاح ، إبادة البقايا الأخيرة من الأرمن ... وإن التتريك هنا يعني إما طرد أو إبادة كل من ليس تركياً ... ويضيف السفير متهكماً : وفي هذا ، كما في غوغاء شعارات الثورة الفرنسية ، تكمن اليوم ، النهضة التركية المنشودة » .

وأخيراً ، وليس آخراً ، كتب فريدريك ناسان ، مندوب عصبة الأمم للاجئين : « ... وفجأة ، قام وزير الداخلية طلعت باشا ، بإلقاء القبض ، على رجالات الأرمن في استنبول ليلة الخامس عشر من نيسان ، من أساتذة ومحامين وأطباء ورجال دين .. ووصل عددهم إلى ستمائة إنسان ، وتم نفيهم جميعاً ، إلى مجاهل آسيا الوسطى دون محاكمة أو تحقيق .

وبعد هذا العرض الذي يشكل نوعاً من الإحاطة بالعناصر الكاملة ، للجريمة الكاملة الأركان ، لا بد من التطرق إلى الدور الذي لعبته الحركة الصهيونية ، بشأن المذابح الكبرى ، وبما يتوافق وأهدافها العنصرية . ومهما برعت هذه الحركة في إخفاء جرائمها على

مر العصور ، فالتاريخ يكشف نفسه ، ولا يرحم من يسود صفحاته ، وعلى اعتبار أن القضية الأرمنية ، كانت ولا تزال ، من القضايا الشائكة التي ظهرت إبان القرنين التاسع عشر والعشرين ، شأنها في ذلك ، شأن القضية الفلسطينية ، فإن ضلوع الحركة الصهيونية ، في هاتين القضيتين بات واضحاً لكل عين بصيرة .

واستناداً إلى العديد من الوثائق التي كانت تعتبر فيما مضى سرية ، يمكن التأكيد ، أن الدور الصهيوني في إبادة الأرمن ، ارتكز على ثلاثة عناصر ، هي النظرية الطورانية ، والأداة التنفيذية المتمثلة بجمعية الاتحاد والترقي ، ثم غاية التوسع والاستيطان .

فعلى صعيد النظرية الطورانية ، علينا توضيح غاياتها ومراميها ، فهي منسوبة إلى هضبة « طوران » ، التي تضم المناطق الممتدة من الصين ، عبر إيران وتركستان والقوقاز حتى هنغاريا والبلقان بما فيها الأناضول ، وما عليها من الشعوب ، وقد زعم مؤسسو جمعية الاتحاد والترقي ، أن سكان هذه المناطق من العرق التركي الأصيل ، ولا بد من تحقيق « الجامعة الطورانية » التي تجمع شعوب هذه الهضبة في إطار أمة تركية واحدة ، ذات كيان واحد ، غير أنه من الثابت تاريخياً ، أن هذه النظرية ، ظهرت منذ العهد الحميدي ، واشتدت مع العهد الاتحادي ، وفي العهدين ، كانت أصابع الحركة الصهيونية ، وراء تغذيتها ونشرها ، وإحاطتها بدعاية واسعة ، بهدف تقوية النفوذ الصهيوني في « الامبراطورية » العثمانية ، ومن ثم ، فتح الباب أمام النظرية الصهيونية العنصرية ، وترجمة أطماعها على أرض فلسطين .

وحين تؤكد أحداث التاريخ ، أن اليهود تدفقوا إلى البلاد العثمانية في عام ١٤٩٢ ، بعد أن طردهم الاسبان ، فمن المؤكد أيضاً ، أن أعداداً كبيرة منهم دخلت في الإسلام وأطلق عليهم اسم « الدونمة » ، ومنهم تكونت طبقة اجتماعية في مقدونيا أصبحت فيما بعد احتياطياً بشرياً للصهيونية عن طريق المحافل الماسونية .

وبعد أن عقدت الحركة الصهيونية مؤتمرها الأول في مدينة « بال » السويسرية عام ١٨٩٧ ، قررت الاتصال المباشر بالباب العالي ، فأوفد « تيودور هرتزل » إلى الأستانة ، الصهيوني « عمانوئيل قاراصبو » الذي تمكن من مقابلة السلطان عبد الحميد الثاني ، في

١٧ أيلول عام ١٩٠١ ، وطلب منه ، منح فلسطين إدارة ذاتية يهودية ، الأمر الذي يعني تأسيس المشروع الاستيطاني الصهيوني ، لكن السلطان رفض هذا الطلب ظاهرياً بدليل أن الصهاينة أقاموا في عهده ، وتحديداً من سنة ١٨٧٨ وحتى ١٩٠٤ ، حوالي ثلاثين مستعمرة على أرض فلسطين . ورغم ذلك ، فقد قررت الحركة الصهيونية إزاحة السلطان عن عرشه ، واستقدام حكم يمتثل لها ، وهكذا ، أصدر « هرتزل » أوامره إلى المحافل الماسونية في استنبول وسالونيك وأزمير كي تستقطب الضباط الشباب الناقمين على السلطان ، وبالفعل فقد تمكن « قاراصو » الأنف الذكر ، وهو زعيم الجالية اليهودية في ازمير ، من إقناع الكثير من صغار الضباط بتأليف جمعية « ثورية » ، أطلق عليها جمعية الاتحاد والترقي ، ومركزها « سالونيك » وحول هذه المسألة يقول مولان زاده رفعت ، إن القائمين على هذه الجمعية هم : قاراصو ، محمد جاويد ، وهو صهيوني عريق اسمه « دافيد » ، طلعت رئيس كتاب مصلحة البريد والبرق ، المقدم اركان حرب جمال « جمال باشا فيما بعد » ، الرائد أركان حرب أنور ، الرائد أركان حرب مصطفى كمال « رئيس جمهورية فيما بعد » ، وغيرهم .. وعلى هذا ، أشار « أرنولد توينبي » في كتابه تاريخ المسلمين ، إلى أن يهود سالونيك كانوا يشكلون جزءاً لا يتجزأ من جمعية الاتحاد والترقي ، كذلك قال المؤرخ « سيتون وطسون » بدوره : « إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي ، أنها غير تركية وغير إسلامية ، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها عضو واحد من أصل تركي صافٍ ، فأنور باشا مثلاً هو ابن رجل بولندي مرتد ، وجاويد من « الدونمة » وكراصاو من اليهود الاسبان ، وطلعت باشا من أصل غجري اعتنق الإسلام ، وهكذا فإن أصحاب العقول في هذه الحركة ، كانوا يهوداً ، أو يهوداً دخلوا الإسلام ، وأما الدعم المالي فكان يأتيهم من أغنياء اليهود » .

من هنا ، يمكن فهم الدور الصهيوني ، إزاء القضية الأرمنية التي برزت بصورة ملحوظة ، بعد استقلال دول البلقان ، فقد ركزت الحركة الصهيونية كل اهتمامها ونفوذها ، لإزاحة ما أسمته « بالعقبة الأرمنية » ، من وجه مخططها الرامي ، إلى زرع كيانها ، في فلسطين التابعة للسلطنة العثمانية ، وحين لم تثمر جهود « هرتزل » مع السلطان عبد الحميد عن النتائج التي كان يتوخاها ، لا سيما بعد أن قابله بواسطة

المستشرق الهنغاري اليهودي ، « أمينوس فامبيري » ، عمل على إزاحته ، من خلال الانقلابيين الآنفي الذكر ، فكان له ما أراد ، وجرت المذابح الكبرى ، وسط تضليل إعلامي ، وحملات دعائية ، روجتها الصهيونية بدقة ، عبر الصحف التي سيطرت عليها داخل السلطنة العثمانية وخارجها . ولعل السؤال الذي يخطر في الذهن ، هو أنه لماذا توجهت الجهود الصهيونية ضد الأرمن ولماذا ناصبتهم العداء ، للإجابة على ذلك ، نقرأ للمؤرخ العربي مروان البحيري مقالاً بعنوان « تيودور هرتزل والقضية الأرمنية » ، فنجد أنه يعطي تصوراً دقيقاً للدور القذر الذي لعبته الصهيونية ضد الأرمن ، فقد كان « هرتزل » ، كما جاء في المقال ، يستغل القضية الأرمنية في سبيل الأهداف التي من أجلها ، قامت الحركة الصهيونية ، فقد حاول إقناع زعماء الثوار الأرمن بالتصالح مع السلطان عبد الحميد ، وذلك على مبدأ أن مساندة اليهود للسلطان سترغمه على التخلي لهم عن فلسطين ، إلا أن المحاولة باءت بالفشل ، في وقت كانت الحركة الصهيونية تعمل فيه عبر كل القنوات التي توصلها إلى فلسطين ، وهي الدولة العثمانية ، ألمانيا ، بريطانيا ، فرنسا ، أمريكا ، وبالتالي إطلاق يد الاتحاديين ، في ارتكاب جرائم الإبادة بحق الشعب الأرمني .

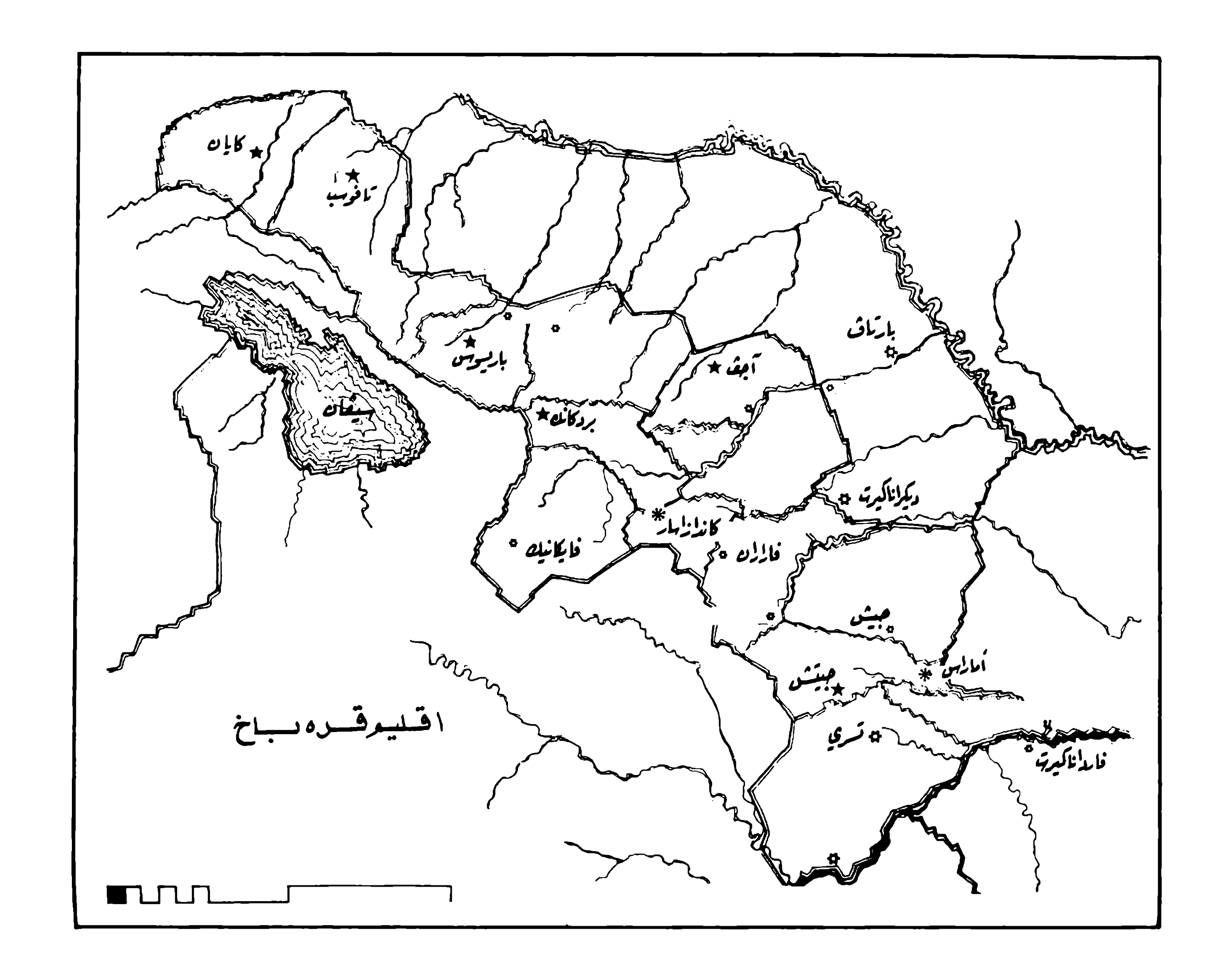
وهكذا ، يظهر الارتباط الوثيق بين الصهيونية والاتحاديين ، حتى إن الدبلوماسيين البريطانيين ، وعلى الأخص السفير ج ــ لوثر ، كانوا يدعون جمعية الاتحاد والترقي بالجمعية اليهودية ، كذلك ، قال الوزير البريطاني « هارتينيك » في مذكراته ، أن الامبراطورية العثمانية كانت آلة في يد اليهود من أجل تحقيق هدفهم في إنشاء الدولة اليهودية .

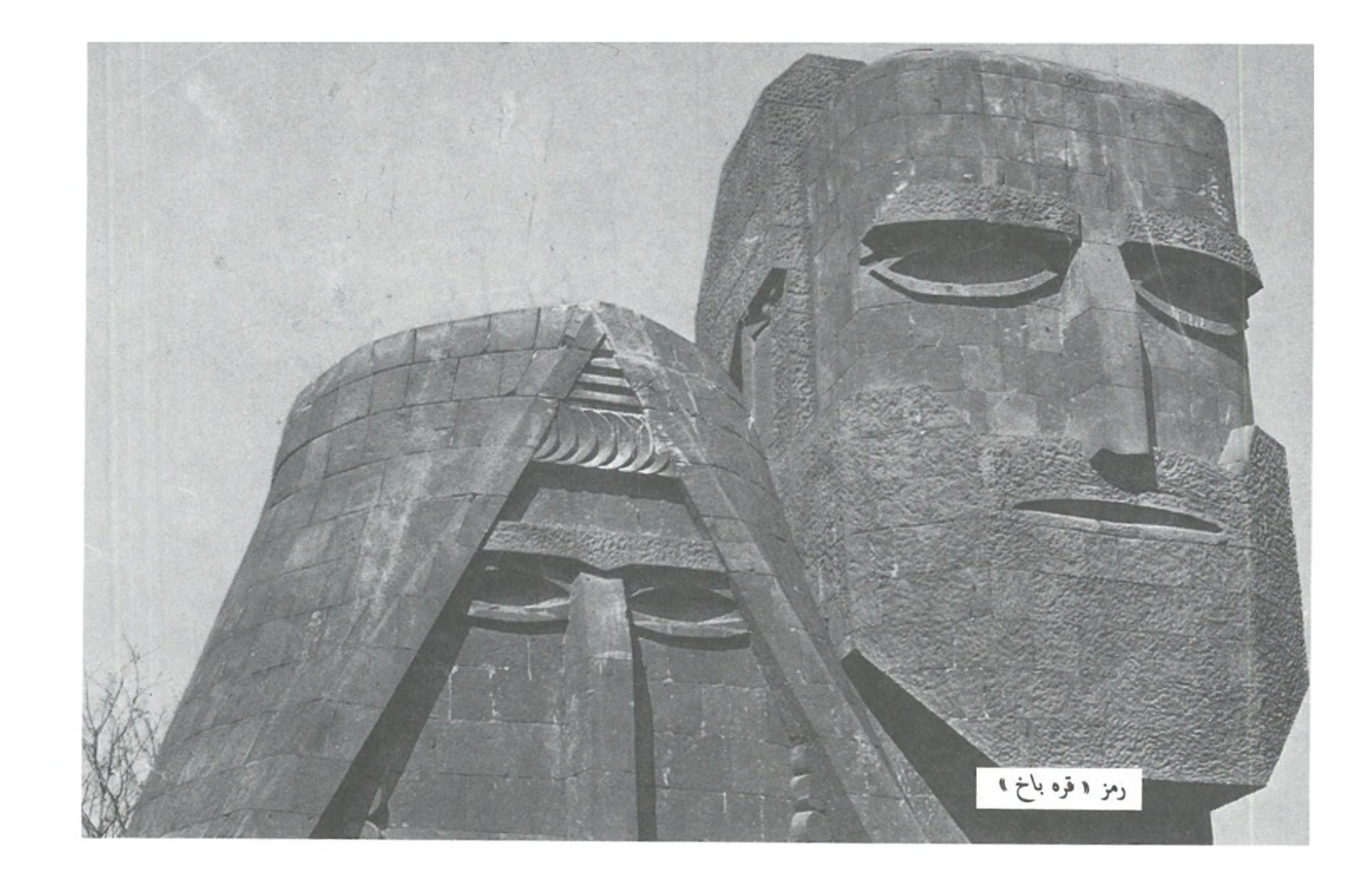
وفي ختام هذا الفصل ، نجد لزاماً علينا ، التأكيد ، على أن القانون الدولي ، وميثاق الأمم المتحدة ، وإعلان حقوق الإنسان ، والوثيقة الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ، والمتعلقة بالإبادة الجماعية ، تعتبر كلها ، أسساً واضحة وكافية ، للتنديد بالإبادة الأرمنية ، والتعويض عنها . فالشعب الأرمني لم يسترد حقوقه حتى الآن ، وهو يتطلع على الدوام ، إلى الأسرة الدولية ، كي تسانده ، وتمكنه من الوصول إلى حل عادل لقضيته العادلة . لا سيما ، وأن القضية الأرمنية حققت نجاحاً سياسياً في حزيران ١٩٨٧

حين صدر عن البرلمان الأوروبي في سترازبورغ قراراً أكد فيه ، أن مجزرة كبيرة ارتكبت ضد الأرمن ، ضمن الأراضي العثمانية خلال أعوام ١٩١٥ ــ ١٩١٧ ، وفي حين طالب القرار بالحفاظ على الآثار التاريخية الأرمنية الموجودة في تركيا ، أكد على أن عدم اعتراف تركيا بوقوع تلك المجازر ضد الأرمن واستمرار انكاره لهذه المجازرة يشكل عقبة كبيرة أمام قبول انضمامها إلى السوق الأوروبية المشتركة .

أخيراً ، لا بد من الإشارة إلى العديد من التصريحات المساندة للأرمن وقضيتهم التي صدرت عن كل من البابا يوحنا بولس الثاني ، والرئيس الأمريكي جورج بوش ، والرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران ، والرئيس الأرجنتيني راوول الفونسين ، كذلك نشير إلى الجهود الحثيثة التي بذلها السيناتور الأمريكي روبرت دول من أجل إقناع الكونغرس الأمريكي في العام ١٩٩٠ ، باتخاذ قرار يعتبر يوم ٢٤ حزيران ، يوماً وطنياً ، إحياء للذكرى الأليمة ، للمجازر الوحشية المرتكبة ضد الأرمن ، لكن هذه الجهود باءت بالفشل ، نتيجة المصالح الأمريكية ــ التركية .

ان العالم ، بدأ يتجه الآن ، إلى عصر جديد من الوئام والسلام ، تنتفي فيه كل مظاهر وآثار القهر والظلم ، التي لحقت بالشعوب المضطهدة ، الشعوب التي لها الحق الكامل في نضال مشروع ، يرفع عنها الحيف والغبن ، لتأخذ مكانها الطبيعي بين أمم المسكونة .


اقليم قره باخ
كايان
تافوسب
سيفان
باريوس
بردكانك
آجف
بارتاف
ديكراناكيرت
كانذازابار
فايكانيك
فاراز
جبيش
أماراس
جبيتش
تري
فاسذاناكيرت



رمز « قره باخ »

الملحق الأول

أرْتسَاخ - نَاخْتشْيفَانْ
حَقٌّ تَارِيخيٌّ مُغْتَصَبْ

مهما كثر اللفط ـــ من غير الأرمن طبعاً ـــ حول إقليم قره باخ ، فالحقيقة لا تتبدل أو تتأثر ، وهي أن هذا الاقليم جزء لا يتجزأ من أرمينية ، وقبل التطرّق إلى التطورات السياسية التي انتابته عبر القرون الماضية ، والتي أدت إلى سلخه عن الوطن الأم ، سنتعرف عليه جغرافياً ، وتاريخياً ، وبشرياً ، وسياسياً .

يقع اقليم « ارتساخ » ، وهو الاسم الأرمني له ، شمال شرق الكتلة الجبلة الأرمنية ، قرب مناطق سونيك وزانكي زور ، إلى الضفة اليمنى لشرق الكور ، وتبلغ مساحته ٤١٠٠ كم٢ ، وعدد سكانه حوالي ١٨٠ ألف نسمة ، ثمانون بالمائة منهم أرمن .

يمتاز هذا الاقليم ، بمناخ بارد جداً ، ذلك أن متوسط ارتفاع قسمه الجبلي عن سطح البحر ٣٠٠٠ متر ، ويصل أعلى معدل للحرارة في شهر تموز إلى ٢٠ درجة ، بينما يتدنى في الشتاء إلى أقل من ١٥ درجة تحت الصفر ، ومن أشهر جباله ، جبل زوغول ويبلغ ارتفاعه ٣٥٨١ متراً ، وجبل الأمير « ايشخانا سار » ، وارتفاعه ٣٥٥٢ متراً ، وجبل « كيرس الكبير » وارتفاعه ٢٧٢٥ متراً ، وتتميز هذه الجبال بصخورها المدببة ، وكهوفها الكثيرة وأشهرها كهف « آزوخ » ، وتتعرض جبال الاقليم ، إلى تآكل طبيعي بسبب الرياح والأمطار والثلوج ، يتراوح معدله السنوي بين ٤٠٠ إلى ٨٠٠ ملمتر .

ويتميز هذا الاقليم أيضاً ، بغاباته الشاسعة الجميلة ، التي تنساب فيها الجداول والأنهار ، ومن أشهرها ، نهر فورودان ، ونهر هاكارو ، ومن بحيراته ، البحيرة السوداء ، والبركة الكبيرة ، والبركة الصغيرة . أما أهم ثرواته الطبيعية فهي ، أحجار البازلت والرخام والنحاس ، ويعتمد سكانه على الزراعة وخاصة الذرة والكروم ، وكذلك على تربية دودة القز ، وصناعة السجاد اليدوي ذي الشهرة العالمية .

عاصمة الاقليم مدينة ستيباناكرت ، وأهم مدنه ، شوشة المبنية على مرتفع جبلي ، وهاترون وطاليش وماردوني ، ومن أشهر الأديرة فيه ، دير « كانساسار » ، والقديس « هاغوب » و« السيدة العذراء » ودير « تاتي » .

وتاريخياً ، كان إقليم ارتساخ ، أو ولاية ارتساخ ، هو الولاية العاشرة في أرمينية التاريخية ، وقد خضع لحكم عائلة « سيساك » ، التي يعود نسبها إلى أحفاد الملك هايك ، وحين نشبت الحروب بين الفرس والروم ، في الثلث الأول من القرن الرابع ، كانت أرمينية ، هدفاً لهذه الحروب ، ومحط أطماع المتحاربين بغية السيطرة عليها ، وفي عام ٣٨٧ ، عقد الطرفان معاهدة « اسلسيني » التي تم بموجبها تقسيم أرمينية لأول مرة في تاريخها ، إلى قسمين ، القسم الشرقي المؤلف من أربعة أخماسها ، والقسم الغربي المؤلف من الخمس وقد آل إلى الروم ، أما الشرقي وارتساخ ، من ضمنه فقد آل إلى الفرس .

وحاولت الدولة الفارسية ، دمج « أرمينية الشرقية » فيها عنصرياً ودينياً وحضارياً ، لكن دون جدوى ، حيث تمسك الأرمن بقوميتهم ولغتهم وديانتهم ، فأحبطوا محاولة « تذويبهم » ، وحافظوا على شخصيتهم وتراثهم ، من خلال ما أبدوه من مقاومة بطولية ، لكل أشكال القهر والاضطهاد ، وبخاصة في مقاطعتي أوديك وارتساخ .

فقد استمر اقليم « ارتساخ » شبه المعزول جغرافياً ، في حياته الطبيعية ، وأدرك الفرس صعوبة التغلب على سكانه ، الذين نظموا شؤونهم السياسية وتركزت جهودهم على التطور والمحافظة على الشخصية المميزة عبر القرون القادمة التي شهدت غزوات وحروب متلاحقة على جميع الجبهات ، كانت أرمينية ضحيتها الأولى . غير أن « ارتساخ » صمد بوجه كل الأخطار ، وتمكن من صدها ، معتمداً على قواه الذاتية ، وما توفر بين أيدي

سكانه من أسلحة محلية ، فحفظ التاريخ بطولاته ، وأصبح « ارتساخ » أو « قره باخ » رمز الاستقلال والإبقاء على الهوية والتراث .

أصيب الاقليم بالضعف في القرن السابع ، وبقي تحت الحكم العربي حتى نهاية القرن التاسع ، ثم عاد إلى الازدهار ، في القرن العاشر حين تغير اسمه الجغرافي وأصبح « خاتشين » ، وفي القرن الرابع عشر ، استخدم اسم « قره باخ » للمرة الأولى .

و« قره باخ » كلمة تركية ، تعني الكرمة السوداء ، لكن أصلها اللغوي غير واضح ، ويخضع لعدة تفسيرات . فهناك من يزعم أن الاسم ظهر بسبب زراعة أشجار التوت الأسود ، ويقول آخرون أنه أطلق على مجموعة من الغرباء حاولت مهاجمة الاقليم وحلت بها الهزيمة ، لكن المؤرخ الفارسي عبد الله القزويني ، يعتقد أن الاسم الذي استخدم منذ عام ١٣٣٤ ، هو « آراني قرح باخ » ويعني المنطقة التي تقع على الضفة اليمنى لنهر الكور ، أما الاسم الشائع حالياً ، فهو اقليم قره باخ الجبلي ، موضع هذا البحث ، واقليم قره باخ السهلي الذي يقع شرق سهل موغان .

ونعود إلى إمارة « خاتشين » التي كانت ظاهرة بارزة في تاريخ الاقليم ، فنجد أنها انقسمت إلى خمس إمارات أرمنية ، حمل حكامها لقب ملك في مطلع القرن السابع عشر وهي :

ــ كولسيران : وحكمتها أسرة بيكلاريان .

ــ تشرابيرت : وحكمتها أسرة إسرائيليان .

ــ خاتشن : وحكمتها أسرة شالاليان .

ــ فاراندا : وحكمتها أسرة شاه ناظاريان .

ــ تيزاك : وحكمتها أسرة أفانيان .

وقد شكلت هذه الإمارات أو الممالك تحالفاً عسكرياً فيما بينها عام ١٩٢٧ ، عرف بتحالف الممالك الخمس ، وذلك للدفاع عن نفسها ، ضد هجمات الأتراك والفرس المتلاحقة ، ولم يقتصر دور هذا التحالف على شؤونه الخاصة ، بل اهتم بالشؤون القومية الأرمنية العامة ، حيث أوفد عدة بعثات إلى روسيا ودول أوروبا الغربية ، للحصول على دعمها وتأييدها من أجل تحرير الشعب الأرمني من الهيمنة التركية والفارسية .

· وبقيت إمـارات قره باخ الأرمنيـة على قوتها مدة طويلة من الزمن تمتعت خلالها بالاستقلال الحقيقي من عام ١٧٢٢ إلى عام ١٧٣٠ ، تحت لواء الزعيم داوود بك القره باخي ، الذي هزم العثمانيين في معركة « هيلستور » .

لكن التفكك أصاب هذه الإمارات أواخر القرن الثامن عشر ، حين استولى شاه ناظاريان على إمارة فارندا ، بعد أن قتل أخاه الملك « هوسيب » وعائلته غدراً ، وخشية من الأمراء الآخرين ، استعان بالقوى الخارجية ومنها زعيم إحدى القبائل التركية واسمه « باناه علي » ، الذي حشد قواته في حصن « شوشة » ، حيث تم إنشاء أول مملكة أجنبية في إقليم قره باخ الجبلي ودامت حتى عام ١٨٢٢ .

ونتيجة للمعركة التي دارت بين قوات روسيا القيصرية والفرس قرب اتشمياتزين عام ١٨٠٤ ، والتي انتهت بهزيمة الفرس ، تمكنت القوات الروسيـة من الاستيـلاء على بعض المنـاطق الأرمنيـة ، ومنها مقاطعة قره باخ ، وذلك في العام ١٨٠٥ ، وبموجب معاهدة جلستان المبرمة بين روسيا القيصرية وإيران في عام ١٨١٣ ، أقرت إيران بالسيطرة الروسية على أقاليم الشمال وما وراء القوقاز ومنها أقاليم ارتساخ وجمرى وناخشيفان .

ورغم أن انضواء الأرمن تحت السيطرة الروسية كان طوعياً ، إلا أنهم لم ينالوا كامل حقوقهـم في الحيـاة ، والحرية في مقدمة هذه الحقوق ، بل ظلوا تحت وطأة المعـاناة من السياسة القيصرية من جهة ، وهجمات الأعداء في المناطق المجاورة من جهة ثانية . ولكن الشعب الأرمني وهو النشيط ، المثابر على العمل والجهاد معاً ، حافظ على كيانه ، لا سيما في اقليم ارتســاخ الذي بات منيعاً على الأعداء ، منظماً شؤونه السياسية والاقتصـادية والثقافية والاجتماعية على أحسن وجه ، حتى إن مدينة شوشـة ، أصبحت محبح الثقافة الأرمنية في جنوب القوقاز .

وعلى اعتبار أن سياسة روسيا القيصرية ، ابتدعت حدوداً إدارية للمناطق ، أساسها تجاهل التركيب العرقي ، وذلك لمنع قيام الكيانات الوطنية ، فإن إقليم « قره باخ » قاسى من هذه السياسة ، لا سيما حين تأسست مقاطعة « اليزابيتوبول » في عام ١٨٦٨ ، والتي ضمت ولاية كانتسـاك ومعظم سكانها من الأرمن ، وكذلك ولايات شوشـة وجبرائيل

وجيفانشر ونصف سكانها من الأرمن ، وهي ولايات تقع داخل اقليم قره باخ ، وبذلك ، بات من الصعوبة إجراء أي نوع من التعديل الإداري في العهد القيصري .

وحين قامت الثورة الروسية الأولى في عام ١٩٠٥ ، امتدت إلى إقليم ما وراء القوقاز ، لكن السلطان القيصرية تمكنت من إخمادها ، وأخذت تغذي النعرات الدينية والعرقية ، لتخريب الثورة ، والحد من نموها وتطورها ، وقد استجاب إلى هذه السياسة ، الأذربيجانيون وعلى رأسهم أحمد أغايف بك ، الذي ارتكب عدة مذابح بحق الأرمن ، في باكو وشوشي وكانتشاك وناخشيفان ويريفان ، وامتدت هذه الفترة العصيبة من عام ١٩٠٥ إلى ١٩٠٧ ، حيث ثبت أن الأذربيجانيين هم المبادرون للاعتداء على الأرمن بتشجيع من رجالات النظام القيصري .

وحين قامت ثورة شباط عام ١٩١٧ ، أصدرت الحكومة المؤقتة مرسوماً يقضي بتشكيل لجنة خاصة لإقليم ما وراء القوقاز عرفت باسم « الأوزاغوم » من خمسة أعضاء بينهم ميكائيل بابازيان ، لكن هذه اللجنة لم تتمكن من تحقيق أي عمل ، في حين تفاقمت حدة الخلاف بين الأحزاب والقوى السياسية على مختلف اتجاهاتها ، لا سيما إزاء المصالح القومية التي على قاعدتها ، انعقد المؤتمر الأرمني الوطني الأول في تفليس ، من ١١ إلى ٢٥ تشرين الأول ، وانتخب لجنة من ١٥ عضواً ، لم تتمكن من اتخاذ قرارات معينة .

وإثر نجاح ثورة أكتوبر ، لم تعترف المنظمات والأحزاب المناوئة لها في القوقاز ، بالسلطة السوفييتية المركزية ، وأعلنت توليها السلطة في إقليم ما وراء القوقاز ، واتخذت من تفليس مركزاً لها ، وشكلت حكومة شارك فيها ممثلون عن أرمينية وأذربيجان وجورجيا ، كما أنشأت برلماناً خاصاً بها ، أسمته « السيم » ، وأطلقت على إقليمها اسم « جمهورية ما وراء القوقاز الديمقراطية الفيدرالية » . وأثناء ذلك ، بدأ الجيش الروسي المتمركز على جبهة القوقاز بالانسحاب بناء على أوامر لينين ، والعودة إلى الداخل للدفاع عن الثورة والسيطرة على الوضع ، فاستغلت القوات العثمانية هذه الظروف ، وشنت هجوماً في شهر شباط على اقليم القوقاز للاستيلاء عليه ، الأمر الذي أدى فيما بعد إلى انحلال الجمهورية الكونفدرالية ، في ٢٦ أيار ، ثم إعلان كل جمهورية استقلالها ، وأنتهى الهجوم العثماني ، إلى

دخول القوات العثمانية مدينة باكو في ١٥ أيلول ، وبذلك أصبح اقليم ما وراء القوقاز تقريباً في قبضتها .

إلا أن هذه السيطرة كانت قصيرة الأجل ، بسبب هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ، مما يعني انسحاب قواتها من جهة القوقاز ، ودخول قوات الحلفاء مكانها .

ومنذ أن بدأ الانسحاب ، أخذ العثمانيون بالتعاون مع الأذربيجانيين يهاجمون القرى الأرمنية ، لدرجة أنه تم عزل سكان قره باخ عن العالم الخارجي ، الأمر الذي حدا بالأرمن إلى الاعتماد على قدراتهم وقوتهم الذاتية ، فتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم ورفضوا الامتثال لأوامر السلطة الأذربيجانية . وبعد انسحاب القوات العثمانية ، حلت القوات البريطانية مكانها .

وفي تشرين الثاني ١٩١٨ ، أقيمت في قره باخ سلطتان متنافستان ، الأولى أرمنية في شوشة بزعامة غيراسيم شاه ناظاريان ، والثانية أذربيجانية في جبل حاج ساملو بزعامة خسروف سلطانوف ، ونتيجة عدم وجود أي تفاهم بين الطرفين ، دخل الجنرال أوزانيان بقواته إلى الاقليم في ٢٩ تشرين الثاني ، وانتصر على قوات السلطة الأذربيجانية بعد معركة استمرت ثلاث أيام ، وحين اعتزم السير إلى شوشة تلقى أمراً بالتوقف من القيادة البريطانية التي أرسلت في كانون الأول قوة عسكرية إلى المدينة المذكورة .

وعلى اعتبار أن بريطانيا كانت تسعى إلى وضع باكو ضمن دائرة نفوذها ، لم تتردد بالتآمر على حقوق الشعب الأرمني ، من خلال إرضائها للسلطة في أذربيجان وبخاصة سلطانوف المعروف بعدائه الشديد للأرمن ، والذي أخذ يرتكب أعمال التنكيل في قره باخ تحت مرأى البريطانيين ، مما أدى إلى مظاهرات احتجاج غاضبة في يريفان وتفليس .

وفي ٢٨ حزيران ١٩١٩ ، قرر الأرمن المجتمعون في قره باخ ، إيفاد ثلاثة مندوبين إلى باكو للتفاوض مع السلطة الأذربيجانية ، وبالفعل أسفرت المفاوضات عن اعتراف أرمني مؤقت بالسلطة الأذربيجانية على أن يتقرر مصير الاقليم في مؤتمر الصلح المنعقد في باريس ، وعلى أن يتمتع بحكم ذاتي ، ويتولى إدارته مجلس مشترك يتألف من ثلاثة أرمن

وثلاثة أذربيجانيين ، وأن يكون لحاكمه نائب أرمني ، وقد انتخب لهذا المنصب جيجي كلانتاريان .

وإلى مؤتمر باريس ، تقدم الأرمن بمذكرة تطالب دول الحلفاء الاعتراف بأرمينية دولة مستقلة ، وأن تعاد إليها أراضيها المشروعة وهي الولايات الستة التي خضعت للدولة العثمانية ، وولايات وأقاليم ناخشيفان وقره باخ وصورمالو وزنجزوز ولوري وأخالكاني ، لكن الأتراك والبريطانيين التقوا على أرضية المصالح المشتركة ضد الأرمن وحقوقهم ، فانتهت المرحلة الأولى من مؤتمر باريس إلى توقيع معاهدة فرساي عام ١٩١٩ ، ثم معاهدة سيفر عام ١٩٢٠ ، والتي تضمنت اعترافاً دولياً باستقلال أرمينية ، لكنها تركت مسألة رسم الحدود ، منوطة بين أرمينية وأذربيجان ، وفي ١٠ آب عام ١٩٢٠ ، عقدت معاهدة تفليس بين أرمينية وجمهورية روسيا السوفييتية ، تضمنت وعداً باعتراف الأخيرة بها رسمياً ، ووقف القتال بين قواتهما الناجم عن دخول القوات الروسية إلى أذربيجان وسيطرتها على قره باخ وزنجزور وناخشيفان .

إلا أن القوات التركية عادت إلى الهجوم على أراضي أرمينية التي طلبت المساعدة من روسيا ودول الحلفاء ، وانتهى القتال بين الطرفين ثم مفاوضات الصلح إلى معاهدة اسكندربول في كانون الأول ، ١٩٢٠ ، والتي أكدت على إقامة جمهورية في اقليم ناخشيفان تكون مرتبطة بأذربيجان ، الأمر الذي أدى في النتيجة إلى اعتبارها جمهورية ذات حكم ذاتي بدءاً من شباط ١٩٢٣ .

وفي ١٦ آذار ١٩٢١ ، عقدت معاهدة موسكو بين روسيا وتركيا ، للصداقة والتعاون ، والتي ألحقت ضرراً بحقوق الشعب الأرمني ، لأنها أقرت سلخ ناخشيفان عن أرمينية ، وألغت المعاهدات السابقة ، ونصت على إعادة النظر برسم الحدود . واستغلت السلطات الأذربيجانية مجمل تلك الأوضاع ، فتابعت التنكيل بالأرمن ، وطلبت منهم إخلاء مناطق قره باخ وزنجزور ، إلا أنه وبعد قيام جمهورية أرمينية السوفييتية ، أصدر المكتب السياسي للحزب الشيوعي الأذربيجاني بياناً أعلن فيه أن الدماء لن تراق بعد اليوم وأن إقليمي زنجزور وناخشيفان جزء لا يتجزأ من أرمينية وأن لاقليم قره باخ الجبلي الحق الكامل في تقرير مصيره . لكن ظهر فيما بعد أن هذا البيان كان مجرد دعاية مضللة .

وحين أخذ التعـاون السوفييتي التركي يزداد ، احتل موضوع تخطيط الحدود بين جمهوريات ما وراء القوقاز أهمية خاصة ، وبدأت سلسلة من الاجتماعات المغلقة من أجل الفصل في هذه المسألة . ففي الثاني من أيار ١٩٢١ ، شكل المكتب القوقازي للحزب الشيوعي ، لجنة خاصة للبت في مسألة الحدود برئاسة سركي كيروف ، ومثل جورجيا فيها كل من « شفانيدزه » ، و« تودريا » ، وأذربيجان كل من حسينوف ، هاجينسكي رسول زاده ، ولم يمثل أرمينية سوى عضو واحد هو بيكازاريان ، مما يعني أن التمثيل غير متكافئ وأن النتائج مقررة مسبقاً .

وبدأت اللجنة اجتماعاتها في تفليس في ٢٥ حزيران ، وأكد ممثل أرمينية في الجلسة الأولى على ضرورة دراسة التقسيمات الإدارية غير العادلة ، وطالب بإعادة المناطق الأرمنية ، وقال أنه خلال مباحثات أجراها سابقاً في موسكو مع كل من مياسنيكيان وستالين ، حول موضوع قره باخ ، أبدى ستالين دعمه الخاص للمطالب الأرمنية . لكن أعضاء اللجنة عارضـوا أقوال بيكزاريان ، ورفضـوا مطـلب تعديل الحدود ، واتفق معهم رئيس اللجنة السوفييتي « كيروف » . ولما انتهت أعمال اللجنة إلى طريق مسدود ، رفع الممثل الأرمني المسألة إلى المكتب القوقازي مباشرة .

ويذكر أن المكتب المذكور ، كان قد اتخذ قراراً في الثالث من حزيران بتصفية الثوار في زانكيزور ، وجاء في القرار أنه على حكومة أرمينية أن تعلن انتماء اقليم قره باخ الجبلي لها . واستنـاداً إلى هذا القرار ، أصدرت الحكومة الأرمنية فعلاً بياناً في ١٢ حزيران جاء فيه « استناداً إلى إعلان اللجنة الثورية لجمهورية أذربيجان السوفييتية الاشـتراكية والاتفاقية المبرمة بين أذربيجان وأرمينية ، نعلن أن اقليم قره باخ الجبلي هو من الآن وصاعداً جزء لا يتجزأ من أرمينية » .

كما يذكر أيضاً ، أن الأرمن في زانكيزور أعلنوا ثورة شعبية في ١٠ تشرين الأول ١٩٢٠ ، ضد التنكيل الذي لحق بهم في ظل تواجد الجيش الروسي الحادي عشر في أقاليم فره باخ وزانكـيزور وناخشيفان ، وبفضـل هذه الثورة بقي اقليم زانكزيور داخل حدود أرمينية .

ونعود إلى إعلان ١٢ حزيران المتعلق باقليم قره باخ ، فقد عينت حكومة أرمينية ،

اسكناز مرافيان ممثلاً لها في هذا الاقليم ، وحين توجه في ٢٥ حزيران برفقة أسعد كاريف من تفليس إلى قره باخ ، أعلمه كاريف بوجوب الذهاب إلى باكو أولاً لتسوية قضية الاقليم ، لكنه رفض الفكرة ، وأعلن احتجاجه على سياسة الأمر الواقع ، وفي هذه الأثناء اتخذ المكتب السياسي للجنة المركزية الأذربيجانية قراراً بعدم توحيد قره باخ مع أرمينية .

وفي ٢ تموز ، بدأ مكتب القوقاز سلسلة جلسات موسعة بمشاركة ٥١ مندوباً لبحث العلاقات بين الهيئات المركزية السوفييتية والجمهوريات الأخرى ، وفي جلسة ٤ تموز طرحت مسألة قره باخ الجبلي ، وحضرها ثمانية ممثلون عن أذربيجان وجورجيا وأرمينية بالإضافة إلى ستالين نفسه ، وكان على جدول أعمالها أربعة اقتراحات نوردها فيما يلي مع نتائج التصويت عليها :

أولاً : إبقاء قره باخ ضمن حدود أذربيجان بصورة تامة .

وقد وافق على هذا الاقتراح ممثلا أذربيجان ناريمانوف ونظاروف ، وواحد من ممثلي جورجيا وهو ماخارادزه .

وعارضه ممثل أرمينية مياسينكيان ، والجورجي أورتشو نيكيتسه ، والسوفييتيان كيروف ، وفيكاتنز .

ثانياً : إجراء استفتاء حول تقرير المصير يشارك فيه الأرمن والأذربيجانيون ووافق على الاقتراح ناريمانوف وماخارادزه ، وعارضه الباقي .

ثالثاً : ضم اقليم قره باخ الجبلي إلى أرمينية ، ونال موافقة أربعة أصوات .

رابعاً : إجراء استفتاء بين الأرمن فقط ، ونال موافقة خمسة أصوات .

وبذلك ، انتهت اجتماعات المكتب ، إلى إقرار ضم اقليم قره باخ الجبلي إلى أرمينية ، وإجراء استفتاء بين سكانه فقط . إلا أن ناريمانوف ، عارض هذه القرارات ، وطالب بإحالة المسألة إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي . تحت ذريعة إجراء المزيد من الدراسة حولها ، وبموافقة المكتب على هذا الاحتجاج ، قرر الاستجابة لطلب ناريمانوف ، لكن الإحالة لم تتم ، وذلك لأن ستالين ألغى نتائج التصويت التي جاءت لصالح أرمينية ،

كما ألغى نتائج اجتماعات الرابع من تموز نفسه ، ومنح الاقليم استقلالاً ذاتياً ، وبعد عامين ، وفي السابع من تموز ١٩٢٣ ، أعلن رسمياً أن اقليم قره باخ الجبلي ، هو اقليم ذو حكم ذاتي خاضع لإشراف السلطة الأذربيجانية .

وقبل الانتقال إلى التطورات الجديدة التي طرأت على قضية قره باخ والتي بدأت بانتفاضة شباط عام ١٩٨٨ ، نجد أنه لا بد من الحديث عن المرحلة التي أعقبت الضم غير الشرعي إلى أذربيجان ، فالمعروف أن الأرمن ، رفضوا على مدى التاريخ المعاصر سلخ هذا الاقليم وغيره من المناطق عن الوطن الأم . إذ بعد قرار تموز ١٩٢٣ ، تداعت الجماهير الأرمنية إلى حشد قواها للمطالبة بالتصحيح الجغرافي والقومي ، الأمر الذي أسفر خلال عامي ١٩٢٧ ــ ١٩٢٨ ، إلى توقيع مذكرة شعبية تحمل آلاف التواقيع ، تطالب بتوحيد المناطق الكائنة جنوبي جسر مدينة كانتساك مع اقليم قره باخ الجبلي ، ومن ثم توحيد الاقليم ككل مع أرمينية .

وقد باءت هذه المحاولة بالفشل بسبب سياسة القمع الستاليني . ومع ذلك ، فاليأس لا مكان له أمام إرادة شعب يطالب بحقه ، حيث قام أغاسي خانجيان رئيس الحزب الشيوعي الأرمني ، بمحاولة أخرى حين أثار موضوع إعادة الأراضي الأرمنية إلى الوطن الأم ، لكنه اغتيل في ظروف غامضة ، وفي عام ١٩٤٥ ، أرسل كريكور هاروتيونيان ، السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرمني ، رسالة إلى ستالين يقترح فيها ضم اقليم قره باخ إلى أرمينية ، لكن الطلب أهمل ومات ، وفي عام ١٩٦٢ ، وجه سكان الاقليم رسالة وقع عليها ثلاثة آلاف أرمني ، إلى نيكيتا خروشوف طالبوا فيها بالانضمام إلى أرمينية تحقيقاً للعدالة ، لكن دون جدوى . وفي غضون ذلك ، ازداد السخط الشعبي الأرمني ، وقوبل بممارسات سرية إرهابية من قبل الأذربيجانيين ، حيث كشف النقاب في عام ١٩٦٧ عن ازدياد عدد الأرمن الذين قتلوا سراً ، مما أدى بالسلطة الأذربيجانية إلى إرسال قوات عسكرية إلى اقليم قره باخ بحجة ضبط النظام ، لكن الحقيقة هي تشجيع النعرات وارتكاب الفظائع ، إذ تم اغتيال عدد من المفكرين الأرمن بمنتهى الوحشية .

وفي عام ١٩٧٧ ، وجه الروائي الأرمني المعروف « خانزاتيان » رسالة إلى ليونيد

بريجينيف ، أكد فيها على ضرورة إيجاد حل عادل لقضية قره باخ ، ومع الإشارة إلى العديد من المقالات والوثائق التي ظهرت أواخر الستينيات ، إضافة إلى رفض الأرمن الدائم للظلم والقهر ، لا يبدو غريباً اندلاع الأحداث في شباط من العام ١٩٨٨ .

إذ ، منذ منتصف شباط ، سلطت الأضواء ، على تطورات لم يكن مسموحاً بها سابقاً في الاتحاد السوفييتي ، فقد قرر الأرمن إثارة مسألة فصل إقليم قره باخ الجبلي عن أذربيجان وأعادته إلى أرمينية الوطن الأم . وفي جلسة خاصة عقدت في ٢٠ شباط ، وجه مجلس السوفييت في أرمينة ، مطلباً بهذا الخصوص إلى موسكو ، تمشياً مع الدستور والقوانين . لكن الرد كان قاسياً وفظاً ، مما أدى إلى تفجير الأحداث ، خاصة وأن السلطات العليا في موسكو ، كانت قد تجاهلت مناشدة أكثر من مائة ألف أرمني لتوحيد الاقليم مع الوطن الأم قبل عام واحد من الأحداث المذكورة .

وهكذا اندلعت المظاهرات في ستيباناكرت ، ويريفان ، واكتسبت تأييد الملايين من الأرمن في سائر جمهورية أرمينية . وإزاء ذلك ، أرسلت موسكو أربعة مسؤولين إلى كل من قره باخ ويريفان لدراسة الوضع واتخاذ التوصيات المناسبة ، كما وجه الرئيس غورباتشوف رسالة عامة لتهدئة الأوضاع .

وفي ٢٨ شباط ارتكبت أعمال عدائية ضد المدنيين الأرمن في أذربيجان وبخاصة في مدينة سوميفيت ، وقد حاولت بعض وسائل الإعلام الغربية بإيحاء من بعض الأطراف الدولية الخارجية ، إضفاء الطابع الديني على تلك الأحداث ، وذلك لطمس حقائق التاريخ القومية .

وفي ١٨ تموز عقدت هيئة رئاسة مجلس السوفييت الأعلى في الاتحاد السوفييتي ، جلسة بحثت فيها قرار جمهورية أرمينية القاضي بانضمام قره باخ الجبلي إليها ، وقرار أذربيجان الرافض لهذا القرار . وبنتيجة التداول والمناقشة ، اتخذت الهيئة قراراً باستحالة تعديل الحدود ، وشكلت لجنة لتطبيع الوضع بين الطرفين ، وبتاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٨٩ ، أنشئت لجنة حاكمة خاصة ، كحل مؤقت . بيد أن المرحلة التي تلت هذا القرار ، برهنت أن ضربة جديدة وجهت لمصالح أرمينية ، فقد أصدرت السلطة المركزية في

موسكو قراراً بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني من العام نفسه ، ألغى اللجنة الحاكمة وأعاد اقليم قره باخ الجبلي إلى أذربيجان ، وهكذا اعتبر الأرمن أنهم عادوا إلى البداية .. بداية الانطلاق من جديد ، باتجاه الدفاع عن الحقوق القوميـة ، واستعادتها بالسبل المناسبة ، وهذا ما سيحدث مستقبلاً .

الملحق الثاني

كَارِثَـةُ الـزِّلـزَالْ

« عندما أرى عمال الإنقاذ
يفرقون في الركام ..
وهم يسمعون صوتاً ..
آتياً لهم من تحت ..
ينشطر قلبي
لأنني لست معهم ..
هناك ..
في ليننا‌كان ... في سبيداك ... في كيروفاكان
ينشطر قلبي ...
لأن تلك الأيدي ..
ليست يدي المجروحتين ..
بالحجارة المسننة ...
واللتين تنزفان دماً » ...

لم يكف الشعب الأرمني ، ما تعرض له من ويلات ومحن عبر تاريخه الطويل ، المليء

بالغزو والاحتلال والتشريد والتهجير والإبادة والدم ، بل حلت به نكبات الطبيعة التي لم ترحم آلامه وجراحه ، فكانت كوارثها ، مآس ، تضاف إلى تاريخ هذا الشعب ، الذي لم يعرف القنوط والخنوع ، فصمد وقاوم وصبر وتجلد ، من أجل الوجود والبقاء الحر الكريم .

ولأن أرمينية ، أرض الزلازل والهزات الأرضية ، فقد اعتاد شعبها على تململ الأرض من وقت إلى آخر ، حيث لم يكن الزلزال المدمر الذي ضربها في العام ١٩٨٨ ، هو الأول من نوعه ، بل تعرضت قبله على مر العصور ، إلى سلسلة من الهزات والزلازل ، نذكر منها ، زلزال عام ٨٩٤ ، وزلزال عام ١٠٤٦ الذي أفنى مدينة « ايني » العاصمة القديمة لأرمينية ، ثم زلزال ١٦٧٦ ، وزلزال ١٨٤٠ ، وزلزال ١٩٢٦ ، الذي ضرب مدينة لينناكان .

أما زلزال ١٩٨٨ ، فقد كان الأسوأ والأكثر دماراً ، في منطقة القوقاز ، خلال المائة عام الأخيرة ، حسب ما أجمع عليه خبراء الهزات الأرضية والزلازل ، حيث بلغت قوته ٦,٩ درجات وفق مقياس ريختر ، الذي يتضمن ٩ درجات ، كما بلغت ١٠ درجات ، حسب مقياس « ميركالي » المعتمد في الاتحاد السوفييتي ، والذي يتضمن ١٢ درجة .

ففي ذلك اليوم ، يوم الأربعاء الواقع في السابع من كانون الأول عام ١٩٨٨ ، وعند الساعة الحادية عشر وأربعين دقيقة ، كان الموعد مع الكارثة الأليمة ، وكان الزمن الفاصل بين الحياة والموت ، ثلاثون ثانية فقط ، وهي مدة الهزة المدمرة التي ضربت ثلاثة مدن رئيسية وأكثر من خمسين قرية ، وأسفرت عن مقتل وإصابة مائة ألف شخص ، وتشريد أكثر من خمسمائة ألف .

وعلى الرغم من مرور أكثر من عامين على هذه النكبة ، فإن المحصلة النهائية لعدد الضحايا لم تعلن على الوجه الدقيق ، وذلك بسبب وجود عشرات الآلاف من الأرمن الذين لجأوا إلى أذربيجان إلى منطقة الزلزال وعلى الأخص مدينة سبيداك ، نتيجة الأحداث التي قامت بين أرمينية وأذربيجان بشأن اقليم قره باخ . إلا أن الأرقام التقديرية ، أكدت مقتل ما لا يقل عن خمسين ألف شخص . أما بالنسبة للأضرار المادية فقد قدرت بثلاثة عشر مليار دولار . إذ ، استناداً إلى المعلومات التي نشرت عن هذه الأضرار ، تبين أن

الزلزال دمر مدينـة سبيداك التي يبلغ عدد سكانها خمسون ألف نسمة ، دماراً كاملاً ، وبلغت نسبـة الدمار في مدينـة « لنيناكان » التي تضم حوالي ثلاثمائة ألف نسمة ٨٠٪ بالمائة ، كما بلغت نسبة الدمار في مدينة كيروفاكان التي تضم حوالي مائتي ألف نسمة ٥٠ بالمائة .

ومنذ اليوم الأول للكارثة ، غرقت المنطقة المنكوبة في الظلمة ، نتيجة تعطل الشبكة الكهربائية ، إضافة لإنعطاب الطرق ، والسكك الحديدية ، وشبكات المياه والهاتف .

ثلاثون ثانية ، مدة الهزة ، وإنتهى كل شيء ، هدير الأبنية التي أخذت بالإنهيار ، يملأ السماء طاغياً على عويل النسوة وبكاء الأطفال ، أما النبأ ، فقد هز ضمير العالم الذي هرع للإنقاذ والمساعدة ، ولكن من الأقرب إلى ذلك ، لقد كان سكان يريفان أول من هب للعون ، إذ لمجرد سماعهم النبأ ، وهم الذين يبعدون عن لنيناكان حوالي ١٥٠ كم ، إندفعوا بسياراتهم إلى المناطق المنكوبة ، كما عجت المشافي والمستوصفات بآلاف المتبرعين بالدماء ، ولدى وصولهم إلى تلك المناطق ، كان الناجون يشعلون الأخشاب إتقاء للبرد ، ويبذلون كل جهودهم لإنقاذ الأحياء ، وإنتشالهم من تحت الأنقاض .

وحول هذه المسألة ، إندلع جدل واسع ، بشأن التقصير في عمليات الإنقاذ من جهة ، والتقصـير في علم الزلازل والتنبه لها من جهة ثانية ، فقد إفتقرت الأيام الثلاثة الأولى إلى الرافعات الكبيرة ومولدات الكهرباء والخيم ، وهي من المستلزمات الأسـاسية لعمليات الإنقاذ ، أما فيما يتعلق بالإنذار المبكر ، فقد أكد العلماء أن مثل هذا الزلزال كان متوقعـاً منذ مدة طويلة ، ونورد فيما يلي ما نشـرته جريدة (سوفيا ... تسكايا ... روسيا) على لسان العالم م . ج سوبوليف مدير معهد فيزياء الأرض في موسكو : (لقد وضع معهدنا منذ عام ١٩٨٥ ، قائمة بالزلازل المتوقعة في القوقاز ، وبرزت فيها منطقتي لنيناكان وستيباناكان ، على أنهما الأكثر تعرضاً للهزة المدمرة) .

كذلك قـال الأكاديمي السـوفيـتي (لافـيروف) نـائب رئيس أكاديميـة العـلوم السوفييتية ، أن العلماء في هذه الأكاديمية ، سبق وأن تنبأوا وحذروا في عام ١٩٨٦ ، من أن المنطقة التي ضربها الزلزال ، هي من أخطر المناطق المعرضة للزلازل .

على أية حال ، وكما ذكرنا ، فالكارثة هزت العالم ، وأخذت المساعدات تتدفق إلى المناطق المنكوبة من كل صوب ، حيث وصلت فرق إنقاذ بمعداتها المتطورة من فرنسا وألمانيا وبريطانيا والسويد وبلغاريا ، وسرعان ما تجاوز عدد الخبراء والأطباء الأجانب الألفين ، كذلك تدفقت الأغذية والأدوية والأغطية والملبوسات والتبرعات المالية ، من أكثر من سبعين دولة ، كانت سورية في مقدمتها ، لما يربط الشعبين من صداقة ووشائج متينة ، حيث أرسلت إحدى عشر طائرة محملة بجميع أنواع المساعدات العينية بتوجيه كريم ونبيل من الرئيس حافظ الأسد .

ومما يسجل بشأن المساعدات الدولية وحجمها الذي لم يسبق له مثيل إزاء أية كارثة مماثلة في العديد من بقاع العالم الأخرى ، أنها جائت كمحصلة طبيعية للمكانة التي تبوأها الأرمن ... في مختلف الدول ، نتيجة إخلاصهم وأمانتهم ومساهمتهم في البناء الوطني لهذه الدول .

كذلك يجدر بالذكر ، أن شعب فلسطين في الأراضي المحتلة ، ساهم بتقديم يد العون لشعب أرمينية ، من خلال التبرع بالدم ، وتقديم الأغطية التي نسجتها النساء الفلسطينيات ، اما المعونات التي حاولت (إسرائيل) إرسالها إلى أرمينية ، فقد أكدت الحكومة الأرمينية رفضها ، وإعادتها قبل وصولها ، كما رفضت إستقبال فرق إنقاذ من (إسرائيل) .

وإستغرقت عمليات الإنقاذ حوالي أسبوعين ، بدأت بعدها مرحلة إزالة آثار الزلزال ، والتي تضمنت تفجير المباني المتبقية ، وترحيل الأنقاض التي بلغ حجمها ٤ ملايين متر مكعب أو ما يقارب ٨ ملايين طن .

بعد ذلك بدأ البناء من جديد ، وأخذ الأمل بالمستقبل يكبر ويكبر ، وكان شعب أرمينية يردد مع شارل ازنافور ، كلمات الأغنية التي وضعها خصيصاً للكارثة ، والتي تقول :

« مرة أخرى ... سيزهر الربيع ... وستولد أيام جديدة بعد الشتاء ... بعد الجحيم ... ستنمو شجرة الحياة ... من أجلك يا أرمينية » .

الدمار في سبيداك



فرقة إنقاذ فرنسية في لينناكان





لقطات من الزلزال
الكارثة عام ١٩٨٨



الملحق الثالث

أهمّ الأحداث في تاريخ الشّعب الأرمني

٢٢٠٠ ق . م : ظهور الملك الأسطوري « هايك » ، قائد الشعب الأرمني في هجرته إلى أراضي أرمينية الحالية .

٨٨٠ ــ ٥٩٠ ق . م : نشوء مملكة أورارطو حول بحيرة « وان » وعاصمتها توشبا ، وأول ملوكها « آرامي » .

٧٨٢ ق . م : تأسس قلعة ايريبوني في عهد ارجتشي الأول ، وهي مدينة يريفان الحالية .

٦١٢ ق . م : أول ذكر مؤكد للأرمن في التاريخ ، من خلال مشاركتهم بقيادة الملك بارويr مع الكلدانيين والميديين بفتح مدينة نينوى عاصمة الآشوريين ، وهي الدولة الأرمنية القديمة الأولى .

٤٠١ ــ ٢٠٠ ق . م : الدولة الأرمنية القديمة الثانية .

١٩٠ ق . م : الدولة الأرمنية القديمة الثالثة ، بقيادة ارتكسياس الأول .

٩٥ ق . م : عهد الملك ديكران الأكبر الثاني ملك الملوك .

٣٤ ق . م : الدولة الأرمنية القديمة الرابعة بقيادة الملك ارشاك الأول .

١٣٠ م : تأسس مدينة فغار شباط التي أصبحت مدينة اتشمياتزين الحالية .

٣٠١ م : اعتناق أرمينية المسيحية ديناً رسمياً بفضل القديس غريغور المنور .

٣٨٧ م : تقسيم أرمينية لأول مرة في تاريخها بموجب معاهدة اسيليسني بين الفرس والرومان إلى قسمين شرقي وغربي .

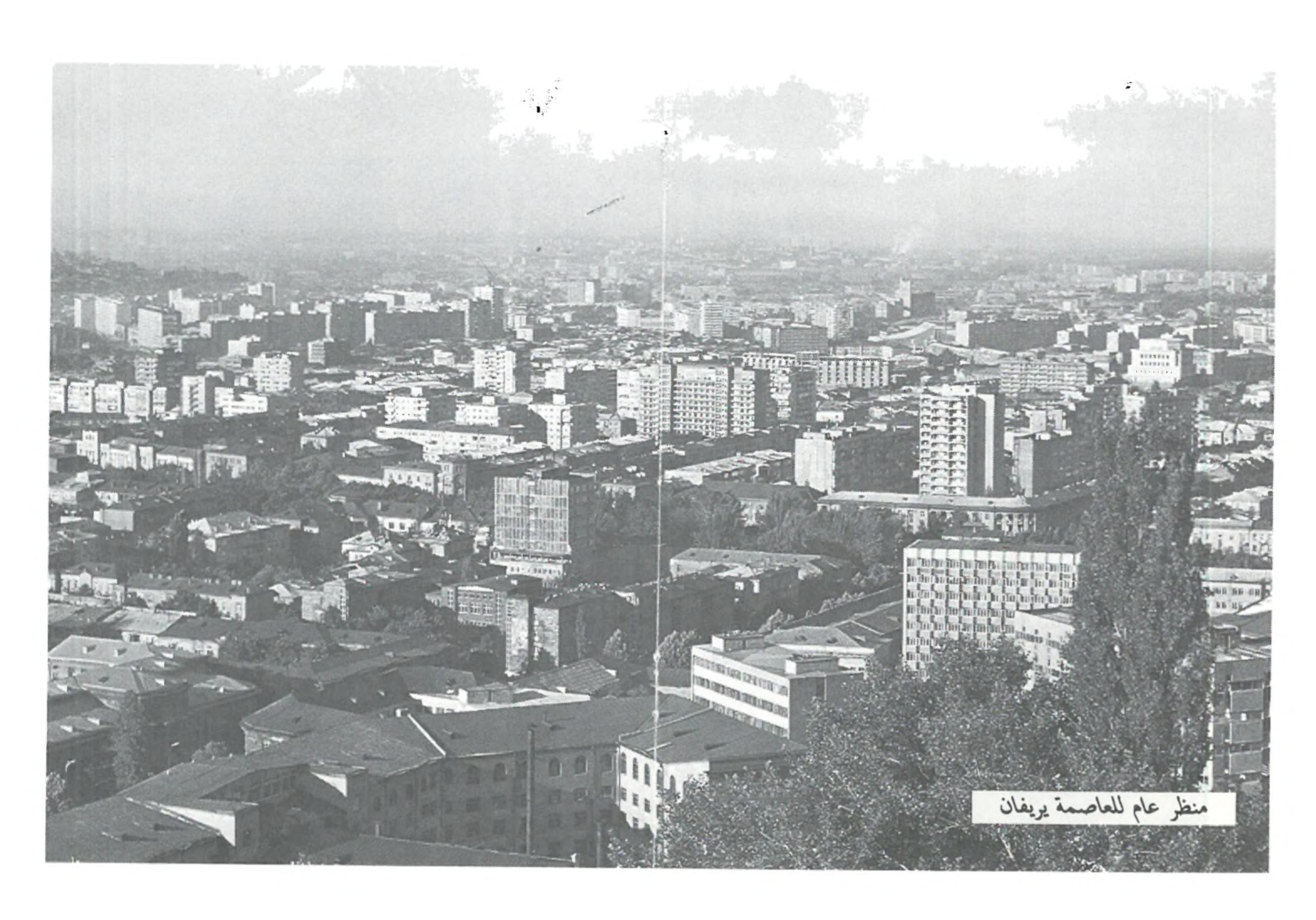
٤٠٤ م : ابتكار القديس مسروب مشطوطس ، الأبجدية الأرمنية .
٤٥١ م : معركة افراير التي تصدى فيها الأرمن بقيادة الأمير فارطان الأول ماميكونيان ، إلى محاولة الفرس فرض الوثنيةي عليهم بدلاً عن المسيحية .
٤٨٢ م : كتابة أول تاريخ لأرمينية ، على يد موسى الخوريني ، الملقب بهيرودوت الأرمن .
٥٢٢ م : بداية التقويم الأرمني الجديد .
٦٣٩ م : بداية الفتح العربي لأرمينية .
٦٤٥ ــ ٦٥٠ م : استكمال الفتح العربي لأرمينية .
٧٧١ م : ثورة الأرمن على دولة الخلافة العباسية بقيادة الأمير موشيغ الرابع .
٨٨٥ ــ ١٠٤٥ م : الدولة الأرمنية الأولى في العصور الوسطى ، وهي مملكة أرمينية الكبرى البجراطية .

٩٢٨ م : انتقال مقر الكنيسة الوطنية الأرمنية من دوين إلى أختمار .
٩٩٢ م : انتقال مقر الكنيسة الوطنية الأرمنية إلى مدينة « آني » .
١٠٤٦ م : أول غارة للأتراك السلاجقة على شرق الأناضول .
١٠٧١ م : انتصار السلاجقة على الروم في معركة ملاذكرد .
١٠٨٠ ــ ١٣٧٥ م : مملكة أرمينية الصغرى ، أو أرمينية في المنفى .
١٣٧٥ م : سقوط أرمينية الصغرى على يد دولة المماليك المصرية .
١٤٤١ م : انتقال مقر الكنيسة الوطنية الأرمنية إلى اتشمياتزين .
١٥٠٢ م : استيلاء الدولة الصفوية الفارسية على أرمينية وضمها إلى أملاكها .
١٥١٢ م : طبع أول كتاب باللغة الأرمنية في مدينة البندقية الإيطالية ، وهو كتاب التقويم الكنسي .

١٥١٤ ــ ١٥٤٨ م : استيلاء العثمانيين على أراضي أرمينية .
١٦٠٤ م : ضم الدولة الفارسية لأرمينية الشرقية من الدولة العثمانية بموجب معاهدتي اسطنبول وسراب .
١٦٠٥ ــ ١٧٢٢ م : قيام الممالك الأرمنية الخمسة في اقليم قره باخ .
١٦٦٦ م : طبع الكتاب المقدس لأول مرة باللغة الأرمنية في أمستردام .

١٧٢٢ ــ ١٧٣٠ م : استقلال الممالك الأرمنية الخمسة بزعامة داود بك القره باخي .
١٧٨٨ م : تأسيس أول مطبعة أرمنية في روسيا على يد غريغور خالديران ، وطبع أول قاموس أرمني ــ روسي .
١٧٩٤ م : صدور أول صحيفة أرمنية في العالم وهي ازدارار في مدينة مدراس بالهند .
١٨١٢ م : صدور أول صحيفة أرمنية في الشرق الأوسط وهي صحيفة « رقيب بيزنطة » .
١٨٦١ م : مذابح الأرمن في اقليم زيتون جنوب شرقي الأناضول على يد العثمانيين .
١٨٧٢ م : تأسس جمعية « اتحاد الخلاص » ، وهي أول جمعية ثورية أرمنية في الدولة العثمانية .
١٨٨٥ م : تأسس حزب « الأرمنغان » في الدولة العثمانية ومن زعمائه مكرديش برتوغاليان .
١٨٨٧ م : تأسس حزب « الهنشاق » في جنيف بمبادرة الطالبة الأرمنية مارو فارتابديان .
١٨٨٨ م : تأسس أول جمعية سرية عامة أرمنية في باريس برئاسة حنا بروسلي .
١٨٩٠م : تأسس حزب « الطاشناق » في تفليس ، وكان من مؤسسيه خرستوفر ميكائيليان .
١٨٩٢ م : تأسس « اتحاد العمال الأرمن الثوريين » في تفليس ومن مؤسسيه آشوط خوماريان .
١٨٩٤ م : المذابح الأرمنية في اقليم صاسون الجبلي في الدولة العثمانية .
١٨٩٦ م : استيلاء الفدائيين الأرمن على مبنى البنك العثماني في القسطنطينية في أول عمل ثوري من نوعه في التاريخ الحديث .
١٩٠٥ م : مذابح القوقاز التي دبرتها روسيا القيصرية لتخريب الثورة .
١٩٠٨ م : تأسس حزب « الرامغافار » في القسطنطينية .
١٩٠٩ م : المذابح الأرمنية في قليقية .

١٩١٤ م : انعقاد مؤتمر حزب الطاشناق في آرضروم .
١٩١٥ م : المذابح الأرمنية الكبرى .
١٩١٧ م : انعقاد المؤتمر الأول للأرمن الغربيين في يريفان لتنظيم عودتهم إلى أرمينية العثمانية .
١٩١٧ م : انعقاد المؤتمر الوطني الأرمني للأحزاب التقليدية الأرمنية في تفليس .
١٩١٨ م : مرسوم الحكومة الروسية السوفييتية بتأييد حق تقرير المصير لأرمينية العثمانية .
١٩١٨ م : ٢٨ أيار ، قرار استقلال أرمينية وتشكيل أول حكومة لها برئاسة كاشازوني .
١٩١٨ م : ٢٠ أيلول ، اغتيال الثوري الأرمنين ستيبان شاهوميان .
١٩١٩ م : انعقاد أول مؤتمر أرمني دولي في باريس .
١٩٢٠ م : قيام ثورة الحزب الشيوعي الأرمني للاستيلاء على السلطة وتشكيل حكومة سركيس كاسيان .
١٩٢١ م : ٨ شباط ، وقوع انقلاب في يريفان قام به حزب الطاشناق وإقامة حكومة فراطسيان .
١٩٢١ م : ٢ نيسان ، استرداد القوات الأرمنية بمساعدة القوات السوفييتية السلطة في يريفان .
١٩٢٢ م : تأسس جمهورية أرمينية الاشتراكية السوفييتية ، ووضع أول دستور لها .
١٩٢٧ م : إقامة سد « أغدير » على نهر الرس .
١٩٣٩ م : القضاء على الأمية تماماً في أرمينية .
١٩٣٩ م : هجرة الأرمن من لواء اسكندرون العربي السوري ، إثر تنازل فرنسا عنه لتركيا .
١٩٤٦ م : إنشاء مرصد بيوراكان قرب يريفان .
١٩٦١ م : تغذية جميع المشروعات المحلية بالكهرباء المولدة من مساقط مياه نهر رزدان .
١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ م : تولي انسطاس ميكويان رئاسة الاتحاد السوفييتي .
١٩٦٨ م : الاحتفال بمرور ٢٧٥٠ عاماً على تأسس مدينة يريفان .
١٩٨٨ م : أسوأ زلزال منذ ٨٠ عاماً يدمر عدة مدن أرمنية .
١٩٨٨ م : انتفاضة شباط للمطالبة باقليم قره باخ الجبلي .



منظر عام للعاصمة يريفان



رقص شعبي

مـراجـع الكتــاب

*** بالعربية :**

ـــ **الوثائق الرسمية لمجازر الأرمن** ، ابرام اندونيان ، بيروت ١٩٢٠ .

ـــ **مجازر الأرمن** ، بارو يرتسيان ، بيروت ١٩٨٦ طبعة جديدة .

ـــ **حياة على المتراس (ذكريات ومشاهدات)** ، ارتين مادويان ، بيروت ١٩٨٦ طبعة جديدة .

ـــ **دور الصهيونية في القضية الأرمنية** ، من منشورات الجيش السري الأرمني ، بيروت ١٩٨٤ .

ـــ **تيودور هيرتزل والقضية الأرمنية** ، مروان البحيري ، ١٩٧٧ .

ـــ **أرمينية في التاريخ العربي** ، أديب السيد ، ١٩٧١ .

ـــ **صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية** ، عثمان الترك ، ١٩٦٠ .

ـــ **تاريخ الأمة الأرمنية** ، كيفورك استارجيان ، ١٩٥٠ .

ـــ **من هم الأرمن** ، حنا احمريان ، ١٩٧٨ .

ـــ **الأرمن في مصر** ، ارشاك بوياجيان ، ١٩٦٠ .

ـــ **تاريخ أرمينية** ، بول اميل ، ترجمة شكري علاوي ، بدون تاريخ .

ـــ **أرمينية من الفتح الإسلامي حتى القرن الخامس الهجري** ، صابر محمد دياب ، ١٩٧٨ .

ـــ **أرمينية اليوم** ، عن جمعية الصداقة الأرمنية ، ١٩٧٢ .

ـــ **الأرمن عبر التاريخ** ، مروان المدور ، ١٩٨٢ .

ـــ **الأرمن شعب وقضية** ، د . صالح زهر الدين ، ١٩٨٨ .

ـــ **قتل أمة** ، مذكرات السفير الأمريكي في تركيا ، ترجمة د . الكسندر كشيشيان ، ١٩٩٠ .

ـــ **تاريخ الشعب الأرمني** ، فؤاد حسن حافظ ، ١٩٨٦ .

ـــ **القضية الأرمنية هراتش اسنابيديان نشأة الأرمن وتاريخهم القديم** ، رفائيل إشتخانيان ، ترجمة هوري عزازيان .

* **بالأرمنية :**
- **السلطان الأحمر عبد الحميد** ، يازجيان ، ١٩٨٠ .
- **تاريخ الشعب الأرمني « عدة أجزاء »** ، لجنة من المؤرخين الأرمن ، ١٩٧٠ .

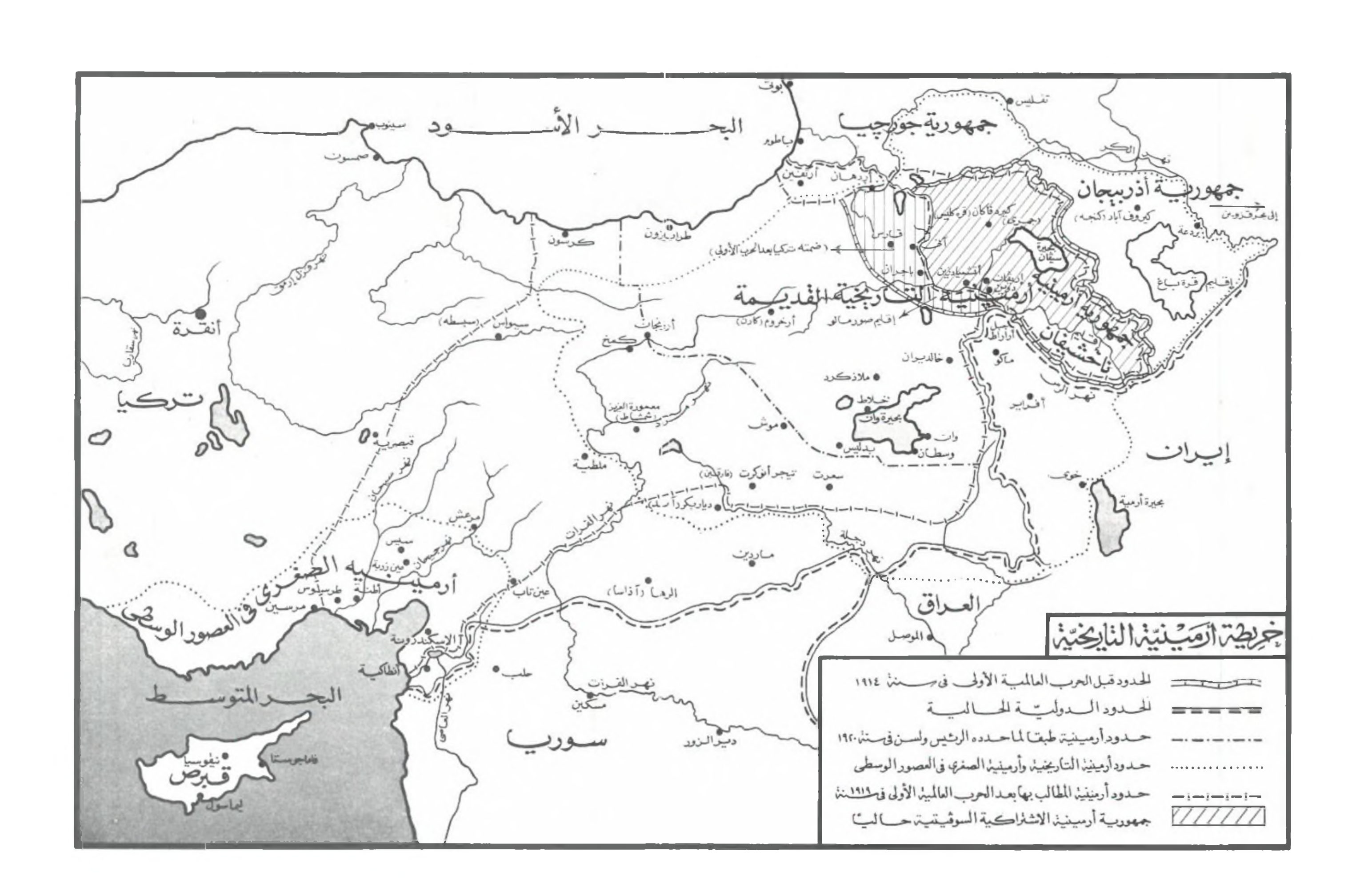
* **بالفرنسية :**
- **تاريخ الأرمن** ، جيراير ديديان ، ١٩٨٢ .
- **الأرمن** : **تاريخ جينوسيد** ، ايف ترنوف ، ١٩٧٧ .
- **أطلس أرمينية** ، أكاديمية العلوم الأرمنية ، ١٩٦١ .
- **المسألة الأرمنية** ، أناهيد ترمنسيان ، ١٩٧٣ .

شكر وعرفان

عديدون هم الذين شجعوني على تحقيق هذا الكتاب ، الذي يشكل مقدمة لسلسلة من الكتب الأخرى ، ستصدر لاحقاً ، تحت عنوان « دليل التراث الأرمني » ، انطلاقاً من قاعدة التمازج والتعارف بين الحضارات في العالم .

وبما أن المجال لا يتسع لتعداد الأسماء كلها ، أخص بالشكر والعرفان كل من السادة :

سحاق أبويان
همبارسوم قوروملیان
سورين أرتينيان
جان هوفسيبيان
هراتش شيرانيان
سركيس كيشيشيان
نوبار ميليكيان
سركيس كردريان
آغوب تافيتيان
سركيس سرادوريان
فارتكس خوشيان
نوبار وكريكور طوروسيان
انترانيك أرزومانيان
وانيس سكاجيان


خريطة أرمينيّة التاريخيّة
الحدود قبل الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤
الحدود الدولية الحالية
حدود أرمينية طبقاً لما حدده الرئيس ولسن في سنة ١٩٢٠
حدود أرمينية التاريخية وأرمينية الصغرى في العصور الوسطى
حدود أرمينية المطالب بها بعد الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٩
جمهورية أرمينية الاشتراكية السوفيتية حالياً
البحر الأسود
البحر المتوسط
جمهورية جورجيا
جمهورية أذربيجان
أرمينية التاريخية القديمة
أرمينيه الصغرى في العصور الوسطى
تركيا
إيران
العراق
سوريا
قبرص
نيقوسيا
فاماجوستا
ليماسول
أنقرة
سيواس (سبسطه)
قيصرية
ملطية
كرسون
طرابزون
سينوب
صمسون
باطوم
تفليس
أرزنجان
أرضروم (كارن)
قارص
آني
الموصل
حلب
أنطاكية
الإسكندرونة
مرسين
طرسوس
عين تاب
مرعش
سيس
الرها (آذاسا)
ماردين
ديار بكر (آمد)
دير الزور
نهر الفرات
سعرت
موش
ملازكرد
خلاط
بحيرة وان
وان
بدليس
خوي
بحيرة أرمية
ماكو
بحيرة سيفان
إقليم قره باغ
كيروف آباد (كنجه)

فهرست

التنفيذ الطباعي
مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر
ص.ب: ١٣/٥٣٧٨ - تلكس RIHANI 20597 LE - RIDCO 41127 LE
تلفون: ٣ /١/٢/ ٨٦٨٣٨٠ - بيروت - لبنان



الكتاب

• هي صفحات من ملاحم البطولة والتضحية، في سبيل البقاء.

• .. وهي تاريخ شعب، عجن بالألم والمعاناة، وغابت أرضه عن خرائط الجغرافية، زهاء خمسمائة عام.

• لكنه .. وهو الشعب الشجاع، لم يستكن للقهر، فتمسك بالتاريخ، كي تعود الخارطة إلى مكانها الطبيعي، وحافظ على وجوده بقوة، وانبعث من جديد، ليؤكد أن الحق فوق أي اعتبار، وليستحق كل تقدير وإعجاب، على نضاله الدؤوب حتى اكتمال خارطة وطنه النهائي.

اللوحة

• الرسم .. لغة لا تحتاج إلى تعلم أو تعليم. فهي لغة، لا محكية ولا مسموعة.

• هي لغة الكل، والكل يفهمها إن لامسها ولامسته حتى القلب.

• ولوحات الفنان العالمي، بول غيراغوسيان، هي لغة الواقع المعبر عن الإنسان بكل حالاته .. ولهذا، فهي تفهم ببساطة ويسر.

• والسؤال ... هل يحتاج التعبير عن النهوض والانبعاث والتجدد، وقهر الظلم، أكثر مما تقوله لوحة الكتاب بشخوصها وألوانها.

الأقيردي
ستيبانافان
كيروفاكان
ستيباك
لينتكان
بيرت
تيليتشان
سيفان
بحيرة سيفان
طالين
يريفان
كارني
اتشميازين
ارداشاد
الارت
جرموك
كوريس سيسيان
غايان
ميغري

التنفيذ الطباعي
مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر
RIHANI 20597 LE - RIDCO 41127 LE تلكس - ص.ب: ١٣/٥٣٧٨
تلفون: ٨٦٨٣٨٠ / ١/٢/٣ - بيروت - لبنان